فن الترجمة والتعريب

عباد ديرانية

أكاديمية حسوب

فن الترجمة والتعريب

تعلم فن ترجمة النصوص الأجنبية ومدلولاتها الثقافية إلى العربية

تأليف

عبَّاد ديرانية

تحرير

علي اليعقوبي

مجاهد ديرانية

تحرير وإشراف

جميل بيلوني

جميع الحقوق محفوظة © 2021 أكاديمية حسوب

النسخة الأولى v1.0

هذا العمل مرخَّص بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسب المُصنِّف - غير تجاري - الترخيص بالمثل 4.0 دولي

عن الناشر

أُنتج هذا الكتاب برعاية شركة حسوب وأكاديمية حسوب.

تهدف أكاديمية حسوب إلى توفير دروس وكتب عالية الجودة في مختلف المجالات وتقدم دورات شاملة لتعلُّم البرمجة بأحدث تقنياتها معتمدةً على التطبيق العملي الذي يؤهل الطالب لدخول سوق العمل بثقة.

حسوب مجموعة تقنية في مهمة لطوير العالم العربي. تبني حسوب منتجات تركِّز على تحسين مستقبل العمل، والتعليم، والتواصل. تدير حسوب أكبر منصتي عمل حر في العالم العربي، مستقل وخمسات ويعمل في فيها فريق شاب وشغوف من مختلف الدول العربية.

ادخل سوق العمل ونفذ المشاريع باحترافية
عبر أكبر منصة عمل حر بالعالم العربي

ابدأ الآن كمستقل

جدول المحتويات

تقديم **9**

عن هذا الكتاب 9

نبذة عن فصول الكتاب 10

عن المحتوى العربي 11

1. عن اللغة **14**

1.1 هل تقبل اللغة التـرجمة؟ 15

1.2 سوسيـر ونظرية البنائية اللغوية 19

1.3 النسبية اللغوية 22

1.4 بحر أخضـر، وأشجار زرقاء 23

1.5 استعارات غيـر مستـردة 27

1.6 تصـريف اللغات 30

1.7 تلال معشوشبة، أم جرداء؟ 32

1.8 إشكالات "بيـرمان" الاثنا عشـر 33

2. فن الترجمة وأنواعها وأساليب الترجمة الحديثة **36**

2.1 التـرجمة، أم الأصل؟ 36

2.2 جمل، أم إبل؟ 38

2.3 التـرجمة فن 40

2.4 أنواع التـرجمة 41

2.5 أساليب حداثية 43

2.6 خطوات التـرجمة 46

3. كتب تزن ذهبا: تراث العرب والتـرجمة **50**

3.1 قصة "حنيـن" 50

3.2 بيت الحكمة 53

3.3 النهضة 57

3.4 حنيـن وابن البطريق 59

4. بيـن الحرفية والتصـرف: تاريخ موجز لنظرية التـرجمة **63**

4.1 اللفظ والمعنـى 64

4.2 الكتاب المقدس: من عام 1522 إلى 1970 66
4.3 النشأة الأكاديمية 71
4.4 مدرسة التحليل الخطابي 73
4.5 نظرية الوظيفة 74
4.6 المدرسة الوصفية 75
4.7 شخصية المترجم 76
4.8 مدرسة الثقافات 77
4.9 اختيار منهجك 80
5. آفات الترجمة على اللغة 81
5.1 العربية المتغيرة 82
5.2 لغات راقية 85
6. من "لسان العرب" إلى "أكسفورد": المعاجم والقواميس 88
6.1 الأستاذ والمجنون 89
6.2 القاموس أم المعجم؟ 91
6.3 استعمال المعاجم والقواميس 94
6.4 أجزاء المعجم 95
7. تعريب المفردة والمصطلح 100
7.1 المصطلحات الصعبة 101
7.2 سبل التعريب السبعة 104
7.3 أسماء الأعلام 112
7.4 توحيد المفردات 113
7.5 هاري بوتر مثالا 114
8. تعريب تراكيب اللغة 116
8.1 معنى الكلام وأسلوبه 116
8.2 حذف وزيادة 122
8.3 التصاحب اللفظي 125
8.4 الاستعارة 128
8.5 الإحالة 129
8.6 الأفعال المركبة والأمثال 131

9. تعريب الجملة وأقلمتها 134
9.1 الفهم قبل الفعل 134
9.2 ترتيب مكونات الجملة 136
9.3 أنواع الجملة الإنكليـزية 137
9.4 المبنـي للمجهول 144
9.5 صيغة الملكية 146
9.6 ترابط مكونات الكلام 147
9.7 كلمة Already 151
9.8 معان خادعة 151
9.9 الإطناب والإيجاز 152
9.10 الغموض 154
10. تعريب الثقافة 157
10.1 الحرفية والتصـرف 157
10.2 التصـريح والتضميـن 159
10.3 مؤنث ومذكر 161
10.4 أخلاق المهنة 163
10.5 الأقلمة 164
10.6 النقد الأدبي 172
10.7 اللهجات الدارجة 178
10.8 الشعر 183
11. العمل في الترجمة 187
11.1 الخبرة تسبق العمل 187
11.2 ليست كل الترجمة سواء 188
11.3 البحث عن وظيفة 192
11.4 الاتفاق يسبق العمل 194
11.5 الترجمة 198
12. خاتمة الكتاب 200
13. المصادر 202
13.1 المصادر العربية 202

13.2 المصادر الأجنبية 206

تقديم

أصبحت الترجمة عملًا رائجًا جدًا في هذه الأيام، فأي شاب أو فتاة في مرحلة الدراسة ربَّما يبحث أو تبحث عن وظائف حُرّة في الترجمة ظنًا منهم بأنها وظيفة سائغة لكلّ من أتقنَ لغة أجنبية (أو أكثر)، وربّما تكون الترجمة سهلة إذا كان كلّ ما يلزمها هو إتقان لغة أجنبية، لكن هذا الإتقان لا قيمة له إن لم يجتمع مع إتقان اللغة الأم (وهي العربيَّة هنا) ومع اطلاع متعمِّق على نظرية الترجمة وما اتصل بها من علوم اللغة والأدب، وبدونهما تأتي الترجمة ضعيفةً مثل بناءٍ متهالكٍ بناهُ مهندسٌ مبتدئٌ أو لوحة رسمتها يد تنقصها الخبرة.

عن هذا الكتاب

هذا الكتاب مُوجَّه إلى المترجمين المبتدئين الراغبين بتعلّم الترجمة الكتابية من اللغة الإنكليزية إلى العربية، وهو لا يُعنى بالترجمة الشفهية ولا يتطرَّقُ إلى لغاتٍ غيرِ هاتين إلا في أمثلة عارضة، ولا يتطرق إلى الترجمة بالاتجاه العكسي (من العربية إلى الإنكليزية) لأن لها شروطًا وضرورات أخرى تحتاج شرحًا منفصلًا.[1]

قد يعد محتوى الكتاب متقدمًا في كثير من مواضعه، لذا يفضل أن تكون للقارئ خبرة عملية سابقة بالترجمة -ولو كانت قصيرة- ليستفيد منه؛ يبدأُ الكتاب بمدخلٍ إلى ظاهرة الترجمة وأساسياتها ثُمَّ يتناول مدارسها ومناهجها الكثيرة، وينتقلُ بعد ذلك إلى طُرُق التعريب وتعقيداته الشائكة في ترجمة المفردات والتراكيب والجملة وفي النهج والأسلوب، فيتطرَّقُ لأساسيات الكتابة العربية السليمة وضرورتها بالنسبة للمترجم.[2]

---

1 لكل لغة خصوصياتها، إذ يتطرق هذا الكتاب بالأساس إلى خصوصيات اللغة العربية، ومن أفضل المراجع في خصوصيات الترجمة بالاتجاه المعاكس (من العربية إلى الإنكليزية) كتاب Thinking Arabic Translation: A Course in Translation Method: Arabic to English للمؤلّفين Dickins, Hervey & Higgins (إصدار سنة 2002).

2 دون الخوض بقواعد اللغة العربية، فهو ليس مرجعًا في النحو العربي وأصوله وإنما في إشكالات الترجمة حصرًا.

يُنصح بهذا الكتاب للمترجمين أصحاب الخبرة القليلة الراغبين بتطوير مهاراتهم وبناء خلفية منهجيَّة وأكاديميَّة في مجال الترجمة، على أنه لا يخلو من صعوبة للمستجدِّين في الترجمة بسببِ طرحهِ للكثير من المفاهيم والمشكلات اللغوية التي تحتاجُ إلى خبرة وتجربة تطبيقية لاستيعابها على أنه يمكن للمترجم المبتدئ قراءة الكتاب ثم الرجوع إليه كلما ازدادت خبرته إذ يمكن أن تعد هذا الكتاب مرجعًا تضعه بين متناول يديك.

لا يسعى هذا الكتاب لأن يجلب لك ثروة من الترجمة، وإنما الهدف منهُ تأهيل المترجم الشغوف ليصبحَ خبيرًا مقتدرًا على أداء عمله وعلى خدمة لغته وثقافته، فالترجمة ليست منجم ذهبٍ وليست دائمًا مهنة مال، على أنها قوة جوهرية في التغيير والتقدُّم والنهضة.

نبذة عن فصول الكتاب

يبدأ الفصل الأول، عن اللغة، بمقدّمة عامة عن فكرة الترجمة من لغةٍ إلى أخرى، ويطرحُ تساؤلاً كبيرًا من وجهة نظر علم اللسانيات وما جرى فيه من أبحاث مُوسَّعة خلال المئة عام الماضية وهو: هل ترجمة المعاني بين لغتين من لغات الإنسان ممكنة عمليًا؟

يبني الفصل الثاني، فن الترجمة وأنواعها، على ما سلف في الفصل السابق من أسئلة شيّقة عن الترجمة واللغة ويجيب عنها بمعضلة أزلية أخرى تحكمُ عمل المترجم، وهي: هل الأولى نقلُ أسلوب الكلام أم معناه؟ ليس لهذه المعضلة حلٌّ يجمعها من جانبيها، وإنما هي اختيارٌ على المترجم أن يكرّره عددًا لا نهائيًا من المرات في كل فقرة وجملة وكلمة يترجمها، وفي كل حالة وسياق ستختلفُ الإجابة. يُقدّم الفصل -كذلك- مقدمة سريعة عن أنواع الترجمة وفئاتها.

يسبقُ الفصل الثالث، كتب تزن ذهبًا، تاريخ نظرية الترجمة عالميًا -الذي سيأتي فيما بعد- بتاريخ متعمِّق لتجربة الحضارة العربية الإسلامية في الترجمة على مرّ العصور، والتي تساعد المترجم العربي الحديث في ربط عمله مع تراث من سبقوه من مترجمين انكبّوا على النقل إلى اللغة نفسها ومروا بكثير من المسائل نفسها التي يمر بها.

أما الفصل الرابع، تاريخ موجز لنظرية الترجمة، يعرض تاريخ نظرية الترجمة القصير الذي بدأ منذ ألفي عام، والذي وقعت معظم تطوراته في آخر خمسين عامًا. وفي هذا الفصل مقدمة وجيزة عن كل فرع من فروعها ومنهج من مناهجها، إذ إن هذه المناهج ستكون ضرورية في التطبيق العملي الذي سيأتي في الفصول اللاحقة.

يتعمَّقُ فصل آفات الترجمة على اللغة في علاقة التأثير المتبادل بين الترجمة واللغة التي جذبت اهتمام الكثير من الباحثين مؤخرًا، ويعرضُ بعض نتائجها قصيرة وبعيدة المدى التي قد تكون بصدد تغيير اللغة العربية وغيرها من لغات العالم.

بعدها يُقدِّم فصل من لسان العرب لأكسفورد خلاصةً في أهم الأدوات والوسائل التي تحكمُ عمل المترجم بالتفصيل، إذ يتحدث عن المعاجم وأنواعها، وعن الفرق بين المعجم ثنائي اللغة (الذي تكثرُ تسميته باسم "القاموس") وأحادي اللغة، وما على المترجم أن يعرفه قبل اللجوء إليهما في عمله.

يتبحَّرُ الفصل السابع، تعريب المفردة والمصطلح، في معضلات تعريب المصطلحات والكلمات النادرة وما وضعهُ لها المعرِّبون من طرقٍ وأساليب على مر العصور، وعن كيفية تكييف هذه الطرق في سياق الترجمة المعاصرة من الإنكليزية للعربية.

ينتقلُ فصل تعريب تراكيب اللغة من ترجمة المصطلحات لشرح كيفية تعريب تراكيب اللغة ممَّا هو دون الجملة، بما في ذلك الإحالات والاستعارات والإيحاءات والتلاعبات بالألفاظ، وما ينطوي على تعريبها من تضحية مستمرّة إما بأسلوب الكلام أو فحواه، وهي مسألةٌ تصف جوهر المعضلات القائمة في نظرية الترجمة.

يشرحُ فصل تعريب الجملة وأقلمتها كيفية تعريب الجملة الإنكليزية بمكوّناتها كافَّة بعد إلمام القارئ بمشكلات المفردات والتراكيب اللغوية. ويتناول هذا الفصل مسائل عِدَّة لها علاقة أساسية بالترجمة في علم اللسانيات وخصوصًا في علم النحو، الذي يختصُّ بدراسة الجملة، بما في ذلك ترتيب مكوناتها وأنواعها وبعض المسائل الشائعة في ترجمتها.

يُتمِّمُ الفصل ما قبل الأخير، تعريب الثقافة، ما سبقه من فصول في حيثيات الترجمة الدقيقة ليلقي نظرةً عامة على مسألة الترجمة من لغة إلى لغة ومن ثقافة إلى ثقافة، وما يعترضُ ذلك من مشكلات لا تختصّ بجملةٍ ولا بنصّ مُحدَّد، وإنما بأفكار ومعرفةٍ مسبقةٍ تحملُها ثقافات كاملة، وما يترتب على ذلك من صعوبات.

أما الفصل الأخير من الكتاب، العمل في الترجمة، فيتطرق إلى الحديث عن المسائل العملية والمهنية التي يقتضيها العمل المهني في الترجمة ويشرح كيفية دخول سوق العمل والانتفاع منه وتعلم كيفية استلام المشاريع والعمل عليها وتسليمها.

عن المحتوى العربي

أكملتُ قبل بضعة سنوات كتابًا عنوانه "حكاية ويكيبيديا" يتحدَّثُ عن موسوعة ويكيبيديا المعروفة وعن طريقة إدارتها ونظام العمل فيها، وهي -على الأرجح- أضخمُ دائرة معارف باللغة العربية حاليًا.[3] وقد تغيَّر نشاطي في المحتوى العربي منذ نشر ذلك الكتاب فانخرطت في مشاريع أوسع نطاقًا للترجمة والتعريب، والتفتَ نظري منها إلى مشكلةٍ كارثية لمستقبل المحتوى العربي وهي ازدياده المطّرد كمًا وتدهورهُ نوعًا.

ربَّما يشعرُ عموم العرب (وخصوصًا من الشغوفين بالعلوم والتكنولوجيا) بأن الثروة المعرفية في اللغة العربية هزيلةٌ ضئيلة، فهي لا تكادُ ترضي الباحث عن المعلومة في أيّ فرعٍ من فروع العلم الحديث، وهذه مأساةٌ أرغبُ بأن أؤكّدها وأنفيها في الوقت عينه، فقد نزعمُ -من جهة أولى- أن المرء لا يسعهُ في عصرنا الارتقاء باللسان

3 لو طُبِعَت محتويات ويكيبيديا على الورق لملأت آلاف المجلدات. فقد بلغ حجم النسخة العربية وحدها 1.5 غيغابايت في شهر مارس 2015 (وهو تاريخ الإحصائية المتوفرة)، وبحسب الحجم الذي تأخذه النصوص (وهو بايتان لكل حرف عربي، ونحو خمسة حروف في الكلمة وسطياً) فيمكننا تقديرُ عدد الكلمات التي احتوتها الموسوعة العربية حينئذٍ بنحو 160 مليون كلمة، وتطبع هذه الكلمات في نحو 640 ألف صفحة فتتحول إلى موسوعة فيها آلاف المجلّدات وتملأ عشرات الرفوف.

المصدر: Zachte, E. (2019, February 1). Wikipedia Statistics. Retrieved September 12, 2020, from https://stats.wikimedia.org/EN/TablesDatabaseSize.htm

العربي وحده إلى ما يؤهّله للمنافسة في أي مضمار من مضامير المعرفة مع متعلّم أوروبي أو ابن جامعة من جامعات العالم الأولى، وهو ما يدعو الكثيرين لتنشئة أبنائهم على اللغات الأجنبية منذ الصِّغَر حرصًا على مستقبلهم، ولكن العربية -من جهة ثانية- لغة رائدة في العالم، واللغات التي تنافسُها في ثروتها من الكتب والمقالات والمحتوى هي حفنةٌ معدودة، وسآتي بدليلٍ صغير من واقع عملي في المحتوى العربي، وهو بالتأكيد ويكيبيديا.

في عالمنا حاليًا أكثر من 7,000 لغة معروفة، ونسبة 95% من هذه اللغات ليس لها أيّ وجودٍ في ويكيبيديا، بل وإن ذكرها في الإنترنت في أيّ حقلٍ من حقول المعرفة يؤولُ إلى العدم. لم تحظَ إذًا إلا ثلاثمائة لغةٍ من لغات العالم بشرف أن تكتب فيها مقالةٌ في ويكيبيديا، على أن حظَّ أكثر من نصف هذه اللغات من الموسوعة لا يزيدُ على ألف مقالة، وهذا محتوى متواضعٌ يملأ مجلدا مطبوعًا على الأكثر. واللغات التي لها أكثرُ من 100,000 مقالة في ويكيبيديا 64 فقط، ولم تتخطَّ منها المليون مقالة إلا 18 لغة، وتأتي العربية[4] بينها في المرتبة الخامسة عشرة حسب عدد مقالاتها.

وإذا كان المحتوى العربي يقفُ في المرتبة الخامسة عشرة فهو إذًا يتربَّع بين قلَّة مختارة لا تتعدَّى 0.2% من لغات الإنسان، ولعلَّ هذا ليس دليلًا على نجاح المحتوى العربي فقط، بل على شيئين: الأول هو الثروة البشرية الهائلة من الناطقين بالعربية (ولغتهم هي الخامسة من حيث عدد الناطقين بها في عالمنا)، وأما الثاني فهو قلَّة حظّ اللغات في زمننا الذي يحكمهُ اللسان الأجنبي للقوى الاستعمارية المهيمنة على اقتصاد العالم، وأولاها وأقواها دون منازعٍ هي الإنكليزية، لأنها تحتكرُ ثروة الإنسان من الأدب الأكاديمي والمعرفي في عصرنا ولأنها دون منازعٍ اللغة الأولى للتواصل بين الناس، وتتبعُها -بمسافة شاسعة- الفرنسية والألمانية والصينية واللغات الكبرى بعدد الناطقين، كالإسبانية والهندية والعربية.

والنتيجة هي أن المحتوى العربي ثريٌّ وواسعٌ كمًا، على عكس ما نتخيَّل، بل وإنه أيضًا قطاعٌ رائدٌ ومتسارع جدًا للاستثمار، ومن أمثلة ذلك صعود مواقع عدة للمحتوى وجذبهُا لبعضٍ من أضخم الاستثمارات في الشركات الناشئة عربيًا (على ما قد يعيبهُا من غَلَبة المحتوى التجاري الضعيف).

لكن من اللافت أن غالبية المحتوى العربي المنتشر الآن (مثل موسوعة ويكيبيديا وقنوات اليوتيوب ومبادرات الترجمة والنشر على المواقع الاجتماعية[5]) هي مجهودٌ تطوعي يقودهُ الشباب وطلاب الجامعات والمدارس الشغوفون بلغتهم، وقد جاء عملهم الجبَّار بخيرٍ كثيرٍ منه المقالات العربية المليون في ويكيبيديا ومئات آلاف المقالات العربية الأخرى على الإنترنت، على أن مجهودهم جاء أيضًا بتحدٍ جديدٍ هو: ترهّل اللغة.

4 في ويكيبيديا العربية الآن مليون مقالة ونيّف، وهذا الرقم أكبرُ من المحتوى القيّم للموسوعة، لأن الكثير من هذه المقالات هي "بذور" قصيرة أنشئت ببرامج آلية لأهداف همّها المظهر والعدد، وقد لا تخدمُ المحتوى العربي في شيء يذكر. ورغم ذلك، فإنَّ محتوى الموسوعة يبقى غنيًا جدًا، وإذا طُبِعَته ورقًا فهو يملأ ما لا يقلّ عن 400 مجلّدًا مطبوعًا (وفقًا لحسبةٍ مأخوذةٍ عن تعداد رسمي لعدد الكلمات في مقالات الموسوعة، وقد كان 120 مليون كلمة في عام 2014). وللمقارنة، تتألَّف الموسوعة العربية العالمية من 22 مجلدًا. https://stats.wikimedia.org/EN/TablesDatabaseWords.htm

5 من أمثلة هذه الفئة: الباحثون السوريون، أنا أصدق العلم، الفضائيون، ناسا بالعربي، السعودي العلمي، مؤسسة فاي للعلوم.

أرى من مشاهداتي الشخصية أن الاعتماد على العمل التطوعي في إنتاج المحتوى العربي ربمـا أصـبح أعلى كثيرًا منه في أي لغة أخرى من اللغات الكبرى، وأظنّ أن لذلك تفسيرًا سهلًا، فالعرب في الوقت الحاضر من أكبر أمم العالم عددًا ومن أفقرها كذلك، ممَّا يعني أن لدينا فائضًا هائلًا من النـاطقين بالعربيـة الـذين يتقنـون القـراءة والكتابة بلغات أجنبية ويرغبون بإثراء المحتوى العربي لكن لـدينا -كـذلك- قلّـة من الشـركات والمؤسسـات الـتي تستطيعُ توظيفهم بأجر، والنتيجة هي ولادة آلاف المبادرات التطوعية لترجمة وإنتاج المعرفة دون مقابل مادي.

ويأتي التطوع بمنافع هائلة للغة، ولهُ أيضًا تجليَّاته السـلبية[6] الـتي لم يسـلم منهـا معظم المحتـوى المـدفوع كذلك، ومنها أنه لا يراعي التشدّد في ضبط الجودة والأسـلوب، وأنـه لا يكـترثُ -عـادةً- بتـدريب المتطـوعين في أصول اللغة والكتابة والترجمة. وهذا ما يقودني إلى نقطة الضعف الرئيسية للمحتوى العـربي (التطـوعي وغـيره) برأيي، وهي ركاكة اللغة، بل وإفسادها بالدَّخيل الأجنبي. ولا أعني بذلك الكلمات والمفردات الدخيلة، وإنَّما دخول قواعد النحو والإعراب وتركيب الجملة وتشويهها للسَّليقة العربية، كما سيأتي فيما بعد.

لهذا، أتمنَّى أن يضعَ هذا الكتاب بين يدَيْ المترجم العربي وسيلةً يهتدي بهـا إلى أصـول الترجمـة السـليمة، وأن يساهم -ولو قليلًا- في نهوض الترجمة العربية لغةً ونوعًـا لا كمًّـا وعـددًا. ومـا يجعـل هـذا الكتـاب جديـدًا في المكتبة العربية أمران: الأول أنه كتاب أكاديميّ يُقدّم للقارئ منهجًا وأصولًا علميَّة متّبعة عالميًا، والثاني أنـه يلاقحُ ما بينَ هذا المنهج العالمي وبينَ خصوصيَّات وسياق الترجمـة العربيـة في زمننـا ومـا يواجـه المـترجم فيهـا من عقبات وتحديات حاضرة.

المؤلف

18/12/2021

6 التطوع في الترجمة وكتابة المحتوى هو من أسمى الأمور وأفضلها التي نالتها اللغة العربية، بل إنه اتجاه عالمي اعتمدت عليه الكثير من مواقع الإنترنت المعرفية الكبرى في نقل محتواها، ولكن من الطبيعي أن لكلّ مكسبٍ ثمنًا ندفعه مقابله.

خمسات

لبيع وشراء الخدمات المصغرة

أكبر سوق عربي لبيع وشراء الخدمات المصغرة
اعرض خدماتك أو احصل على ما تريد بأسعار تبدأ من $5 فقط

تصفح الخدمات

1. عن اللغة

من أخطـر الأفكـار والتصـوّرات السـائدة عن الترجمـة أنهـا استعاضـةٌ عن كلمـات لغـةٍ مـا (الإنكليزية مثلا) بمرادفاتها بلغةٍ أخرى (وهي العربية في سياقنا)، وهذا خطأ جـوهريٌّ جـدًا، وسـائدٌ جـدًا؛ بحيث إنـني فضَّـلتُ أن أخالفَ بسببه الترتيب المألوف للكتب العلمية؛ التي تبدأ بالتعـاريف الأكاديميـة الجامـدة، وأن أُخصّـص الفصـل الأول من هذا الكتاب لبحث ظاهرة الترجمة على المستوى التجريـدي ومـا يكتنفهـا من مشـكلات "الـترادف" أو "التقابل"؛[1] التي كانت لفترةٍ طويلة -وربّما ما تزال- السؤالَ الرائدَ في مجال الترجمة.[2]

وهذا ليس غريبًا، فمن المعتاد أن يتعلم الطلاب في فصول اللغـات الأجنبيـة (بـأي بلـد في العـالم) معـاني ألفاظها بأن يبحثوا عمَّا يقابلها في لغتهم، فيُقال لهم: إن المدينة معناها "city" وأن البيت معناه "house". ومن ذلك الوقت نشأ الطلبة وقد استقرَّ في أذهانهم هذا "الارتباط الأبـدي" بين الكلمـة الأجنبيـة ومرادفهـا في لغتهم (حسب ظنّهم)،[3] فأمسى من العسير إقناعهم بأن لهذه الكلمات أي معنى أو دلالةٍ[4] غير ما اعتادوا عليه[5] (حسـبما يقول المترجم محمد عناني).[6]

ومن الضروريِّ أن نطرح هنا سؤالًا أساسيًا: لـو احتجنـا لوصـف ظـاهرة الترجمـة لشـخصٍ لا يعـرف مـا هي، فكيف نصفها له؟ قد نلجأ لتعريف الترجمة المعتاد أكاديميًا، فنقولُ: "إنها نقـلٌ لمعـنى منطـوق[7] أو مكتـوب من

1 باللغة الإنكليزية "Equivalence"وهي الموضوع الأساسي لمعظم النظريات الأولى في الترجمة.

2 Baker & Malmkjær (1998): p. 77

3 عناني (2000): ص12

4 وهذا ما يعرف بالمعاني المجازية غير المباشرة، التي يجب على المترجم أخذها بعين الاهتمام عند قيامه بعملية الترجمة، بحيث لو ترجمت حرفيًا لفسد المعنى والترجمة معًا (المدقق).

5 عناني (2005): ص11

6 عناني (2000): ص15/ ص24

لُغةٍ[8] إلى لغةٍ غيرها".[9] إلا أن هذا التعريف الجامد لا يجيب عن السؤال تمامًا؛ لأنه يصفُ **هدف** الترجمة؛ وهو نقلُ المعنى من لغةٍ إلى غيرها، ولكن هل هذا أمرٌ ممكنٌ وهل هو ما يصنعه المترجمون في مهنتهم؟

سنجدُ الإجابة عن هذا السؤال محفوفةً بمئات الأوراق البحثية والكتب والنظريات التي وضعها عُلماء اللسانيَّات؛ إذ لاقت ظاهرة الترجمة اهتمامًا واحتفاءً متزايدًا من المجتمع العلميِّ منذُ سبعين عامًا تقريبًا، وكان هذا السؤال من أهمِّ أسسها وموضوعات بحثها. وإجابته باختصارٍ هي: "**لا**"، إذ لا يمكنُ للمترجم -على الأرجح- نقلُ معنى كامل بين أيِّ لغتين في العالم، ولكنَّهُ يستطيع تقريبَ هذا المعنى، فيكادُ ينجح حينًا ويحيدُ عن مسعاه حينًا.[10] [11]

بحث علماء اللغة أفكارًا ونقاشاتٍ مثيرةً كثيرةً بهذا الخصوص، وسنتطرَّقُ إليها بتفصيلٍ معقولٍ فيما بعد، وأمَّا ما عليكَ أن تضعهُ في الحسبان في هذه المُقدِّمة؛ فهو أن ظاهرة الترجمة -كما يتخيَّلُها الناسُ- لا وجودَ لها في الواقع، فلو كنتَ تتقنُ أيَّ لغةٍ غير لغتك الأمّ (ولو لم تكُن تتقنُ واحدةً فإنَّ هذا الكتاب ليسَ ذا قيمة بالنسبة لك)، فلا بُدَّ أنك تدركُ من تجربتك الشخصية استحالة تبديل كلامك بين لغتين دونَ اختلافِ وقعه النفسي واللغويّ في نفوس مستمعيك،[12] مهما كان اختلافًا بسيطًا.

1.1 هل تقبل اللغة الترجمة؟

لدى معظم الناس انطباعٌ عن اللغة بأنها وسيلة لنقل "المعنى"، فلنا أن نُشبِّهها بمَرْكب يبحرُ بالمعاني والأفكار، فيحمِلُها من ذهن شخصٍ إلى آخر دون تغيير.[13] ومن الواضح أن الترجمة ضمن هذا التعريف طبيعية جدًا، فإذا كان "المعنى" مستقلًا في وجوده عن اللغة؛ فمن البديهي أن كُلَّ لغات الإنسان تصفُ الأفكار نفسها بكلماتٍ وأصوات مختلفة قليلًا بعضها عن بعض، ومن السهل -بالتالي- أن نترجمَ هذه الأفكار بين اللغات؛ لنستطيع تناقلها على دائرةٍ أوسع.[14] [15]

ربّما يوهمنا هذا التصوّر التقليدي بأن جميع اللغات تتحدَّث عن الأفكار نفسها بكلماتٍ متفاوتة، فيفيدُ هذا التصوّر -على سبيل المثال- بأن كلمة "السَّماء" في اللغة العربية تصفُ فكرةً تجريدية يفهمُها جميع البشر، ويصلحُ التعبير عنها بأيّ لغة أخرى بكلماتٍ بديلةٍ منها "sky" في الإنكليزية و"Himmel" بالألمانية و"آسمان"

7 تقتصرُ بعض اللغات اللاتينية في تعريف الترجمة على نقلِ المعنى المكتوب وليس المنطوق، ولذلك فإنَّ الدراسات الأكاديمية للترجمة تُركِّزُ في معظمها على الترجمة الكتابية والأدبية.

8 وتُسمَّى اللغة المنقول عنها، أو Source language، أو SL

9 وتُسمَّى اللغة المنقول إليها، أو Target language، أو TL

10 Culler (1976): p. 21-22

11 صفاء خلوصي (1928): ص 145

12 Culler (1976): p. 23

13 Wesch (2015), p. 122

14 Culler (1976): p. 21-22

15 Culler (1976): p. 29

بالفارسية، ولكن هذا الافتراض كلّه (الذي تقومُ عليه ظاهرة الترجمة بالنظرة المعتادة نحوها) ليس صحيحًا. فكلمة "sky" ليست مرادفةً في معناها لكلمة "سماء"، ولا -غالبًا- لأيّ كلمةٍ أخرى في أيّ لغةٍ من لغات الأرض، مهما بدت قريبةً منها.

تدلنا السنوات المئة الأخيرة من أبحاث اللسانيات والترجمة على أن اللغة والمعنى ظاهرتان مرتبطتان ارتباطًا وثيقًا، فكلّ لغةٍ على وجه البسيطة لها خواصّها الثقافية والإنسانية والذهنية التي لا تتماثلُ مع غيرها، ومع أن معاني الكلمات قد تتقاربُ جدًا بين بعضها، إلا أنه لا وجود -غالبًا- لكلمتين "مترادفتين" حقًا وأبدًا،[16] وعلى هذا الأساس فإنَّ الترجمة -بتعريفها المعتاد- ليست ظاهرةً حقيقية، فكيف لنا أن ننقُلَ المعنى بين أيّ لغتين إذا لم تكُن فيهما أيّ كلمات متماثلةٍ في معناها ودلالتها؟

1.1.1 المرادفات

من أولى المشكلات التي تقابلنا إن حاولنا أن نفترض "ترادف" الكلمات بين اللغات هي كثرة الكلمات التي لها دلالاتٌ عديدةٌ،[17] والتي يجهدُ واضعو المعاجم والقواميس في حصرها وتعدادها[18] (إذ تُسمَّى هذه الكلمات "المظلّات الدلالية")،[19] فإذا كان للكلمة العربية خمسة معانٍ أو ستّة تختلفُ بحسب سياقها[20]، وإذا كان للكلمة الألمانية خمسة معانٍ أخرى بحسب استعمالها، فكيفَ لنا أن نزعمَ أن هاتين الكلمتين "مترادفتان" وتدلان على عشرة معانٍ متغايرة؟[21]

لنعُد إلى كلمة "السَّماء" مرَّة أخرى، فهي تصفُ ظاهرة طبيعية، شهدها الإنسان منذ أقدم الأزمنة حيثما عاش ونطق كلامًا (على عكس "الإنترنت" مثلًا: الذي ينحصرُ وجوده؛ معنى ولغة، في ثقافاتٍ حديثة زمنيًا). وليس لكلمة السماء أيّ أهمية تميزها عن غيرها، وإنَّما هي المثال الأول الذي سوف نستدلّ منهُ على اتّصال ظاهرة اللغة بالمعنى، وعلى اتّحادهما الوثيق، فماذا تعني "السماء" إذًا؟

بحسب لسان العرب، تعني كلمة السماء أشياء منها الآتي:

1. سقف كُلّ شيء وكُلّ بيت.
2. السماوات السبع: أطباقُ الأَرَضِين.

16 محمّد عناني (2000): ص6

17 وهذه ملاحظة مهمة جدًا، وجديرة بالاهتمام، فهذه الدلالات المتنوعة؛ التي ذكرها المؤلف، أو ما يمكن أن نطلق عيه "المعاني المجازية للمفردات"، أو "الانزياحات اللغوية"، أو "ظلال الكلمات"؛ هي ما يعجز المترجم عن ترجمتها حرفيا بسبب ما يحيط بها من ظروف نفسية في لحظة ما من لحظات الكتابة، ولهذا فنحن نوافق الكاتب تمامًا أن الترجمة لا يمكن أن تفي بترجمة تلك المعاني المجازية، والظلال اللغوية للكلمات (المدقق).

18 Hatim & Munday (2004): p. 35

19 محمّد عناني (2005): ص32، وبالإنكليزية هي Semantic field.

20 إذا كان هذا شأن "الترادف" داخل اللغة الواحدة، وإذًا، فما هو الحل عند الترجمة؟ إنه التصرف اليسير -وفق ما يقتضيه السياق أحيانًا- بمعنى ألا يكون التصرف مطردًا، وحتى لا يصير التصرف المطلق مطية للعاجز (المدقق).

21 Deutscher (2010): p. 14

3. كُلّ ما ارتفع وعلا؛ سَما يسمو.

4. كلّ سقفٍ أو كلّ ما علاكَ فأظلَّك (مثل السّحاب).

وبعض هذه المعاني قريبةٌ من معنى كلمة "السماء" في زمننا، مع أن استخدامنا لها لا يتماثلُ تمامًا مع أيّ من المعاني أعلاه (فنحنُ لا نقول عن كُلّ ما علا أنه "سماء" بل إنَّ فوق السماء فضاءً ونجومًا ومجرات)، وهذا ليس مستغربًا؛ فمعجم لسان العرب قديمٌ، ولا يتّصل بالضرورة بحديث الناس ولغة العصر.

وعندما نقولُ "السماء" بدلالتها الحديثة؛ فإنَّ أول ما يتبادرُ إلى الذهن هو الغلاف الجويّ للأرض -كما نعرفهُ علميًا- بما فيه من سحب وهواء وغير ذلك، وتختلفُ هذه الكلمة في بعض السياقات عن مصطلح "الفضاء" الذي يصفُ (بالعربية المُحدثة) الفضاء الخارجي، وما فيه من شمسٍ وقمرٍ ونجوم وكواكب ومجرَّات، وهذا التمييزُ لم يكُن موجودًا في العربية التراثية، فقد كانت "السماء" كلمةً جامعةً لكلّ ما علا سطح الأرض.

ولا تزالُ بعضُ هذه المعاني دارجةً بطريقةٍ أو بأخرى، ربّما بسبب الكتب التراثية التي حَفظَت شيئًا من دلالات الكلمة القديمة، فالسماء في اللغة العربية قد تدلّ على السماوات السبع، وهذا المعنى **مستقلّ** و**مختلفٌ** دلاليًا عن المعنى الأول، فالسماوات السبع المذكورة في القرآن والأحاديث لها معنى ديني، ولا يمكننا أن نزعم أنها نفس "السماء" بمعناها الفيزيائي، ولولا هذا لما وقعَ الجدلُ الكثيرُ بين علماء الدّين في ماهيتها وفي كيفية ربطها بالعلم الحديث.

وللسَّماء -كذلك- دلالة دينية في عقائد أخرى قد تختلفُ عن السماوات السبع، ومنها القول في بعض المعتقدات والنصوص التي قد تعترضُ المترجم: إن "الله تعالى في السَّماء" و"الدّعاء للسماء"، وهذا معنى ثالثٌ غير ما سبق؛ ولكلمة السماء -أخيرًا- معانٍ منها "العلوّ" و"الارتفاع" غير المُحدَّد، مثل قول العامة عن شخصٍ عن شخصٍ أنه (طار عالسَّما) أو أن كُرةً ارتفعت عاليًا جدًا وكأنها "وصلت السَّما". ومن معاني الكلمة العامية كذلك الاشتقاق منها فتصبحُ صفةً مثل: حال اللون السماويّ (أي الأزرق الفاتح ببعض اللهجات).

كما أن للكلمة معانيَ تراثيةً اندثرت تمامًا ولم نتوقَّف عندها، مثل: دلالتها على المطر والسحاب وما شابه، ويشيرُ هذا الكلام كلّه إلى أن كلمة "السماء" العربية لها دلالات كثيرة جدًا تتفاوتُ بحسب سياقها، لو كان علميًا أو دينيًا أو عاميًا. وتُسمَّى هذه العلاقة بين الكلمة وسياق استعمالها في اللغة بالإيحاء الثقافي.[22] [23] فعندما تسمعُ كلمة "السماء" في القرآن قد تتفكَّر بالله، وعندما تسمعُها في برنامجٍ وثائقيّ قد تُفكّر بالفضاء، وهذان إيحاءان مختلفان كلّ الاختلاف، وينتجُ عنهما اختلافٌ أساس في دلالة الكلمة، حتى ولو كان معناها التجريديّ متماثلًا في الحالتين.

22 ونقصد به هنا غالبًا مصطلح Connotation (المعاني الثقافية التي تُحمَّل بها الكلمات، ويسمّيها يوجين نايدا emotive meaning)، ولو أن المقصد قد يشمل كذلك مصطلح Markedness (وهي سمة خاصّة تحملها الكلمات إن كانت غير مألوفة في سياقها). مصدر: Munday (2008): p. 95

23 Malmkjær & Baker (1998): p. 77

وهذه هي دلالات السماء باللغة العربية، فماذا عن غيرها من اللغات؟ تتضمَّن معاجم اللغة الإنكليزية، ومنها أوكسفورد وكامبريدج، قائمةً بمعاني كلمة "sky" منها:

1. السَّماء بصفتها كلّ ما يعلو الأرض.
2. السماء كما تظهرُ من بلدٍ أو مكانٍ مُعيَّن.[24]
3. السماء بمعناها الديني.

ومعظم هذه المعاني موجودةٌ في العربية المحدثة؛ لأنها انتقلت إليها عن طريق الترجمة، لكنْ هل هذا يجعلها مترادفة؟ يوجد فارقٌ كبيرٌ جدًا بين العربية والإنكليزية في هذه الحالة، وهو أن كلمة "sky" لها **بديلٌ** بلغتها ذاتها. والترادف ليس موجودًا حقًا في أي لغة، وهذا يعني أن اللغة الواحدة -كذلك- لا تترادفُ فيها كلمتان ترادفًا تامًا، لكن من الممكن الاستعاضة -في حالاتٍ مُحدَّدة- عن كلمة "sky" ببديلٍ لها هو "Heaven" أو "heavens"، وهاتان كلمتان مُحمَّلتان بإيحاءات دينية وتراثية لا تنالُ منها "sky" إلا نصيبًا قليلًا.

وتترتَّبُ على هذا الاختلاف نتيجةٌ جوهرية، وهي أن النَّاطق باللغة الإنكليزية يستطيعُ التبديل بين كلمتي "sky" و"Heaven" ليتحدَّث عن السماء بإيحائها العلمي حينًا وبإيحائها الديني حينًا آخر، وأما الناطق باللغة العربية، فهو **مجبرٌ** على استخدام كلمةٍ واحدةٍ مُحمَّلة بهذين الإيحاءين معًا. ولدى أحد مواقع الإنترنت التبشيرية مقالٌ، على سبيل المثال، عنوانه "Sky — and Heaven"، فهل من سبيلٍ لترجمة هذا العنوان، إلا على أنه يعني: "السماء - والسماء"؟

إذا كان المعنى ظاهرةً تجريدية منفصلة عن اللغة، فيجبُ أن يكون لكل جملةٍ (في أيّ لغة) ترجمةٌ تقابلها في كل اللغات الأخرى، لكن هذا قطعًا غير صحيح، إذ لم نأتِ هنا إلا بأمثلة محدودةٍ على آلاف الجمل والأفكار التي تستعصي ترجمتها من أي لغة إلى غيرها، لا بسبب صعوبة تفسير معانيها؛ وإنما بسبب مشكلة تكمنُ جذورها في اللغة نفسها،[25] وقد نجدُ ما يدلّنا على أصلها في بعض نظريات علم اللسانيات.

1.1.2 البنائية، والنسبية اللغوية

اللغة هي وسيلة تواصلٍ مشتركة بين البشر كافّة، وهي وسيلتنا في تناقل وتبادل كلّ ما نعرفه عن العالم تقريبًا فيما بيننا،[26] وليس من الغريب أن الفيلسوف "ميشيل فوكو" أطلق القول المعروف: "من اللغة تأتي السلطة"، لكن من الصعب الجزم بالعلاقة بين اللغة وحياة الإنسان وتفكيره، ففي هذا جدالٌ كبيرٌ عمرهُ أكثر من مئة عام، وبدأه باحث فرنسي في بداية القرن العشرين.

24 مثالٌ على المعنى المقصود هنا: "Lying under a warm Texas sky".

25 Culler (1976): p. 21

26 Van Troyer (1994): p. 165

1.2 سوسير ونظرية البنائية اللغوية

توفي في صباح الثاني والعشرين من فبراير سنة 1913 "فيرديناند دو سوسير" (الذي تستحيلُ تهجئة اسمه بدقّة بالعربيَّة)، والذي لُقِّب أبًا لعلم اللسانيات الحديث،[27] ولم يهتمَّ سوسير بنشرِ أبحاثه وأعماله في حياته، لكنَّ طلبته المخلصين انكبُّوا على جمع ما سجَّلوه من كلامه في دفاترهم ونشروا خلاصة محاضراته في كتاب بعد وفاته،[28] وكان لهُ ولهُم الفضل في ولادة نظرية "البنائية اللغوية" (Structuralism) التي سيطرت على دراسات اللغة لسنين طويلة وتجلَّت في جميع فروعها، ومن ضمنها دراسات الترجمة. وقد يحتاجُ شرح هذه النظرية بتفاصيلها الكثيرة إلى كتابٍ، أو كتب، على أن فكرتها الأساسية ليست معقّدة كثيرًا، إن كنتَ مستعدًا لتقبّلها، والإقرارِ بها.

روَّج سوسير لأفكار كثيرة، ونظريات رائدةٍ، تصبّ في جوهرها في اتّجاه واحد؛ إذ كان يرى أن اللغة ليست إلا إشاراتٍ اعتباطية ابتدعها البشر للتخاطب فيما بينهم[29] فهي لا تصفُ الأشياء في العالم على حقيقتها، وإنَّما تأسرها في نطاق موازنات ذهنية؛ أساسُها القارنة بين الأشياء وتحرّي الاختلاف فيها.[30] وبعبارة أخرى، كُلَّ ما يستطيع الإنسان الحديثَ عنه ليس إلا مفارقات ذهنية وتفكيرنا (الذي تحكمهُ اللغة) مأسورٌ بهذه المفارقات[31] [32] وقد تخالُ هذا الكلام دون معنى إن لم تسمع تفسيره أولًا.

تصلُ البنائية اللغوية إلى هذا الاستنتاج الجريء بخطى بطيئة حثيثة، فهي تبدأُ بتحليلٍ دقيقٍ للطريقة التي يستوعبُ بها الإنسان اللغة، وتحاولُ إثبات أن "المعنى" ظاهرةٌ ممتزجةٌ مع اللغة،[33] ولنأخذْ مثالًا بديهيًا لفهم هذا الجانب من نظرية سوسير: وهو مثال الاتجاهات. حيث يدرسُ الأطفال الاتجاهات عادة في صفوفهم المدرسية الأولى، ويتعلَّمُون حينئذٍ أن يصفوا البلاد والأماكن بناءً على اتجاهاتها، فهناك قطب "شمالي" وقطب "جنوبي"، ولبلاد العرب شطرٌ "مشرقي" وشطرٌ "مغربي"، وقد تبدو هذه الاتجاهات التي يدرُسُها طلاب المرحلة الابتدائية منطقية وعلمية جدًا في طرحها؛ فهي تُقَسِّمُ العالم إلى أربعة محاور على أساسٍ هندسي وجغرافي بَحْت، لكن هل وظيفة الاتجاهات الفعليَّة هي أن تدلنا على الجغرافيا فقط؟

يتلقَّنُ الأطفال بعد المرحلة الابتدائية دروسًا أخرى كثيرة في مواد منها التاريخ والثقافة العامة والتربية الوطنية، كما يشاهدون أخبارًا في التلفاز ويسمعونَ نقاشاتٍ عنها بين آبائهم وأصدقائهم، وعلى مر هذه السنين الطويلة يكتسبُ كل لفظ لديهم معانيَ وإيحاءاتٍ وإشاراتٍ لم تكُن مألوفةً لهم من قبل؛ ومن أكثر الكلمات تأثرًا بهذا الوسط الثقافي واللغوي في البلاد العربية (وكثير من البلدان الأخرى) هي جهتا "الشرق" و"الغرب". وقد

27 Culler (1976): p. 116

28 How to Interpret Literature, p. 44

29 Culler (1976): p. 70

30 Culler (1976): p. 52

31 Harris (1988): p. ix

32 Parker (2015): p. 48

33 Culler (1976): p. 29

تظنّ أن إيحاءات هاتين الكلمتين لا تتداخلُ معًا، فمن المفترض أن لا تتّصل معانيهما المُسيَّسة الجديدة بدلالتهما الجغرافية الأصيلة، وقد نفترضُ ننا نستطيع الحديث عن الاتجاهات بمعناها الجغرافي فنقول أن بلدًا "في الشرق" دون قصد معنى سياسي، لكن ذلك ليس صحيحًا أبدًا، فقد يفاجأ بعض الناس بأن دمشق تقعُ على خطّ طولٍ غرب موسكو، وأن تونس العاصمة أقربُ إلى الغرب من برلين وستوكهولم، بل ولو كان "العالم الغربي" مصطلحًا يمتّ للجغرافيا بصلةٍ؛ لأُلحقت القارة الأفريقية بأكملها تقريبًا بأوروبا.

والسَّبب في صُنْع هذين الإيحاءين -الجغرافي، والسياسي- هو أن "الشرق" و"الغرب" كلمتان متناقضتان في أساسهما، فهما تخلقان حاجزًا في ذهن الإنسان، حيث يرى أن كل ما هو "غربي" عكس ما هو "شرقي"، وتستمدّ الكلمتان معانيهما هنا (حسب سوسير) من هذا التناقض، وكذلك الحال مع كثير من الكلمات المألوفة لنا، إن لم يكُن في معظمها. فالبشرُ معتادون على إعطاء صفتين متضادَّتين لكل ما حولهم: فهناك شخص "طويل" وآخر "قصير"، وواحد "سمين" وآخر "نحيف"، وتوجد ثمارٌ "كبيرة" على عكس "الصغيرة"، وقد يكون الماء "باردًا" بعكس ما يكون "ساخنًا".

ويظنّ سوسير أن هذه الكلمات المتضادّة في معانيها هي حجرُ الأساس لظاهرة اللغة كلّها، ويُسمِّي العلاقة بينها: "**الثنائية القطبية**" أو "Binary Opposition"، ولعلَّها أكثر كلمةٍ يُكرّرها في نظريته؛ فهو يرى أن جميع الألفاظ والمفردات التي نستخدمُها في اللغة **لا** تصفُ حقائق واقعةً نشعرُ بها ونلمسُها، وإنَّما تعبِّر عن موازنات ذهنية تأسرُ فهمنا واستيعابنا للعالم بأُطُرٍ ضيّقة لا مفرَّ منها، وهي أطُرُ "الموازنة" و"الاختلاف": فمعنى الأشياء يتحدَّد بحسب اختلافها عن غيرها، ووسيلة استيعاب الاختلاف هي الموازنة الثنائية.[34]

وقد يبدو ادعاؤه غريبًا بالنسبة لنا إذا فكَّرنا بالكلمات المتضادَّة بتعريفها الضيّق: فقد تكون اللغة حافلةً بآلاف الكلمات المتضادَّة، لكن فيها -كذلك- آلافًا من الكلمات التي ليست لها أضداد، ومنها معظم أسماء المحسوسات: فما هو ضدّ السيارة، أو القطّة، أو المكعّب، أو التّفاحة؟

والحقيقة أن سوسير لا يُعفي هذه المحسوسات من فكرة الموازنة الثنائية، بل يراها جزءًا جوهريًا من تلك الموازنة. وتتضح وجهة نظره عند التعمّق أكثر في تعريفات هذه المفردات، فعلى سبيل المثال: كيف نعرف ما هو الكلب؟ لقد صنَّفت "منظّمة الكلاب العالمية"[35] حتى يومنا أكثر من ثلاثمئة سلالة للكلاب تختلفُ في أطوالها وأحجامها وألوانها ومظهرها، فمنها ما يصلُ وزنها إلى 150 كيلوغرامًا[36] ومنها ما لا يتجاوزُ 500 غرام،[37] وعلى هذا الفرق الكبير، فإنَّ الناس يعرفون الفرق بين الكلاب، وغيرها من الحيوانات. فكيف ذلك؟

34 Culler (1976): p. 28

35 منظمة الكلاب العالمية (Fédération Cynologique Internationale)، المصدر:
FCI breeds nomenclature. (n.d.). Retrieved October 27, 2019, from http://www.fci.be/en/Nomenclature

36 Mark C. Young (1 October 1994). The Guinness Book of Records 1995 . Facts on File. p. 27. ISBN 978-0-8160-2646-3. Retrieved 14 November 2012

37 Kevin Lynch. "Video: Meet Miracle Milly - the world's smallest dog". Guinness World Records. 2013-09-25. Retrieved 2019-07-10.

كما هو متوقّع، تنبثقُ إجابة النظرية البنائية في اللغة على هذا السؤال من الموازنة الثنائية، فعندما نرى كلبًا (وسواءٌ أكان من الكلاب هائلة الجثّة؛ التي تتقفَّى بها الشرطة المجرمين، أم من الكلاب الضئيلة التي تتنافسُ في مسابقات الجمال) فإنَّنا نوازن -ذهنيًا- بينه وبين غيره من الحيوانات التي نعرفُها، فقد نُفكِّرُ بالقطة والفأر والأرنب والذئب والنمر، حتى يتضح لنا أنه ليس أيًا منها. وما يجعلُ الكلب كلبًا -بالنتيجة- هو اختلافه عن سائر الحيوانات الأخرى حينما يُوَازَنُ بها، ولنا أن نأتي -هنا- بأمثلة كثيرة: فالمربّع هو "مربّع" لأنه ليس مستطيلًا ولا دائرة، وإنَّما هو متساوي الأضلاع ولهُ أربع جهات، وهكذا فإنَّه **يختلفُ** عن كلّ الأشكال الأخرى.[38]

وعددُ الموازنات الثنائية التي يستدعيها ذهنُ الإنسان لانهائي، إذ بإمكاننا أن نوازن بين مئات الأشياء أو آلاف منها لتعريف مفردة واحدة.[39] وإثباتُ هذا الأمر سهلٌ جدًا، فلو ظهر أمامك في حصَّة الرياضيات الشكل غير المنتظم أدناه وطُلِبَ منك تعريفهُ، فسوفَ تجاهدُ وتحارُ وترتبك؛ لأنه لا يطابقُ في أوصافه شكلًا من الأشكال التي تعرفها، وإذا لم تستطِع إسقاطه على أحد هذه الأشكال فإنَّه يبقى فكرةً غائمةً تعجزُ عن وصفها (عدا أن يكون "شكلاً غير منتظم")، بل لن تجيدَ تذكره ولن تستطيع رسمه مرة أخرى من ذاكرتك بدون أن تكتمل الموازنة التي تعطيه معناه.

لقد أعادت نظرية سوسير تعريف ظاهرة "المعنى" بالتفريق بين عالمنا المحسوس وبين مفردات اللغة التي تصفُ هذا العالم، فعلى سبيل المثال: يرى سوسير أن كلمة "الكرسي" في اللغة العربية (أو ما يماثلها في المعنى باللغات الأخرى) لا تصفُ كرسيًا حقيقيًا؛ وإنَّما هي مجرد موازنة ذهنية في عقل الإنسان،[40] فقد تتخيَّلُ في ذهنك لدى سماع هذه الكلمة صورة كرسي خشبي، بينما قد يتخيَّل شخص آخرُ كرسيًا جلديًا للمكتب، أو كرسيًا معدنيًا للحديقة، وقد لا يكون لأيّ من هذه الكراسي وجودٌ في عالم الواقع،[41] لكن أهميَّة هذه الصور هي أنها المرجعُ الذي توازنُ به الكراسي الحقيقية، لتحاولَ تقريبها إلى شيء تعرفه وتتذكره.

ويُسمِّي سوسير هذه الصورة الذهنية للكرسي: الدالّة (Signifier)؛ أما الكرسي الحقيقيّ فهو: المدلول (Signified)، وما نُسمّيه "اللغة" هو اتحادُ الدالة والمدلول. وينطلقُ سوسير من هذا التعريف، ليزعمَ أن اللغة كلّها ليست إلا دوالَّ اعتباطية ابتدعها البشر،[42] [43] وهذا يعني -مرَّة أخرى- أن اللغة والمعنى (أو الدال والمدلول) هما وجهان لعملةٍ واحدةٍ، ولا سبيل لفصلهما.

38 Culler (1976): p. 25

39 Parker (2015): p. 44

40 Culler (1976): p. 19

41 ربما تتخيَّلُ عند سماع كلمة "الكرسي" كرسيًا أزرق طُبِعَ عليه رسمٌ لميكي ماوس، ومن المحتمل جدًا أن لا تكون قد رأيتَ مثل هذا الكرسي الأزرق قطّ وأن لا يكونَ له وجودٌ أصلاً، لكنَّ ما حدث هو أنك جمعتَ في ذهنك عددًا من الكراسي التي رأيتها في أماكن مختلفةٍ لتُكوِّن منها صورة معدّلة للكرسيّ الاعتيادي.

42 Culler (1976): p. 21

43 ودليلهُ على ذلك أن الناطقين بكلّ لغةٍ في عالمنا يستخدمون كلماتٍ مختلفة ليصفوا الأشياء نفسها (أو أشياءً متقاربةً جدًاً في معانيها)، فإذا كان هناك ارتباطٌ حقيقيٌّ بين كلمة "القطَّة" وحيوان القطَّة لتحدَّث عنها كُلّ أهل الأرض بكلمةٍ واحدة (Parker, 2015: p. 46).

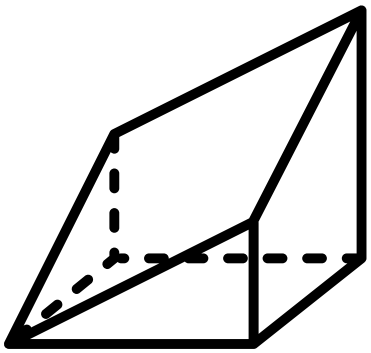

إن عليك تذكر هذا الشكل (أو أي شكل "غير منتظم" أو "غير مُسمّى" مثله) إن لم ترتبط صورته باسم يُسمّى به، وهوية تُميّزه بها عن غيره من الأشكال - منشورة تحت ترخيص المشاع الإبداعي CC-BY

1.3 النسبية اللغوية

جاء بعد سوسير عالمان وضعا نظرية مهمَّة جدًا في سياقنا هنا، مع أن صداهما في المجتمع الأكاديمي، على حجمه الهائل، كان قصير الأمد إلى حدٍ ما،[44] وتسمى نظريتهما "نظرية النسبية اللغوية"، أو: "نظرية وُرف وسابير"، إمَّا تيمُّنًا بواضعَيْها[45] أو تيمُّنًا بنظرية النسبية لآينشتاين؛ إذ أملا أن يكون لنظريتهما دورٌ حاسمٌ في اللغة كما كانت النسبية حاسمةً في الفيزياء.

وتنصّ نظرية وُرف وسابير على: أن اللغة هي العدسة التي ننظرُ بها إلى العالم، فهي عنصرٌ أساسٌ في تكوين أفكارنا؛ لا في صياغتها فقط.[46] وليست اللغة هنا مؤثّرًا منعزلاً عمَّا سواه، إنما يخبرنا وُرف وسابير أن لكلّ ثقافة (وقد تكون هذه الثقافة العربية بعمومها، وقد تكون ثقافة بلد أو حي أو عائلة) طريقةَ تفكيرٍ تختلفُ عن غيرها، ولأن اللغة من جوهر ثقافة الإنسان؛ فهي تمتزجُ بتفكيره.[47]

ويقتربُ سوسير من هذه النظرية في وصفه للغة؛ بأنها: نظامٌ من الدوالّ، ممَّا يعني أنها لا تسعى لأن تكشفَ لنا عن عالمنا كشفًا دقيقًا -كما نظنّ- بل إنَّ اللغة تختلقُ هذا العالم، وترسُمُهُ على صورته التي نشعرُ بها،[48] وليس المقصود هنا أن كل ما نراهُ حولنا وهمٌ لا يمتّ إلى الواقع بصلة، ولكنَّ الواقع واللغة مقترنان معًا في

44 Hyms & Fought (2017): p. 98

45 Botha (2000): p. 1

46 Botha (2000): p. 3

47 Botha (2000): p. 3

48 Parker (2015): p. 48

كيان واحدٍ لا سبيل لتجزئته،[49] [50] حتى إن العالم لا يكاد يوجد دون اللغة. وهذه حُجَّة عصيَّة على النفي منطقيًا، لأن مناقضتها تتطلَّب حتمًا استدعاء مثالٍ يُقَال ويُحكَى باللغة، فيبقى أسيرًا لها ولإمكاناتها.[51]

من الضروري عدم التسرّع بإسقاط نظرية النسبية اللغوية وكأنها حقيقة، فكثيرٌ من علماء اللغة لا يقتنعونَ بها مطلقاً[52] لأنها نظرية لا تقبلُ الاختبار،[53] أو يعدونها تفسيرًا ينحصرُ في كيفية مسِّ اللغة بتفكير الإنسان، وليس أن اللغة هي الأساس الواحد لتفكيره.[54] وهذه الانتقادات لا تنقضُ النظرية بالضرورة وإنَّما تعيدُ صياغتها،[55] فسواءٌ أكانت اللغة هي التي تصنعُ تفكير الإنسان (كما قال وُرف وسابير) أم ثمرةً لمنظومة ذهنية متكاملةٍ نولدُ معها وتأسر تفكيرنا (كما تشير اللسانيات الحديثة)،[56] فإنَّ النتيجة واحدة: وهي أن كلّ لغةٍ تمثّل وجهة نظر تجاه العالم تخصّ قومًا من الأقوام أو ثقافة من الثقافات، وتثبتُ لنا التجربة أن اختلاف هذه الثقافات ولغاتها قد يعيقُ نقل المفاهيم والأفكار بينها.[57] ولا يكون ذلك بالضرورة بعجزِ الآخر عن فهم طريقة تفكيرك، فالناطق باللغة العربية، قادر تمام المقدرة على أن يتعلم أنواع الثلج التي يُفرّق بينها الإسكيمو بالعشرات[58] مثلما أن الإسكيمو أهلٌ لاستيعاب الفرق بين أسماء الإبل الثلاثمئة بالعربية إنْ علَّمناهم إياها، على أن كلًا من هاتين اللغتين تُشجّع الناطقين بها -دون ريبٍ- على التفكير بأسلوبٍ مختلف.[59]

وما يعنينا في دراسات الترجمة من نظرية فرديناند دو سوسير، ومن تبعه من العلماء أمران: أولًا، أن ألفاظ اللغة اعتباطية، فلا تصفُ المحسوسات وإنَّما تتصلُ بتفكيرنا فيها. وثانيًا، أن اللغات ربّما تكونُ جزءًا من منظومةٍ تُشكِّلُ العالم ولا تصفهُ فقط. وسوف نتوسَّعُ في هاتين النقطتين لأهميَّتهما لموضوع الكتاب، واللتين ستثبتان شيئًا فشيئًا فائدتهما القطعيَّة لنا في فهم ظاهرة الترجمة.

1.4 بحر أخضر، وأشجار زرقاء

انتقد كثيرٌ من علماء اللغة نظرية وُرف وسابير أو نقضوها بنظريات لاحقة، ومن أهمّهم نعوم تشومسكي ونظريته التوليديَّة في اللغة؛ التي تقولُ: إن جميع اللغات تشتركُ في جوهرٍ واحدٍ، ولو اختلفت في قواعدها

49 Parker (2015): p. 49

50 Per Von Humboldtian thought. Botha (2000): p. 4

51 Parker (2015): p. 49

52 McWhorter (2016): p. iv

53 Van Troyer (1994): p. 163

54 Botha (2000): p. viii

55 .Hussein (2012): p. 645

56 Van Troyer (1994): p. 170

57 Van Troyer (1994): p. 171

58 Wilton (2004): p. 53

59 Deutscher (2010): p. 150

ونحوها وصرفها ظاهريًا. لكن لأفكار وُرف وسابير أهميتها الشديدة في فلسفة اللغة، ومن الجدير بنا التوقّف عند أحد أشهر أمثلتها حول اختلاف اللغات بطريقة وصفها للعالم وما فيه من محسوسات: وهو الألوان.[60] [61]

الألوان جانبٌ فيزيائيٌّ وماديٌّ من العالم، فالمستقبلات البصرية في عين الإنسان تُميّز بدقة كبيرة بين البني والأسود والأبيض والأحمر والأصفر، وكذلك بين درجات كل لونٍ من هذه الألوان.[62] ويَعرِفُ سائر الناس من آسيا إلى أفريقيا وأوروبا -كما أظهرت الدراسات- الفروق بين الألوان بسهولة، سواء أكانوا من الرُّحَّل أم المزارعين أم أساتذة في جامعات مرموقة.[63] ومع ذلك؛ فإنَّ للغة دورًا مهمًا في رؤيتنا للألوان يتجلَّى في حاجتنا لأن نعطي اسمًا لكل لون، ومن قدرتنا على أن نتّفق على أسماء هذه الألوان.[64] فكم -يا ترى- يبلغُ عدد الألوان التي سمَّاها الإنسان؟

تختلفُ أسماء الألوان في اللهجات العامية عنها في العربية الفصحى، كما تختلفُ هاتان عن أسماء الألوان في الروسية[65] والتايلندية وأي لغة أخرى، ولنقُل عبثًا أن لغات العالم مجتمعةً فيها أسماءٌ لألف لون أو أكثر، فهل لهذا العدد معنى حقًا؟ يستطيعُ جهاز الحاسوب أو الهاتفُ الذي تقرأُ به الآن التمييز بين ستة عشر مليون درجةٍ من طيف الألوان المرئي،[66] وتُميِّز عين الإنسان عددًا هائلاً من هذه الألوان، على أنه لم يخصّص في لغته لها إلا حفنةً من الأسماء، ومعاني هذه الأسماء ليست متماثلةً -دائمًا- بين اللغات.[67] [68]

نُشِرَت في سنة 1969 دراسةٌ موسّعة في هذا المجال، حاولَ فيها باحثان أمريكيان تقصّي الطريقة التي تُميّز بها لغات الإنسان أسماء الألوان،[69] وتوصَّل هذان الباحثان إلى استنتاجين كبيرين: الأول، هو أن جميع البشر يرون الألوان مثل بعضهم، فجميعهم -مثلاً- يلاحظون اختلافًا بين الأصفر والأزرق.[70] والثاني، هو أن كل اللغات تتطوّر فيها مفردات الألوان بترتيب ثابت تقريبًا،[71] ويبدأ هذا الترتيب من لونين أساسيَّين دائمًا هما: الأبيض

60 Culler (1976): p. 21-22

61 Deutscher (2010): p. 17

62 Berlin & Kay (1968): p. 4

63 Deutscher (2010): p. 62

64 Culler (1976): p. 25

65 Culler (1976): p. 22

66 Judd & Wyszecki (1975): p. 388

67 Berlin & Kay (1968): p. 3

68 Kay & Kempton (1984): p. 75

69 Deutscher (2010): p. 79

70 يتّفق البشر على اختلاف الألوان في "بؤرتها"، أي في الفرق بين الأصفر الفاقع والأزرق القاتم مثلاً، لكن الحيرة والتخبّط هما السائدان عند مناقشة تدرجات الألوان واختلافاتها (Berlin & Kay, 1968: 10)، مثل تحديد ما هي درجات اللونين الأحمر والبرتقالي.

71 Berlin & Kay (1968): p. 11

والأسود؛ لأنهما يصفان النور والظلام،[72] وبين لغات البشر اختلافات شاسعة في عدد الألوان التي لها مفرداتٌ بعد هذين اللونين الأساسيَّيْن.

من أشهر الأمثلة على ذلك؛ أن الأخضر، والأزرق كانا يعتبران لونًا واحدًا في كثير من اللغات قبل احتكاكها بالعالم الأوروبي، مثل: اليابانية[73] والصينية[74] والكورية[75] والفيتنامية[76] وأغلب اللغات المعزولة التي ينطقُ بها عدد قليل من الناس في أفريقيا وأستراليا والأمازون، ففي كثير من هذه اللغات اسمٌ واحدٌ يجمعُ بين لون البحر ولون أوراق الشجر،[77] كأن نقول: إن البحر أخضر، أو: إن الأشجار زرقاء.

وذهبت دراسة شهيرة أخرى إلى أن الإغريق القدماء لم يعرفوا إلا كلمتين للألوان: هما الأسود والأبيض، فقصدوا بالأول جميع الألوان القاتمة، وبالثاني جميع الألوان الفاتحة،[78] [79] وما زالت بعض اللغات المعزولة في عالمنا لا تُميّز من الألوان إلا بين الأبيض والأسود.[80] وتدل دراسات مُطوَّلة للأشعار على أن العرب في الجاهلية ربما قصدوا بالألوان معانيَ فضفاضةً كذلك، فكان "الأسمر" لديهم اللون الغامق (لا البني وحده) و"الأزرق" يدل على اللمعان واللؤلؤ (لا الأزرق كما نعرفه).[81]

ولا يعني هذا أن بصر العرب في الجاهلية كان مختلفًا عن بصرنا، أو أن الصينيين القدماء لم يفلحوا في إدراك الاختلاف بين الأخضر والأزرق؛ لكن الاختلاف هو أن هؤلاء القدماء نظروا نحو الأخضر والأزرق بصفتهما درجتين من لونٍ واحد،[82] [83] كأن تقول: إن الأحمر القاتم (أو الغامق، أو القاني، كلون الدم) يختلفُ عن الأحمر الورديّ (كلون النمر الوردي)، والاختلافُ هنا في المُسمَّيات وليس في حاسة البصر لدى الإنسان، إلا أن لهُ أهميته التي لا يستهانُ بها.[84]

72 Berlin & Kay (1968): p. 14

73 Berlin & Kay (1968): p. 27 & 28

74 Berlin & Kay (1968): p. 26

75 Berlin & Kay (1968): p. 25

76 Berlin & Kay (1968): p. 28

77 Berlin & Kay (1968): p. 13/14

78 Deutscher (2010): p. 30

79 كانت عند الإغريق مفردات كثيرة للألوان، لكن استخدامها ربّما كان مختلفًا عما نتصور، ويُقدّر غلادستون أن الإغريق عرفوا اللون الأحمر كذلك (Deutscher, 2010: 37)، لكنه يلاحظُ غرابة شديدة في تسمياتهم للألوان الأخرى، ويستنتجُ أنهم يصفون بأسماء الألوان ما هو قاتم وفاتح لا أكثر، ومن أشهر الأمثلة التي تدل على ذلك أن الشاعر المشهور هوميروس يقول عن العسل أنه "أخضر اللون"، وهو وصفٌ غريبٌ جدًا؛ إلا إن كان ما يقصدُ به لون العسل الناصع وليس لونه الأخضر (Deutscher, 2010: 38).

80 Berlin & Kay (1968): p. 14/16

81 Johnstone (1968): p. 447

82 Berlin & Kay (1968): p. 14

83 Berlin & Kay (1968): p. 22

84 Deutscher (2010): p. 21

تختلفُ خضرة الخيار والفليفلة الحلوة عن خضرة أوراق الخسّ، على أنك تعتبرُهما في ذهنك درجة غامقة وأخرى فاقعة من لونٍ واحد، ولعلَّ الفلاح الصيني الذي عاشَ قبل خمسمئة عامٍ كان -بالمثل- يعتبر السماء خضراء باهتة والأشجار خضراء فاقعة، فكلاهما يقعُ في لغته تحت اسم واحدٍ، وحتى لو كانت مستقبلات الفلاح الصيني البصرية متطابقةً وظيفيًا وبيولوجيًا مع مستقبلاتك أنت، فإنَّ بينكما اختلافًا شاسعًا في نظرتكما لغابةٍ تعلوها السماء أو شاطئٍ تُغطّيه الأشجار؛ فأنتَ ترى في المشهد تنوّعًا بين لونَيْن، أما سُكّان آسيا القدماء فقد كانوا يرونَ غابة وبحرًا لهما اللون نفسه مع اختلافٍ بالدرجة، وإذا أردنا ترجمة قصَّة فيها فقرةٌ توازنُ زُرْقة مياه الشاطئ بنُضْرة أشجار الصنوبر، إلى اللغة اليابانية القديمة[85] فإنَّ التباين اللغويّ بين هذين اللونين سيختفي، ويغدو تكرارًا توكيديًا لامتزاج الشاطئ وشجرة الصنوبر باللون نفسه، ممَّا ينقضُ المغزى.[86]

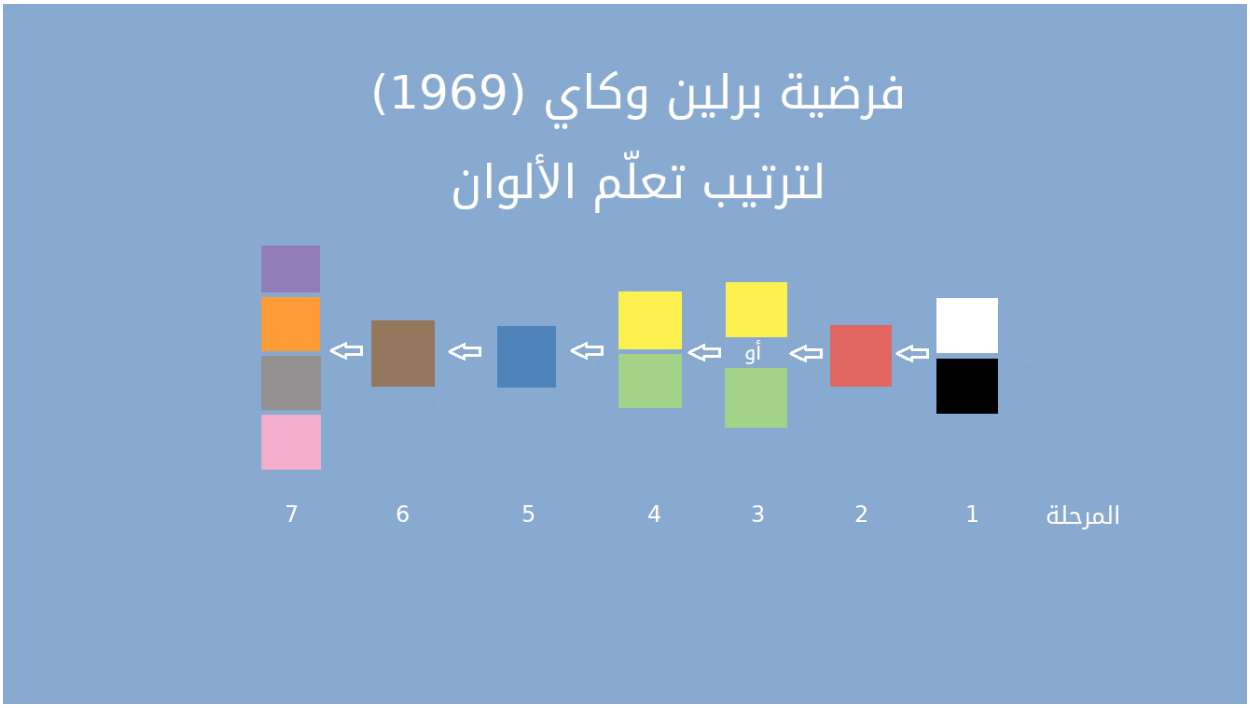

ترتيب ابتداع كلماتٍ للألوان في لغات الإنسان، بحسب دراسة برلين، وكاي في عام 1969.

تضمَّنت النظرية التي نشرها الباحثان الأمريكيان -أيضًا- قائمةً طويلةً بالألوان، مُصنَّفة بحسب مرحلة ظهورها في اللغة، فاللغة التي فيها اسمٌ واحدٌ للأخضر والأزرق -بحسب الدراسة- ليس فيها كذلك مفرداتٌ للبني ولا الأرجواني،[87] إذ إن تمييز كل لونٍ يرتبطُ بدرجةٍ مُعيَّنة من التعقيد، أو التطوّر المعجميّ في تلك اللغة.[88] ويظنّ البعضُ أن كثرة مفردات الألوان في عصرنا سببها انتشار الأصباغ الصناعية والألوان المحوسبة، التي أدَّت إلى تعدّد الألوان وتعاظم الاهتمام بها.[89]

85 Berlin & Kay (1968): p. 27 & 28

86 Berlin & Kay (1968): p. 22

87 زعمت دراسة برلين وكي أن لغات البشر تُجْمِعُ على 11 لونًا أساسيًا ترتيبها الزمني هو كالآتي: أبيض، أسود، أحمر، أخضر، أصفر، أزرق، بني، أرجواني، وردي، برتقالي، رمادي (Deutscher, 2010: 88).

88 Berlin & Kay (1968): p. 13, 14 & 28

89 Deutscher (2010): p. 39

وقد فنَّدت الدراسات التي تبعت هذين العالمين فكرة "الترتيب" الراسخ لمفردات الألوان، وذلك بسبب كثرة ما اكتشف من لغات تَشِذُّ عن هذا الترتيب،[90] لكن الفروقات في تسمية الألوان بين اللغات قائمةٌ ومتفشية. بل إن مشكلة الألوان هذه تقودنا إلى أزمةٍ جديدة: فالحاجزُ أمام الترجمة لا يقتصرُ على اختلاف الإيحاءات لكلماتٍ متقاربةٍ في معانيها المحسوسة والتجريدية؛ بل يتجاوزُ هذا الأمرَ بكثير، فبعض اللغات قد تُخصِّص كلماتٍ لمحسوساتٍ ليست لها أوصافٌ في اللغات الأخرى،[91] وقد يعجزُ أبناء تلك اللغات عن استيعابِ ماهية هذه المحسوسات أو فهمها حتى لو حاولتَ تفسيرها لهم، وذلك لأنها مستمدة من معرفة جديدة بالعالم[92] وليس باللغة فحسب.

تؤديّ تباينات الألوان (وغيرها من المحسوسات) إلى فجوات هائلةٍ بين اللغات على المستوى الثقافي، فالتمييز بين لون البحر والأشجار (السَّائد في عصرنا) لم تُعْنَ به كثير من الشعوب التي عاشت في الماضي، والتي لم ترَ ضرورةً ولا هدفًا من التمييز بينهما. وبالمثل؛ فإنَّ لدى تلك الثقافات -أيضًا- كثير من المفاهيم الثقافية التي لا تكترثُ أنتَ بها ولا تُفكّر بأهميتها، وقد تجدُ بعضها مدهشة.

1.5 استعارات غير مستردة

يذكر حديثٌ رواه علي بن أبي طالب عن العيوب التي تفسدُ الأضحية: «أمرنا رسول الله -صلَّى الله عليه وسلم- أن نَسْتَشْرِفَ العين، والأذن، ولا نضحّي بمُقابَلَةٍ ولا مُدابَرَةٍ، ولا خَرْقاء ولا شَرْقاء». وفي هذا الحديث مفرداتٌ عدّة تصفُ أنواعًا من المواشي بحسب عيوبها؛ والتي ربّما يَعرِفُ بعضَها من لهُ اطلاع في اللغة والفقه، لكن من غير المحتمل أن يسمعها أحدٌ في حياته اليومية أبدًا؛ والسَّببُ أن هذه المفردات -مثل اللعّة كلها- تخدمُ حاجة للتواصل الإنساني، ومن الواضح أن أوصاف "الخرقاء" و"الشرقاء" لم تعُد ضرورية في التواصل بالنسبة لمعظم الناطقين باللغة العربية في عصرنا، وهم الآن أُمَّة متمدّنة في معظمها،[93] لكن هذه المصطلحات كانت مفيدةً جدًا لهُم حينما كان نمط حياتهم يعتمدُ على الرعي. وتتميَّز -بالمِثْل- كل لغةٍ بثروةٍ معجمية تخصّها وتميزها عن غيرها، فتخدمُ حاجاتها وتراثَها وتاريخَها المميز، ومن المستحيل الاستعاضة عن هذه الثروة بـ" ترجمةٍ" إلى لغةٍ أخرى؛[94] ففي كل لغةٍ إطلالةٌ جديدةٌ على العالم؛ سواءٌ أكانت هذه الإطلالة حكرًا على الناطقين بها أم لا.[95]

تُعَدُّ اللغة العربية الآن خامس أكثر اللغات انتشارًا على وجه الأرض، إذ يتراوحُ عدد المتحدثين بها -تقديريًا- بين ربع وثلث مليار إنسان، ويعيشُ هؤلاء في جميع أنحاء العالم: ما بين سُكَّان الوطن العربي والمغتربين خارجه. على أن اللغة العربية نشأت في مساحةٍ صغيرة (إذا ما قورِنَت بانتشارها الحاليّ) في جزيرة العرب، وكان لهذه

90 Deutscher (2010): p. 89

91 Deutscher (2010): p. 14

92 Botha (2000): p. 170

93 تبلغ نسبة التمدّن في الكويت 100%، وفي قطر والأردن فوق 90%، وفي ليبيا والسعودية وعمان والإمارات ولبنان والبحرين فوق 80%، ولا تهبطُ النسبة تحت 50% إلا في أربع دولٍ عربيةٍ هي اليمن والسودان والصومال ومصر: وهذا حسب تقارير البنك الدولي (Plecher, 2020).

94 محمّد عناني (2000): ص16

95 Van Troyer (1994): p. 176

النشأة تأثيرٌ كبيرٌ عليها يظهرُ بسهولةٍ عند دراسة العربية التراثية؛ مثل: الكثرة غير العادية فيها للكلمات التي تصفُ الإبل، وهي أهمّ الحيوانات التي عاشَ معها سكان جزيرة العرب. فلغة العرب -مثل كل لغةٍ في العالم- أسيرةٌ لموروثها الثقافي الذي انبثقت عنه.[96]

ولا تنحصرُ أهمية هذا الموروث في أنه يأتي بكلماتٍ تتفرَّدُ بمعانيها كل لغة عن سواها، بل هي تصفُ طريقة تفكير جديدة غير مألوفة لنا،[97] فلا شك أن نظرة عرب الجاهلية إلى العالم الذي تسودهُ الإبل والصحراء والبادية؛ كانت مختلفةً جدًا عن نظرة أي شخصٍ يعيش في مدينة حديثة، وكما يقول الأديب عمر الأمين: «لكل لغةٍ ينابيعها الأصيلة؛ المعبرة تعبيرًا عفويًا فذًا عن أحوال الشعب الأول الذي أبدعها، ومفرداتها أنقى من تلك التي تطرأ عليها في مجاري تطورها واحتكاكها بغيرها عبر العصور».[98]

تتميَّز كل لغةٍ بمعجمٍ فريدٍ تستمدُّه من موروثها التاريخي، والثقافي،[99] ومن هذه الكلمات ما يصفُ أشياء يراها، ويتعاملُ معها كل الناس، لكن لها مفرداتٌ غير مألوفة في بعض اللغات دونًا عن غيرها. ومن السهل أن نأتي بأمثلةٍ سريعةٍ على هذه الكلمات من اللغة الإنكليزية المحدثة التي أدخلت مصطلحات كثيرة ليسَ لها مقابلٌ في لغتنا في مجالات التكنولوجيا والعلوم خصوصًا، بينما على أن في لغات العالم الأخرى كثيرًا من الكلمات الغريبة التي لم تسمع بها من قبل قطّ، ومن أفضل أمثلتها لغة الباسكان.

كانت الباسكان أو "الرابانوي" اللغة الأصلية للقاطنين بجزيرة إيستر في المحيط الهادئ، والمشهورين بنحتهم تماثيل عملاقة تُقلّد هيئة وجه الإنسان وجسمه بطريقةٍ مبهرة، وعدد الناطقين بهذه اللغة الآن بين 800 إلى 2,700 شخصٍ فقط، وينشأ أطفال هؤلاء القوم حاليًا على اللغة الإسبانية، وهي اللغة الرسمية لدولة تشيلي (التي تحكمُ جزيرتهم) ، وأما من يتعلَّمون لغتهم الأصلية فهم قلَّة يبذلون الجهد والوقت لاكتسابها في مرحلةٍ متأخّرة من حياتهم، لذلك أصبحت واحدةً من اللغات الكثيرة المهددة بالانقراض في العالم. وقد كان الناطقون بهذه اللغة نائين بأنفسهم عن معظم أبناء البشرية على مرّ تاريخهم، إذ إن عليهم الإبحار من جزيرتهم لمسافةٍ تزيد على ألفي كيلومترٍ للوصول إلى أي مكانٍ مأهولٍ بالبشر، ولهذه العُزلة الهائلة نتيجة طبيعية جدًا، وهي أن لغة سكان الجزيرة تطوَّرت بطريقةٍ غير مألوفة عن معظم اللغات الحديثة واكتسبت مفرداتٍ لا وجودَ لها في أيّ لغةٍ أخرى، وإحدى كلماتها الرائعة هي "tingo".

ليس من الصَّعب استيعاب معنى كلمة "تينغو"، لكن ترجمتها إلى كلمةٍ واحدةٍ في اللغة العربية (وأيّ لغةٍ غيرها) أقرب للمستحيلات؛ فمعناها هو التالي: "أن يأخذُ شخصٌ أشياء من منزلك بحُجَّة الاستعارة، مرَّة تلو الأخرى، حتى تصبح كل أشيائك ملكاً له". وقد لا تبدو هذه الفكرة غريبةً جدًا بحد ذلك؛ فلعلك شاهدتَها في مسلسل هزليّ أو في قصة مصورة ذات يوم (أو تستطيعُ تخيّلها) ، لكن هل يتبادرُ إلى ذهنك أنها فكرةٌ تستحقّ

96 عناني (2000): ص12

97 Deutscher (2010): p. 14

98 حسين المناصرة وآخرون (2007): ص17

99 عناني (2005): ص10

تخصيصَ كلمةٍ لها؟ لهذا السبب، ولأسبابٍ أخرى بالتأكيد؛ نالت كلمة "تينغو" من أحد المؤلّفين البريطانيين إعجابًا انتهى بتأليفه كتابًا كاملًا عنوانه: "تينغو، وكلماتٌ عجيبة أخرى من جميع أنحاء العالم".[100]

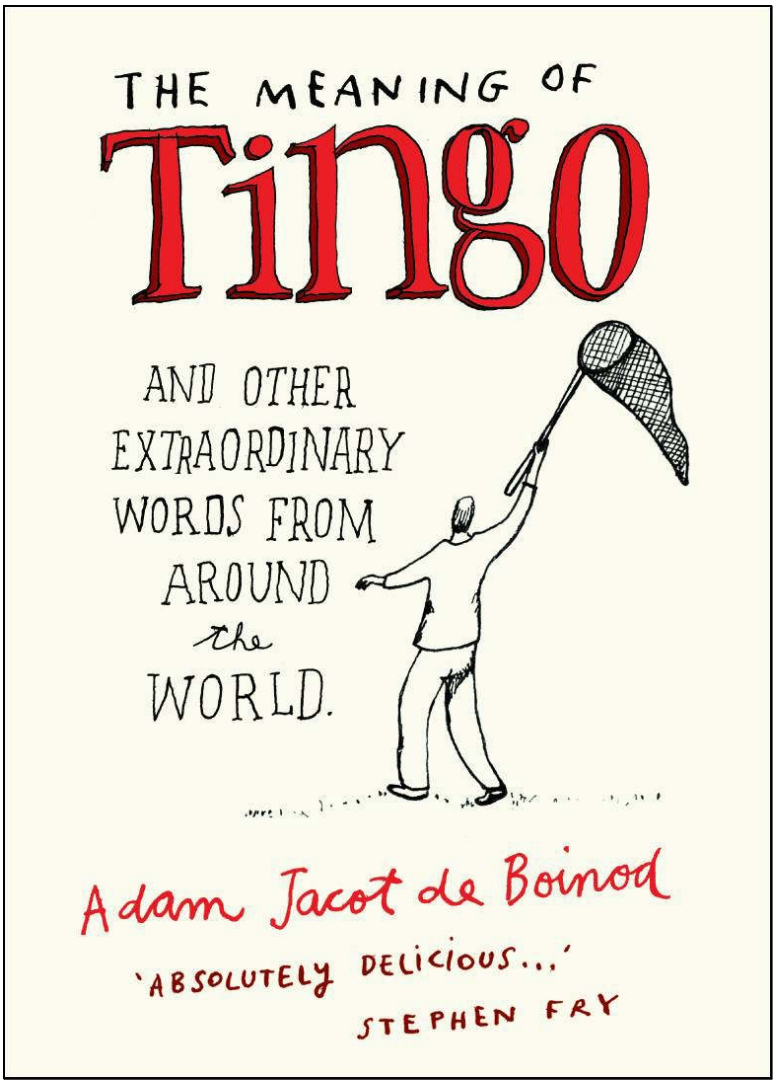

غلاف كتاب "تينغو" وكلمات عجيبة أخرى من جميع أنحاء العالم. - مقتبسة تحت ترخيص الاستخدام العادل

وربَّما يمكن إبدالُ هذه الكلمة الغريبة عنَّا -ومثيلاتها من كل اللغات- بجُمَلٍ مُطوَّلة؛ تُفسّر معانيها وتشرح مغزاها بمفرداتٍ عربية. لكن الجملة لا تساوي الكلمة؛ لا في بلاغتها ولا في مقصدها،[101] [102] والأفكار تضيعُ حينما تفتقدُ كلماتٍ تثبتها في ذهن الإنسان فيصعبُ تذكرها.[103] فهل تستطيعُ وصف الإبل لمن لم يرَها قطّ فتقول بأنها: "دابَّةٌ مثل حصانٍ كبيرٍ أحدب الظّهر؟". وهل تستطيع ترجمة عبارة "creepy house" إلى اللغة العربية إلى: "منزلٍ يبعثُ على مشاعر من الخوف الممتزج بعدم الراحة"؟ من المستبعد أن يشعر أيّ شخصٍ يعرف

100 وعنوانه الأصلي: "The Meaning of Tingo and Other Extraordinary Words from around the World"، لمؤلفه Boinod (إصدار سنة 2006).

101 محمّد عناني (2000): ص14.

102 Newmark (1991): p. 28

103 Van Troyer (1994): p. 167

معاني هذه الكلمات بالرضى عن هذه الترجمات الهزيلة؛ فهي ليست إلا دليلًا على الحاجز اللغوي والذهني القائم بين اللغات، والذي لا سبيل لردمه.

وليس من المستغرب -مع هذه الحال- أن تجدَ نفسك مضطرًا -أحيانًا- لاقتباس كلماتٍ من اللغة الإنكليزية أو الفرنسية في حديثك اليومي، رغمًا عن الإزعاج الذي تُسبّبه هذه الكلمات لمحبّي اللغة العربية، ومثلما أن الجملة لا تحلّ مكان الكلمة؛ فمن المستبعد أن تنجح الترجمة وحدها بردم حواجز ثقافية تفصلُ بين اللغات والأمم، وتفسير الكلمة الواحدة بشروحات مطوَّلة لن يُلْقِيَ في ذهن القارئ الانطباع المقصود نفسه، ومن لم يسمع عن الشيوعية من قبلُ؛ فلن يستوعب معانيها الفكرية "الأيدولوجية" المعقدة بفضل حاشية قصيرة أضافها المترجم. وهذه كلها عقباتٌ تعيق ترجمة المفردات لا أكثر، فماذا لو تعمَّقنا في قواعد اللغات وأصولها؟

1.6 تصريف اللغات

عاشَ عالم أنثروبولوجي أمريكي (اسمهُ "مايكل فيكس") بين سكان جزيرة "بابوا نيوغينيا" لمدة عامين، أجهد نفسه فيهما ليتقنَ لغة هؤلاء السكان، وكان يحملُ معه -أينما ذهب- مفكرة يُسجّل فيها كل كلمةٍ يسمعُها، وقد أثار استغرابَهُ أمرٌ وهو: أن أهل هذه الجزيرة لهم ما لا يقل عن خمس كلمات أو ستّ تتبعُ فعل "ذَهَبَ"، وفي كل مرة يذهبون إلى مكانٍ مختلف يضيفون إلى الفعل كلمة مختلفة، وأدرك أن هذه الكلمات تضيفُ معنى جوهريًا إلى الفعل، وهو تحديدُ **الجهة** التي يذهبُ إليها قائله، فلا يكتملُ الفعل دون هذه الإضافة. ولو كنتَ تتحدث بلغة "نيوغينيا" -إذًا- فلا تستطيعُ أن تقول: "أنا ذاهبٌ إلى البيت"، بل يجبُ أن تقول: "أنا ذاهبٌ **شمالًا** إلى البيت"، أو: "أنا ذاهبٌ **شرقًا** إلى السرير"،[104] وإلا خالفتَ أصول اللغة، كما لو جئتَ في اللغة العربية -مثلاً- بمجرورٍ مكان مرفوع.

ومهما كَثُرت اختلافات اللغات في المفردات والمعاني؛ فهي لا تُعبِّر إلا عن جانب واحدٍ من الحواجز بين اللغات، فهو حاجزٌ على المستوى الدلالي (أو مستوى الكلمة)، ولكن فروق اللغات تمتدّ إلى البناء القواعدي التركيبي بأكمله؛ نحويًا وصرفيًا.[105] فنحنُ معتادون على قواعد لغوية ربَّما نفترضُ أنها تنطبق على جميع اللغات أو معظمها، مثل: ضرورة تمييز الأسماء والأفعال في العدد أو غيره. على أن هذه ليست قواعد سائدة.

فاللغة الصينية لا تجبرُ المتكلم على تمييز العدد، إذ يمكن لشخص أن يقول: "جلبتُ [تفاح] من السوق"، دونُ أن يُعدّد التفاحات التي جاء بها، ولا أن يفصح عمَّا إذا كانت تفاحةً أم تفاحتين أم تفاحاتٍ أكثر،[106] كما أن بإمكانه أن يقول: إنه "[يجلب] تفاحةً من السوق"، دون تحديد الزمن الذي جلبها فيه، فلعلَّه جلبها سلفًا، أو سيجلبها مستقبلًا، إذ إن الزمن -كذلك- إضافةٌ اختيارية في تصريف اللغة الصينية، وهذه طريقة في الكلام قد يصعبُ علينا استيعابها.[107] بل إن لغاتٍ أخرى (مثل: كثير من لغات الأمريكيين الأصليين) تجمعُ في الكلمة

104 Wesch (2017): p. 113

105 Deutscher (2010): p. 97

106 Baker (1992): p. 85

107 Baker (1992): p. 99

الواحدة بين الاسم، وفعله، بحيثُ إن جملة "رميتُ الحجر" لها مفردة واحدةٌ تختزل معناها كاملاً: ويُعّبر هذا عن نظرة "واحدة" للعالم لا تنفصلُ فيها المحسوسات عن الأفعال،[108] وتضيفُ لغات أخرى (مثل الأمويشا في البيرو) تصريفًا لأسماء الأشخاص الموتى بعلامةٍ إعرابية (تشبهُ إضافة تاء مخاطب أو متكلم في العربية) ، بحيثُ تعرف دومًا ما إن كان الشخص المذكور من الأحياء أم من الأموات.[109]

ولا تقتصرُ هذه الاختلافات على لغاتٍ غريبة يتحدثها سكان الجزر والأدغال، بل هي موجودة بين أي لغتين تقريبًا، ومن السهل أن تكون عائقًا كبيرًا في الترجمة. فمن الفروقات الكبرى بين العربية والإنكليزية تصريفُ الأفعال، إذ إن الفعل العربي يلزمُ بذكر زمن الفعل والضمير المصاحبِ له، كأن نقول: " ذهبنَ" (ذهب [فعل] + نون النسوة [ضمير فاعل] + [زمن الماضي])، وأما الأفعال الإنكليزية فهي تلزمُ بذكر الزمن، وتتركُ الضمير (مثل went، فقد يكون من ذهب فردًا أو جماعة؛ ذكورًا أو إناثًا). ولا حاجة في اللغة الصينية لتصريف الفعل للضمير ولا للزمن.[110] ويستغلّ أدباء كل لغةٍ هذه الخصائص الصرفية، فيتحدَّث مؤلفو الأدب الأجنبي -أحيانًا- عن شخصيةٍ جديدةٍ دون الإفصاح عمَّا لو كانت رجلًا أم امرأة، ولا يمكن محاكاة هذا الأسلوب بالعربية.

وكما يقول اللغوي، والمترجم الشهير "رومان جاكوبسون": **لا تختلفُ اللغات بما يمكنك أن تقوله فيها، وإنَّما بما أنتَ ملزمٌ بقوله فيها**، فقد ترغمنا قواعد اللغة على التعبير عن زمن الفعل، أو اتجاه المسير، أو عن عدد الأشخاص الذين نتحدث عنهم، وما إذا كانوا ذكورًا أم إناثًا، وقريبين أم بعيدين، [111]، وهذا جانبٌ تتميَّز فيه كل لغةٍ بتصريفها ونحوها،[112] ويترتب عليه أن الترجمة منها إلى غيرها تُغيِّر هذه التراكيب وما تحملهُ من معلومات بحسب ما تفرضه قواعد اللغة المنقول إليها.[113] فمن العسير علينا أن نترجمَ بدقّة روايةً يقالُ فيها على الدَّوام ما إذا كان الناس يمشون شرقًا أم غربًا، ومن المستحيل ترجمة رواية صينية إلى العربية دون إضافة تصريف للأفعال بحسب زمنها، والأسماء بحسب عددها وجنسها، سواءٌ شاء المترجم ذلك (ورفض عنهُ المؤلّف) أم لا.

وقد يكون من الصعب أن نتقفّى أسباب هذه الاختلافات القائمة بين اللغات، لكن من الأكيد أنها ليست عبثية بالضرورة: فمعرفة الاتجاهات في جزيرة "بابوا نيوغينيا" لها قيمة لا يستعاضُ عنها للسكان الأصليين، إذ

108 Deutscher (2010): p. 5

109 Baker (1992): p. 86

110 Deutscher (2010): p. 111

111 ومع هذه الخصوصية التي تتميز بها كل لغة عن الأخرى؛ صرفًا، وتركيبًا نحويًا؛ يتحتم علينا إبداء شيء من الليونة تجاه النص المترجم، بالقدر الذي نحافظ فيه على النص الأصلي، ومثال ذلك تقديم الصفة على الموصوف في اللغة الإنجليزية كأن نقول: beautiful girl، وهو تركيب مخالف لطبيعة التركيب في اللغة العربية وقواعدها؛ فعندما نترجمها لا نقول: جميلة فتاة، بل نقول: فتاة جميلة، ولو لم نتصرف هذا التصرف اليسير، من حيث تقديم الموصوف على الصفة، لخالفنا قواعد التركيب في اللغة العربية فهل هذا التصرف اليسير في التركيب قد أخل بخصوصية اللغة الأجنبية، وأضر بها؟ بلا أدنى شك أننا لو تمسكنا بحرفية التركيب في اللغة الأجنبية لكانت الترجمة صورة مشوهة جدًا عن الحقيقة. ولعلنا نقتبس الفقرة الأخيرة من كلام المؤلف لهذا الكتاب: "فعمل المترجم لا يخضعُ لكل ما سلفَ من قواعد العلوم الصرفة، والمنطقية، بل يعتمد في معظمه على الإبداع والفن"، والمقصود بالإبداع والفن هنا حسن التصرف. وهنا لنا أن نتساءل: لماذا تصرفنا في تينك الجملتين، ووقفنا حائرين أمام بعض الجمل الأخرى ولم نتصرف بما يمليه علينا السياق من ضرورات، مع المحافظة على الفكرة الرئيسة للنص الأصلي، وعدم الإخلال بها؟ (المدقق).

112 Deutscher (2010): p. 151

113 Baker (1992): p. 84

ليست بحوزة هؤلاء أجهزة حديثة لاتصال بعضهم ببعض، ولا نظام تحديد المواقع الجغرافية، ولا طرقات محفورةٌ، ومُعبَّدة أو لافتاتٌ يعرفُون فيها أين يذهبون، بل عليهم أن يجدوا طريقهم في الغابات، والجبال منذ نعومة أظافرهم.[114] ولا شك بأن في اللغة الصينية وغيرها أسبابًا لما تتّسم به من مرونة في التصريف، فلو كان الصينيّون حريصين على معرفة أزمنة الذهاب والإياب وعدد التفاحات التي يجلبها أصدقاؤهم من السوق، لكانت قواعد لغتهم ستُعبِّر عن ذلك.

إذًا، تصنعُ اللغة -كما رأينا- حواجز ذهنية بين الناس بسبب اختلافات في ثقافاتهم، وكذلك بسبب اختلاف لغاتهم وقواعدها،[115] وهذه حواجز من الصعب تجاوزها بالترجمة، ويبقى عائق ذهني أخيرٌ تصنعُه اللغة بين الناس؛ ولم نناقشه بعد في هذه المقدمة، مع أننا سنحتاجُ إلى التطرّق إليه عند التعمّق بالترجمة تطبيقيًا، وهذا العائق هو اختلاف طريقة استيعاب اللغة بين الناطقين بها أفرادًا.

1.7 تلال معشوشبة، أم جرداء؟

لنتخيَّل قليلًا شخصين افتراضيين، ولنُسمِّهما سامر وسيف. وُلِدَ سامر وسيف في المدينة نفسها، ونشأ كلاهما على لغةٍ واحدة هي العربية العامية، ثم تعلَّم الاثنان العربية الفصحى في المدرسة، وشيئًا من الإنكليزية، لكن بينهما اختلافًا واحدًا: فهُمَا من طبقتين مختلفتين اقتصاديًا. فقد تربَّى سامر في عائلة ميسورة، إذ أهداهُ والداه سيارة جديدة وهو في المدرسة الثانوية، وسافر إلى الولايات المتحدة وأوروبا قبل أن يدخلَ الجامعة. وأما سيف، فيغادرُ المدرسة بعد الظهر ليعملَ صبيًا في ورشة للسيارات في حيّ شعبي قديم، وهو لم يغادر مدينته -قطّ- ولا يكادُ يقابلُ أيَّ أشخاصٍ من خارج حيّه. ولنطرح الآن سؤالًا عن هذين البطلين الافتراضيين: هل يُفكّر سامر وسيف بالعالم بالطريقة نفسها؟ وهل تدلّ اللغة لديهما على معانٍ وإيحاءات متماثلة؟

يرى سامر، وسيف في كل يومٍ مئات السيارات، ومن البديهي أن السيارات في أيّ مكانٍ في العالم متشابهة جدًا، فجلّها منتجاتٌ مستوردة تصنعُها شركات مشهورة ترنّ أسماؤها في آذان الجميع (ميتسوبيشي، تويوتا، هوندا، وهلم جرًا)، لكن تجربة الاثنين مع هذه المركبات مختلفة جدًا. فإذا سمعَ سامر كلمة "سيارة" فإنَّ أول ما يتبادرُ إلى ذهنه هو سيارة فارهة نظيفة، يركبها في كل صباحٍ ويُشغّل التكييف ويقودها بسعادةٍ إلى عمله، وأما سيف؛ فإنَّ الكلمة توحي لهُ على الفور بسيارة مهترئة متهالكة، مثل السيارات التي يغسِلها في ورشته طوال النهار. ومن جهة أخرى، إذا سمعَ سيف كلمة "أمريكا" فإنَّه يُفكّر بأرضٍ خيالية يعيشُ فيها ممثلو هوليوود وتأتي منها شطائر ماكدونالدز، وأما سامر فهو يسمعُ كلمة "أمريكا" ويرى أمامهُ طرق نيويورك المزدحمة وأشجار السنترال بارك وناطحات سحاب مانهاتن؛ التي تجوَّل بينها حتى صار يعرفُها مثل حيّه.

وسامر وسيف هنا هما مثالٌ على ارتباط اللغة بتجربة الإنسان، فكل كلمةٍ نستخدمها في حياتنا اليومية توحي لنا بإيحاء قائم على تجربتنا الشخصية مع العالم، وهذه التجربة تأسرُ فهمنا للغة وتُقيّده ضمنَ الخلفية الذهنية التي يتميَّزُ بها كل إنسانٍ عن سواه. وقد تبدو (على هذا المستوى) ترجمة الكلام ضروريَّة بين جميع

114 Wesch (2017): p. 113

115 Botha (2000): p. 3

الناس، لا بين اللغات فحسب، فكلٌ منا يقصدُ بالكلمة الواحدة معاني ومدلولاتٍ تخصّه، وقد يزيدُ المترجم على ترجمته كلماتٍ تعكسُ ميوله الشخصية لا ميول المؤلف، أو يعجزُ عن فهم الإيحاءات التي يحاولُ المؤلف نقلها لقرّائه، فنضيفُ بهذا عقبةً وحاجزًا جديدًا يستحيلُ على أي مترجمٍ أن يخترقه، مهما سعى جاهدًا لذلك.[116]

وهذا ما يتحدَّث عنه الباحث محمَّد عناني بقوله إن اللغة كائنٌ إنساني حضاريّ، وهو يكتبُ في ذلك:

> «[يحيلُ] القارئ الألفاظَ إلى مدلولاتِ حياته التي يعرفها حتى يَثْبُتَ له أنه فهم ما يقرأ، فالذي يقرأ كلامًا بالإنجليزية عن الزُّهور يحيل هذا الكلام إلى واقع خبرته بالزُّهور، إما في حياته المادِّيَّة أو في خبرته الذِّهنية وحسب، فهو قد يتصوَّر ما يعرف من الزُّهور حتى يطمئنَّ إلى فهم ما يقرأ، وقد يتصور ما يقرؤه بالإنجليزية عن الزُّهور في إطار ما يعرفه بالعربية عن الزهور.»
>
> — محمد عناني[117]

فاللغة -بالنتيجة- لها صفةٌ شخصية، وعقبات الترجمة لا تقتصرُ على الحواجز الثقافية والفكرية والقواعدية بين اللغات، بل إن مشكلتها في "المعنى" ذاته الذي ليست لهُ صفةٌ ثابتةٌ بين الأفراد والأشخاص، ناهيك عن المجتمعات الإنسانية. ويمكننا الإلمام تمامًا بزوايا النقص الحتمي في ظاهرة الترجمة (الذي تناولناهُ من جوانب عِدَّة حتى الآن) من قائمة جمعها عالمٌ من علماء اللّغة، وهي تُلخّص كلَ خللٍ في المعنى أو الثقافة يقتضيه نقلُ الكلام بين اللغات.

1.8 إشكالات "بيرمان" الاثنا عشر

وضع باحث اللغة الفرنسي؛ "أنطوان بيرمان"، قائمةً في كتُبُه حصرَ فيها اثني عشرَ سمةً، يقعُ فيها نقص وتحوير أثناء الترجمة، فتختفي فيها لمسة المؤلّف الأدبية على حسابِ وضوح معنى الترجمة. وفيما يلي "**ترجمةٌ**" لإشكالات بيرمان الاثني عشر حسبما رتبها صاحبها:[118] [119]

1. **القواعد**: التلاعب بقواعد اللغة وتراكيبها لتلائم اللغة الجديدة، مثل إعادة ترتيب الكلمات في الجملة وتغيير العلاقة بينها تماشيًا مع اختلاف اللغتين.
2. **الإيضاح**: تفسيرُ كلماتٍ وجملٍ قصد المؤلّف أن يتركها مبهمة.
3. **التطويل**: تميلُ كثير من الترجمات لأن تكون أطول من الأصل؛ لأن فيها إيضاحًا وتفسيرًا مبالغًا فيهما.
4. **البلاغة**: يتلاعبُ كثير من المترجمين باختيار الكلمات في النصّ، ظنًا منهم أنهم يبدلونها بما هو أبلغ.

---

116 Botha (2000): p. 50

117 محمّد عناني (2000): ص173

118 بعض الترجمات مقتبسة من نسخة "الترجمة والحرف أو مقام البُعد"، لعز الدين الخطابي، الطبعة الأولى (2010)، صادرة عن المنظمة العربية للترجمة في بيروت (لبنان)، ص 11.

119 Munday (2008): p. 147-148

5. **التحريف**: إبدال كلمات الأصل بما يختلف عنها في انطباعاته غير المباشرة، مثل: الرمزية الدينية لشيء (كالصليب أو القربان)؛ أو الكلمات التي تحاكي أصواتًا حقيقية، مثل: "فحيح" الأفعى.

6. **التبسيط**: إبدال كلماتٍ عدَّة لها معانٍ متفاوتة في الأصل؛ بمرادفٍ واحدٍ في الترجمة، مثال ذلك: أن في الإسبانية ثلاث كلماتٍ معناها "وجهٌ" ولا سبيل لمقابلتها في الترجمة إلا بكلمة عربية واحدة، ممَّا يُبسِّط التنوع المعجمي.

7. **القوافي**: تقعُ هذه المشكلة في الشّعر -كثيرًا- وفي النثر -أحيانًا-، وذلك لاستحالة نقل المزايا الصوتية (من سجع وتناغمٍ، وتلاعبٍ بالكلمات، والقوافي) بين اللغات.

8. **الصرف**: صعوبة نقل التشابه الصرفي المقصود بين مجموعة من الكلمات، والذي يحملُ قيمةً لغوية محدّدة، مثال: أن أسماء الأمراض في العربية يُتْبَع فيها -بالقياس- وزن فُعَال (سُعَال، وزُكَام، وعُضَال).

9. **التناسق**: عادةً ما تكون أصول النصوص متناسقة في شكلها ونمطها ورسالتها كاملةً، وأما الترجمة؛ فإنَّ كل جزءٍ منها يكتسبُ لونًا جديدًا بسبب الإشكالات الاثني عشر هذه، فيضيعُ التناظرُ فيما بينها.

10. **الأمثال**: يرى "بيرمان" أن تبديل الأمثال الأجنبية بنظائرَ لها من لغة الترجمة تضيّع الخصوصيَّة الثقافية للأصل، وكمثال لو بدَّلنا جملة: "كل الطرق تؤدي إلى روما" بـ"كل الطرق تؤدي إلى بغداد".

11. **اللهجات**: قد يعجزُ المترجم عن نقل اللهجات الدارجة والعامية باللغات الأخرى إلى اللغة التي يترجمُ إليها، مع أهمية دلالاتها الثقافية والاجتماعية، كأن يتعذَّر عليه نقل لهجة الأمريكيين السود التي تُميِّز مجتمعهم وثقافتهم.

12. **اللغات**: تعجزُ الترجمة عن نقل تعدّدية اللغات في أحد النصوص، كأن تتمازج عدّة لغاتٍ في عمل واحد يكونُ تارةً بالإيطالية وتارةً بالإسبانية، فضلًا عن تبديل اللكنة واللفظ التي تُميّز المتحدث بلغة أجنبية.

وعند ترجمة عملٍ أدبيّ تتزاحم على المترجم هذه الصعوبات كلها، وذلك لكثرة ما يملأ هذه الأعمال من لمسات فيها هذه الإشكالات من التشبيهات الصوريَّة، والتلاعُبِ بالألفاظ، والموسيقى، والشعر، وهذا ما يدفعُ كثيرًا من هواة الأدب للاستياء من قراءة كتابٍ بغيرِ لغته الأمّ، بل ولعدم تقبّل قراءة الكتب المترجمة إطلاقًا إذا ما أتقنوا لغتها الأصلية. وقد يبدو هذا (وما سلف من عقبات وحواجز) مصدرًا للإحباط لمن يسعى إلى دخول عالم الترجمة، فهل يعني ذلك أن وظيفة المترجم ليست ذاتَ قيمة؟

كما مرَّ بنا، لا شك أن بين لغات الإنسان فروقات كثيرة وحواجز ذهنية[120] وقواعدية وفردية بحيثُ يستحيل نقلُ الكلام بينها دون ضياعٍ شيء من معناه ومغزاه ووقعه، وهذا يعني أن الترجمة -بتعريفها المعتاد- مستحيلة، وأن مهنة المترجم شاقةٌ جدًا. لكن النتيجة التي نسعى إليها هنا ليست الدعوة لليأس من الترجمة واعتزالها، وإلا

120 Deutscher (2010): p. 155

لما احتجنا لباقي صفحات هذا الكتاب، وإنما بوسعنا حَلُّ المشكلة بإعادة تعريف مهنة المترجم: فعمله لا يخضـعُ إلى قواعد العلوم الصرفة والمنطقية، بل يعتمد في معظمه على الإبداع والفن.[121]

121 يقول الكاتب المشهور جورج شتاينر أن الترجمة "فنّ متقن"، فهي تتطلَّبُ الدقة رغم أن الدقة فيها لا تتبعُ منهجًا ولا نظامًا ثابتًا.

دورة علوم الحاسوب

مميزات الدورة

- بناء معرض أعمال قوي بمشاريع حقيقية
- وصول مدى الحياة لمحتويات الدورة
- تحديثات مستمرة على الدورة مجانًا
- شهادة معتمدة من أكاديمية حسوب
- إرشادات من المدربين على مدار الساعة
- من الصفر دون الحاجة لخبرة مسبقة

اشترك الآن

2. فن الترجمة وأنواعها وأساليب الترجمة الحديثة

يقول "وولتر بينجامين" في مقالة شهيرة: إن الهدف الأول من الترجمة هو الوصول إلى من لا يستطيع القراءة بلغة أجنبية، وذلك «لتحرير النص من سجن اللغة» التي كُتِبَ بها، وبثّ الحياة فيه بلغاتٍ جديدة.[1] ولولا هذه الغاية لصارت الترجمة محضَ استنساخٍ قاصرٍ،[2] فهي -بطبيعتها- يكتنفها نقصٌ وعيوب حتمية مهما بذل المترجم جهده وطاقته.[3] فما هي -إذًا- قيمة الترجمة مقارنةً بأصلها؟

2.1 الترجمة، أم الأصل؟

لا تكمُنُ غاية الترجمة في نقل الأدب كاملاً ومثاليًا بين لغتين، وإنَّما بتيسير الوصول لجوهر هذا الأدب (ولو نقص منه شيء) إلى من لا سبيلَ لهُ غير ذلك. فلولا الترجمةُ لما شاهدت في طفولتك أي مسلسلاتٍ وأفلام كرتونية تذكر، ولولاها لما كنت لتقرأ كثيرًا من كتب الأطفال المحبوبة (مثل سلسلة "أولادنا" من دار المعارف، وسلسلة "ليدي بيرد" من مكتبة لبنان) بلغتك الأمّ، ولولاها -أيضًا- لما كان ليقرأ إنسانٌ في عصرنا الحاضر قصة ألف ليلة وليلة،[4] ولا ملحمتَي: الإلياذة والأوديسة، ولا كتاب "فن الحرب" الشهير، فجميعُها تُرجِمَت عن لغاتٍ تراثية اندثرت منذ زمن طويل.

وتستمدّ الترجمة معناها ومصدرها واعتبارها من الأصل، فسببُ الاهتمام بأيِّ ترجمةٍ هو أنها نشأت من نصّ أجنبي، ولو لم تكُن رواية "هاري بوتر وحجر الفلاسفة" مترجمةً عن Harry Potter and the Pilosopher's Stone لما اكترث بقراءتها كثير من الناس، لكن العكس غير صحيح؛ فالأصل لا يحتاجُ للترجمة ولا يتأثر بها. ومع مرور السنين قد تتقادمُ الترجمة، فتتلاشى قيمتها مع تغيّر ألسنة الناس وأذواقهم وتفضيلاتهم، وأما الأصل فإنَّه

1 Munday (2008): p. 169

2 Bullock & Jennings (2004): p. 254

3 Berezowski (1997): p. 20

4 تُرْجِمَت قصص "ألف لية وليلة" بالأصل عن اللغة البهلوية (الفارسية القديمة)، ومن ثمَّ حفظها التراثُ العربيُّ إلى يومنا الحاضر.

يظلّ كنزًا أدبيًا على مدى الزمان، فالأوديسة لا زالت تُقرأ إلى يومنا هذا، لكن معظم ترجماتها[5] صارت أقرب إلى " صيحاتٍ"[6] تتبدَّلُ كل بضع عشراتٍ من السنين،[7] ويزعمُ الألمان -مثلاً- أن ترجمة شكسبير بلغتهم أفضل من مسرحيات شكسبير الإنكليزية، بينما يشتكي الفرنسيون دومًا من ركاكتها عندهم.[8] ولكثير الأعمال الأدبية صلاحية شبه أبدية، فالناس يقرؤون في عصرنا أشعار المتنبي والمعري، مع أنها نُظِمَت في زمنٍ لا يمتُّ لزماننا بصلة، وأما الترجمات فهي تتقادمُ بسرعة، إذ تسعى الترجمة -إجمالاً- لمحاكاة ذوق الناس الحالي وليس ذوقهم وقت كتابة النص الأصلي.[9]

وليس من دليلٍ أقوى من هذا على صعوبة وظيفة المترجم: إذ لا تكفي ترجمة كتاب عن الإنكليزية إلى العربية مرة واحدة، وذلك فالترجمة عملٌ نسبيٌ، وهي تختلفُ في كلِ مرة حسبَ الشخص الذي يقوم به والجمهور الذي يستهدفه. ومن أمثلة ذلك ترجمة دريني خشبة للإلياذة، وعنوانها: "قصة طروادة"، فهي ترجمةٌ شعريةٌ اختصرَ فيها الملحمة وأعاد ترتيب فصولها (سعيًا لتيسير قراءتها بالعربية)، وأما سليمان البستاني فقد ترجم نص الإلياذة الكامل شعرًا -بعربيَّة فصيحة- في نهاية القرن التاسع عشر أو بداية القرن العشرين، وتختلفُ هاتان الترجمتان كلَ الاختلاف عن ترجمتي عنبرة الخالدي وممدوح عدوان للعربية الفصحى الحداثية. فكلُ ترجمةٍ مما سلفَ لها ميزاتها وسيئاتها، بحسبِ مهارة المترجم وحنكته وهدفه من عمله،[10] وكلٌ منهم خصَّ جوانب من الأصل على حساب أخرى، مثل أن يُضحّي بجمالِ النصّ على حساب الدقة في المعنى.[11]

ونجحت الترجمة -في جميع الأحوال- بأن تنقل إلينا كنوزًا أدبية كثيرة عمرها آلاف السنين، والتي أُنتجت في ظروف اجتماعية وإنسانية لا تكادُ تمتّ بصلةٍ لواقعنا الحاضر، ونُقِلَت هذه الكنوز -كذلك- إلى مئات اللغات في كل قطرٍ من أقطار الأرض، وما زال الناس (أو بعض الناس) يستمتعون بقراءتها ويتذوّقونها في أيامنا، ولو بنكهة وطريقة مختلفة عما عرفه القراء في زمنها، وربما لا يمكن للترجمة إلا أن تصونَ جزءًا صغيرًا من روعة الأصل، ومع ذلك فإن هذه اللمحة البسيطة تبقى ثمينةً ومؤثّرة بما يكفي لتُكرِّسَ أجيالٌ كاملةٌ من البشر نفسها لقراءتها ودراستها. فلا شكَّ أن الترجمة -على صعوبتها- تستحقّ عناءها وتأتي بثمارها،[12] ولو أنها قد تتطلَّبُ حكمةً وفطنةً هائلةً لتأتي بوقعها المرغوب، وتتجلى كثيرٌ من هذه الحكمة في الاختيارات العديدة التي على المترجم أن يُقْدِمَ عليها.

5 عدا ترجمة ألكسندر بوب الشهيرة باللغة الإنكليزية.

6 أي "موضة" كما يقال بالعامية.

7 Bullock & Jennings (2004): p. 256

8 Kenneth Rexroth, 2020. Literature. [online] The Encyclopædia Britannica. Available at https://www.britannica.com/art/literature#ref505930 [Accessed 6 August 2020].

9 Kenneth Rexroth (2020).

10 Munday (2008): p. 29

11 Botha (2000): p. 167

12 Kenneth Rexroth, 2020. Literature. [online] The Encyclopædia Britannica. Available at https://www.britannica.com/art/literature#ref505930 [Accessed 6 August 2020].

2.2 جمل، أم إبل؟

نشر الباحث الإيطالي "أمبرتو إيكو" في سنة 2003 كتابًا بعنـوان: Mouse or Rat ("جُـرَذٌ أم فـأر؟")، وهـو يطرحُ في كتابه واحدةً من أكبر المعضلات التي تلقى بحثًـا في الترجمـة، ولا تـدورُ هـذه المعضـلة حـول الفـئران والجرذان (مثلما يوحي عنوان الكتاب)، وإنما يستشهد "أمبرتو" بمثالٍ بليغٍ لـه علاقـةٌ بتينـك الكلمـتين لإيصـال المقصـدِ من كتابـه، إذ يطـرحُ مشـكلةً واقعيَّة طالمـا يواجههـا المـترجمون الإيطـاليّون في نقـل كلمـة rat من الإنكليزية. فهل من الأصحِّ ترجمتها إلى topo ("فأر") أم ratto ("جرذ")؟

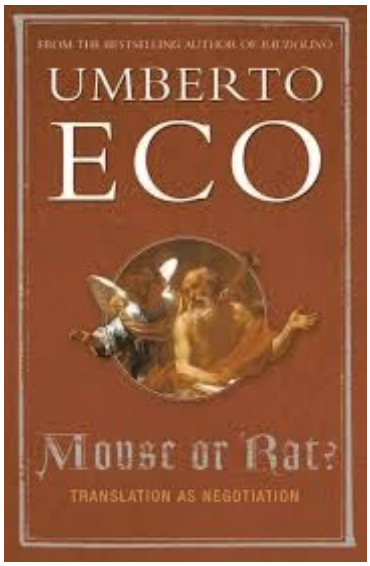

غلاف كتاب "جُرَذٌ أم فأر؟". - مقتبسة بترخيص الاستخدام العادل.

في مشـــهدٍ من مســـرحية هـــاملت المشـــهورة، يقـــول البطـــل وهـــو ينظـــر إلى ســـتارة في الغرفة: ?How now? A rat (ومعناها التقريبي: «ما هذا؟ جرذ!»)، والمقصود هنـا ليس حيـوان الجـرذ، بـل أن هاملت انتبه لشخصٍ متطفّل دخل الغرفة خلسةً واختبأ خلف الستار، واختيار كلمة "جرذ" في هذا السياق اختيار حذقٌ لأن لها دلالتين في اللغة الإنكليزية: فقد يقصد بها حيـوان الجـرذ (بوصـفه كائنًـا مزعجًـا يرتـاعُ النـاس حين رؤيته) أو شخص متطفّل (لأنّ اكتشاف متطفـل في الغرفـة يثـيرُ أحاسـيس من الهلـع، تشـبهُ تلـك الـتي يثيرها منظر جُرَذ).

ويقول الكاتب: إن من الأسلم ترجمة الكلمة في هـذا السـياق إلى topo (ومعناهـا بالإيطاليـة: فـأر)، فكلمـة "فأر" لدى الإيطاليين تُعطي إيحاءً بـالهلع من كـائنٍ غـير مرغـوبٍ بـه، وهي أقـلّ دقـة من كلمـة "جـرذ" بمعناهـا الحرفي، لكنها أقرب للإيحاء المطلوب. ولهذا فإن ترجمة "فأر" مناسبة جدًا في السياق الأدبي، وأما عند الحديث عن الجـرذان في سـياقٍ علميّ، كـالقول بـأن: "الجـرذان نشـرت وبـاء الطـاعون في أوروبـا"، فلا بُـدَّ من ترجمتها إلى ratto، لأنهـا المفـردة الأكـثر دقـةً على الصـعيد الأحيـائي. ويُسـمَّى الاختيـار بين كلمـتي الفـأر والجـرذ -كما سلف- "المساومة" (Negotiation) أو "المفاضلة" في الترجمة، أي المفاضلة بين المعاني بعضها على حسـاب بعض، وانتقاء الأنسب للسياق؛ فكلُ ترجمةٍ لها سياقٌ صحيح، وسياقٌ خطأ.

ويصلحُ -بظنّي- تقريبُ هذا المثال المحوريّ في كتـاب "أمـبرتو إيكـو" إلى مثـال قـريب في اللغـة والثقافـة العربية، والتي تكثرُ فيها أسماء حيوان آخر هو الجمل؛ لما لهُ من منزلةٍ كبيرة في التراث العربيّ، حتى صعب على المعاجم حصرُ أسمائه، فيقالُ أن له منها ثلاثمئة. إلا أن أسماء هذا الحيوان (كما نعلم الآن) ليست مترادفة، فكل منها يأتي محملًا بإيحاءات ذهنية مختلفة، مثل ما يرد في هاتين العبارتين:

- تعد الجمال العربية أول أنواع الجمال التي انتفع بها الإنسان.[13]
- تعالى النهار حتى أقبلت الإبل من كل فج بما عليها.[14]

ربَّما يتّضح من أسلوب وسياق كلتا الجملتين السابقتين أن: الأولى حديثـة، والثانيـة تراثيـة، فعنـدما يسـمعُ العربي كلمة "الجمل" غالبًا ما تتبادرُ إلى ذهنه صورة جملٍ ككائنٍ حيّ (وربما يكون قـد رآهُ بـأمّ عينيـه في حديقـة للحيوانات، أو في البادية، أو في رحلةٍ ما)، ولو شاهد هذا الحيوان في فيلم وثـائقي عن الحيـاة البريـة، فغالبًـا مـا سيقول عنه: إنه "الجمل"؛ لأن هذا هو الاسم الأكثر شـيوعًا في عصـرنا، وأمـا لـو كـان الفيلم الوثـائقي عن تـاريخ العرب والمسلمين أو عن قيمة الجمال في الثقافة والتراث العربية؛ فمنَ المحتمل أكثر أن يـأتي بكلمـة "الإبـل"، لأنها مستساغةٌ في تلك السياقات، وأما لو كان الحديث عن أنثى الجمل في القرآن فقد عبَّرت كلمة "الناقة" عن ذلك المعنى؛ الذي ارتبط بناقة النبي صالح.

وحتى لو كانت هذه الثلاث الكلمات شبه مترادفة[15] في معناها؛ فإنَّ الانطبـاع اللغـويَّ الـذي تثـيرهُ في ذهن المستمع مختلفٌ جدًا. ويفهمُ الناطقون بكل لغةٍ هذه الاختلافات الطفيفـة في وَقْـع الكلمـات، فيسـتخدمون كلًا منهـا لغايـةٍ وهـدفٍ بحسـب مـا يريـدون الحـديث عنـه، سـواءً أكـان ذلـك بـوعيٍ منهم أو بـدون وعي، وأنتَ لا تُحذِّر -مثلًا- سائق سيارة في بلدٍ صحراويّ قائلًا: انتبه، أمامك ناقـةٌ تعـبرُ الشـارع! وبالمِثْـل، على المـترجم حينمـا يواجه هذه الكلمة بلغةٍ أجنبية في الترجمـة فعليـك أن يعي سـياقها، وأن يختـار بنـاءً على سـببٍ منطقي أيًـا من مقابلاتها العربية هو الأنسب لسياقه، وهكذا "يساومُ" بين المعاني مثلما قال أمبرتو إيكو.

في الترجمة -دائمًا- طرقٌ عدّة تصلحُ للتعبير عن المعنى، غير أن كلَ طريقـةٍ تحفـظُ جـزءًا من معـنى الكلام أو إيحائه وتفقدُ جزءًا، وجوهر الترجمة وإبداعُها هو حُسْن اختيار الترجمة التي تحفظُ الجـزء الأكـبر. وسـبيلُ المـترجم للاختيار بين هذه الطرق أن يرجعَ إلى مقصد الترجمة وغايتها، فكلُ سياقٍ وكـلُ جمهـورٍ يسـتدعي غايـة مختلفـة، وتظهر مهارة المترجم في تسخير اللغة للغاية المرجوّة،[16] مثلما أن المترجم الإيطالي يختـارُ -بنـاءً على غايتـه- بين كلمتي "الجرذ" و"الفأر"، ومثلما أن المترجم العربي قد يختـارُ ذات يـومٍ بين "الجمـل" و"الإبـل". وهـذا الاسـتنادُ الدَّائم للحكم الشخصي؛ هو ما يجعلُ الترجمة **ضربًا من الفنون**.[17]

13 كتاب "الإبل و الجمال وأنواعها" (ص9).

14 كتاب "البداية والنهاية"، الجزء السادس (ذكر ردة أهل البحرين وعودهم إلى الإسلام).

15 مع اختلافها في الجنس أو العدد الذي تشير إليه (كأن "الإبل" جمع)، وهو اختلاف نحوي لا دلالي.

16 Nord (2016): p. 570

17 من الجيد التقاط فلسفة المؤلف والتعرف عليها، وعلى رؤيته لجوهر الترجمة، وغايتها، حيث جعل الترجمة ضربًا من الفنون، وفي هذا السياق أحيل القارئ على آخر فقرة في الفصل الأول التي يقول فيها أن المترجم (لا يخضعُ لقواعد العلوم الصرفة، والمنطقية،

2.3 التـرجمة فن

لا يسمع المرء باسم العم "دهب" إلا ويتخيل مسبحًا مليئًا بالنّقود في قصره الفـارِهِ بمدينـة البـط، والـذي لا يكاد يتبرَّعُ العم "دهب" بقرشٍ واحد ممَّا فيه، ولو كان ذلك لأقربائه اللطفـاء (سوسـو ولولـو وتوتـو) ولا ابن أختـه "بطوط". لكن اسم العم "دهب" المحبوب بين القرَّاء العـرب هـو في الحقيقـة "سـكروج مـاك دك"، وابن أختـه "بطوط" هو "دونالد دك"، وأقربائها الصغار هم "هُوِي ودُوِي ولُوِي". ولـولا أن دار الهلال اسـتحوذت على حقـوق نشر القصص عربيًا في سنة 1959؛ لرُبَّما بقي العم "دهب" العم "سكروج" إلى الأبد،[18] مثلما أن مستر "سلطع" (من مسلسل سبونج بوب) رُبَّما كان ليبقى "مستر كرابز"، وأن "بظ يطير" (من فلم "حكاية لعبة") كـان سـيبقى "بز لايتيير"،[19] وهذه محضُ شخصيات قليلة من أيقونات كثيرة نشأت عليها أجيال من الشباب والكهول، والـتي ندينُ بها لإبداعات في الترجمة العربية.

يقول نعوم تشومسكي:

«اللغة إبداع حرّ، فقوانينها وأسُسها ثابتة، لكنْ في اتباع هذه المبادئ تساهل ينجم عنه تنوّع لانهائي».[20]

ولأن الترجمة من فروع اللغة فإن لها -كذلك- مبادئ عامة؛ وهي التقيّـد بمعـنى النص الأصـلي، وفيهـا بـابٌ كبيرٌ للإبداع بإعادة خَلْق جماليات النصّ بلغة جديدة، ولهذا فعلى كل مترجم أن يضيفَ إلى النصّ شيئًا من ملكته الشخصية، والتي لا غنى عنها للتعويض عن بعض ممَّا فقده النص أثناء نقله.[21]

بَذلَ الباحثون محاولات كبيرةً في الماضي للتغاضي عن إبداع المترجم، وذلـك بـأنهم حـاولوا جعـل الترجمـة نشاطًا علميًا أملًا بأن تتبعَ درب العلوم الطبيعية من الرياضيات وأقاربها، إلا أن ثمة اتفاقًا عامًا بين البـاحثين الآن على أن الترجمة عمل إبداعي (أو مزيجٌ بين الإبداع والعلم، أو بين الأدب واللغة[22])، ولذا، لا يجـوزُ تقييـدها بقواعـد صارمة. فلا بُدّ أن يتحلَّى المترجم بحُرّية اختيار الكلمات والتعابير المناسبة في ترجمتـه؛ بنـاءً على خبرتـه وقدراتـه اللغوية، ولا يمكنُ إغفال دوره الشخصيّ في اتخاذ عددٍ لانهائيّ من القرارات الصغيرة والكبيرة بالترجمة، والتي قد

بل يعتمد في معظمه على الإبداع والفن).هذا الإبداع وهذا الفن الذي يعنى إبراز قدرات المترجم في تجسيد المعنى الذي أراده المؤلف الأول للنص، بكل ما يحمله الفن من سمات وخصائص التحرر من قيود العلم (المدقق).

18 صدر العدد الأول من مجلة ميكي عن دار الهلال في شهر يناير سنة 1959، واعتمدت المجلة في أعدادها الأولى الأسماء الأجنبية لجميع الشخصيات (مثل "دونالد داك")، لكن العم دهب يتميَّزُ بأن اسمه عُرِّبَ منذ العدد الأول للمجلة، بينما لم يُعرَّب اسم بطوط حتى العدد الرابع ولم ينل بندق اسمَه حتى العدد الثالث عشر (فتحي حسين عامر، 2019: ص108).

19 Buzz Lightyear من فلم "حكاية لعبة" (صدر سنة 1995، مدبلج بالعربية)، وفي تعريب اسمه إبداع كبير ليماثل الصوت الأجنبي، وMr. Krabs من مسلسل "سبونج بوب" (صدر سنة 1999، مدبلج بالعربية).

20 Chomsky (1988): p. 152

21 Levý (2011): p. 47

22 Levý (2011): p. 57

تُغيِّرُ من وقع هذه الترجمة في نفس القارئ جذريًا. وتزداد الحاجة إلى موهبة المترجم هذه كلَما كان للنص قيمة أدبية وبلاغية أكثر،[23] فنقلُ جمال الكلام أصعبُ من مضمونه.[24]

بسبب الترادف السطحي بين اللغات الذي رأيناه سابقًا، يجب على المترجم أن يحتكم إلى خبرته -أولًا وأخيرًا- ليُقرِّبَ فحوى الكلام وجماله من الأصل،[25] وهذا يجعلهُ أديبًا وفنانًا أكثرَ منهُ عالمًا، فهو يستند إلى مَلَكة الخيال واللغة؛ لا أنه يبحثُ عن المعاني الصَّحيحة والدقيقة[26] (حتى ولو أن تفنّنه يبقى محصورًا ضمن ما يمليه النصّ الأصلي).[27] ولهذا فإنَّ ما يسعى إليه هذا الكِتَابُ ليس إلا أن يعطي المترجم مقدّمة ينطلقُ منها، وأن يُعِينَ المترجم على وضع أساسٍ منهجيّ يحتكمُ إليه في ترجمته ليتمّها على أكمل وجه، وأما اختيار هذا المنهج فهو قرار يرجع إلى المترجم وحده. ولكنْ وقبل الخوض في مناهج الترجمة، لا بُدَّ من الإلمام بأنواع الترجمة وفئاتها المتعدّدة.

2.4 أنواع الترجمة

الكتابة أنواعٌ، والترجمة كذلك، فليسَ كلُ من يكتبُ سبقًا صحفيًا قادرًا على تأليف كتاب، وليس الأديب بمؤهَّلٍ لكتابة إعلانات دعائية لمطعمٍ أو محلّ تجاري. فالمهمة الأولى تحتاجُ صحفيًا، أما الثانية فتحتاج مؤلفًا، وأما الثالثة فتحتاج مسوّقًا، وجميعهُم كُتَّابٌ، لكنْ لكتاباتهم أسسٌ وقواعد متباعدة: وكذلك المترجمون، إذ ليست ترجمة روايةٍ للكاتب الشهير "دستويفسكي" كترجمة مقالة علميّة في ميكانيكا الكم، لا من حيث المحتوى ولا من حيث جمهور القراء.

2.4.1 الترجمة المهنية

تُعنَى الترجمة المهنية بكل نقلٍ بين اللغات لهُ هدفٌ مهني أو وظيفيّ، ومن أمثلتها المعتادة: ترجمة الوثائق التجارية، وعقود العمل، والأوراق القانونية والحكومية، وأدلة (كتالوغات) استخدام الأجهزة الإلكترونية، وما إلى ذلك. وأهم سمات الترجمة المهنية أنها تتطلَّبُ الدقة الشديدة، وعدم الخروج عن معنى النص الأصلي بزيادة الكلام أو نقصانه، وفي الالتزام بالمصطلحات المعروفة والواضحة.

والترجمة المهنية ضرورية في الحياة اليومية للناس، خارج إطار الكتب والأدب، ولكنها تتكون -في الغالب- من نصوصٍ يقرأها المرء في العمل، أو حينما يبتاع شيئًا من متجر، أو حينما يشاهدُ إعلانًا على شاشة التلفاز. وقد يكونُ هذا النوع من الترجمة أكثرَ ما يُطْلَبُ في سوق العمل؛ وذلك لفائدته التجارية والعملية، وقد يبدو مُضْجرًا للمترجمين الشّغوفين باللغة والأدب، لكنه -عادةً- مجزٍ أكثر من الناحية المادية.

23 Botha (2000): p. 38

24 Levý (2011): p.48

25 Levý (2011): p.48

26 Robins and Crystal (2020)

27 Levý (2011): p. 55

2.4.2 التـرجمة العلمية

تندرجُ الترجمة العلميَّة -عادةً- كفئة ضمنَ الترجمة الأدبية، وذلـك لكـونِ معظم الكتب، والمقـالات العلميـة، ضربًا من ضـروبِ "الأدب الـواقعي"،[28] ولكنْ بين هـاتين الفئـتين اختلافٌ شاسـعٌ بالنسـبة للمـترجم، وذلـك لأن الترجمة الأدبية تتطلَّبُ منهُ حسًا لغويًا مرهفًا ومبدعًا، أما الترجمة العلمية فالغرضُ الأساس منها هو نقلُ المعنى والمضمون الأكاديمي.

ومن سمات الأدبيَّات العلميـة وحـدة أسـلوبها -تقريبًـا- في جميـع اللغـات، فهي لا تتضـمَّن -مثلًا- إحـالات ثقافية وليس فيها تلاعبٌ بالألفاظ أو قواف شعرية، لذا من شروط ترجمتهـا حُسْـن اسـتيعاب الموضـوع وفهمـه أكثر من الإبداعي اللغوي. ورغم ذلـك، من المشـكلات الشـائعة في الترجمـات العلميـة الاقتصـار على تسـليمها لأساتذة العلوم الطبيعيـة، كـونَهم الأدرى بهـا والأقـدرَ على فهم مضـامينها المُعقَّدة، ولكن الإشـكال يـأتي من أن معظم هؤلاء المتخصِّصين ليسوا على دراية عميقة بعلوم اللغة، وبالتالي قد يقعون -أحيانًا- في أخطـاءٍ كثـيرةٍ في الكتابة والأسلوب، كما أنهم ليسوا دومًا متمكّنين من اللغة التي ينقلون منها.[29]

ويندرجُ ضمن هذه الفئة كثير من أنواع الترجمة المنتشرة حديثًا، و منها ترجمة المجلات العلميـة والمقـالات الأكاديمية إلى العربية، التي تمارسها كثير من المجموعات التطوعية في الإنترنت والمواقع الرقمية.

2.4.3 التـرجمة الأدبية

تُغطّي الترجمة الأدبية نقـل أيِّ عمـلٍ فـني أو إبـداعي من لغـةٍ إلى أخـرى، وبالتـالي، فهيَ تتضـمَّنُ: ترجمـة الكتب، والروايات، والمسرحيات، والشـعر، والقصـص المُصـوَّرة، والمانغـا، والأفلام، والمسلسـلات التلفزيونيـة، والكرتونية. والسِّمَةُ الأساس لجميع هذه الأعمال أنها مقترنةٌ -إلى أبعد الحُدود- بثقافة أجنبية، ولهذا فإن ترجمتهـا تستلزمُ خبرة ودراية هائلة باللغتين (المنقـول منهـا وإليهـا)، وإلى اطّلاعٍ كبـير على الثقافـات الأجنبيـة، بـل وعلى نظرية الترجمة. ولعلَّ الترجمة الأدبية هي أصعبُ أنواع الترجمة وأكثرها استنزافًا للوقت والجهد.[30]

فمن المُتوقَّع من المـترجم الأدبي الجيِّد أن يكـونَ قـادرًا على فهم الإشـارات الثقافيـة والحيـل اللغويـة في الأصل، وعلى ترجمتها أو تعويضها ببديلٍ عنها، إذ لا يكفي أن يترجم المعاني الحرفيـة. فعلى سـبيل المثـال: قـد تحتوي كثيرٌ من الأفلام الأجنبية على إشاراتٍ إلى الثقافة الأمريكيـة يصـعبُ على المشـاهد العـربي فهمُهـا، وقـد تتضمَّنُ كثير من الروايات أشعارًا بلغـاتٍ وأوزانٍ مختلفـة عن الشـعر العـربي، وفي مثـل هـذه الأمـور امتحـانٌ لا يستهانُ به لقدرات المترجم الأدبي وسعة حيلته وخبرته باللغات.

في الترجمة الأدبية -خصوصًا- موضوع كبيرٌ يسـتغرق نقاشًـا بين المـترجمين؛ وهـو ترجمـة الكلام حرفيًـا، أم التصرّف فيه. والمعضلة هُنَا هي أن لكل أديبٍ صـبغةً متفـرّدة جـدًا تختصُّ بهـا كتاباتـه، ولا سـبيل لحفـظ هـذه

28 Non-fiction، وتعريفُ الأدب هنا هو التعريف الأجنبي الذي يختلفُ عن انطباع كلمة "الأدب" باللغة العربية فتقصدُ به كل المطبوعات والمنشورات بعمومها حتى ولو تناولت موضوعات عامة.

29 إبراهيم زكي خورشيد (1985): ص48.

30 إبراهيم زكي خورشيد (1985): ص49.

الصبغة (أو شيء منها) إلا بالترجمة الحرفية، وأسلوب المؤلف ليس مشكلةً في أنواع الترجمة التي سبقت؛ لأن تركيزها على المحتوى، وأما تركيز الترجمة الأدبية فهو على الجمال والأسلوب. وسنعودُ إلى الحديث عن هذه المشكلة مرات عدَّة.

2.5 أساليب حداثية

للترجمة أنواعٌ حسب النصوص التي تأتي بها -كما سلف- وكذلك حسب الأسلوب المعتمدة في الترجمة. والطريقةُ الأبسطُ وربَّما الأجود للترجمة هي الترجمة اليدوية، مع الاستعانة بالمعاجم والمراجع، وبها تُترجمُ معظم الكتب والمؤلَّفات والمطبوعات المنشورة، وتكونُ مسؤولية المترجم في هذه الطريقة هي قراءة نصّ بلغة يتقنُها وترجمتهُ كاملًا إلى لغةٍ أخرى. على أن في الترجمة -أيضًا- طرقًا حداثية شاعت بعض الشيء، فأصبح بعضُها شرطًا ضروريًا وملزمًا في العمل المهني، ومن أهمها ما يسمى خطأً "الترجمة الآلية".

2.5.1 الاستعانة بالآلة

نشأ في مدينة الكوفة أيام العباسيين عالمٌ اسمهُ "يعقوب بن يوسف"، وكان ابنًا لشيخٍ من شيوخ قبيلة كِندة العربية، فلُقِّبَ بلقب "الكندي". ولمعَ اسم الكندي في الفلسفة والعلوم، ولفتَ انتباه الخليفة المأمون فجعله رئيسًا لبيت الحكمة -آنذاك- وما فيه من ترجمة حثيثة للعلوم والفلسفة اليونانية إلى العربية، ويُنسبُ إلى "الكندي" الفضل في نقل الأرقام الهندية إلى اللغة العربية (ومنها إلى أوروبا فيما بعد)، ولعله استمدَّ من عمله هذا اهتمامًا بالأرقام والشفرات؛ التي سُمِّيت دراستها وقتئذٍ "علم التعمية"، فطوَّر الكندي في هذا العلم أساليب إحصائية تستنبطُ اللغات التي كُتِبَ بها النص وتُهيّئ لترجمتها أو فك شفرتها. وبعد وفاته بأحد عشر قرنًا، وظَّف عالم رياضيات أمريكي اسمهُ "وارين ويفر"[31] أبحاث الكندي[32] في اختراع "الترجمة الآلية"، وبالفعل فقد نجح في ذلك عام 1949.

أولت الحكومة الأمريكية هذه التقنية اهتمامًا شديدًا؛ أملًا بأن تُوظِّفها في ترجمة النصوص الروسية إلى الإنكليزية آليًا لتحقيق مصالحها في الحرب الباردة، ولكن برامج الترجمة البدائية آنذاك اعتمدت على استبدال كلِ كلمةٍ من اللغة الروسية بكلمةٍ إنكليزية تقابلها في المعنى، وهو (كما رأينا في الفصل الأول) خطأ منهجي أعطى الترجمة الآلية سمعة رديئة لحقت بها[33] لنصف قرن، أو أكثر.

لكن الزمن تغير، وأصبحت الاستفادة من الترجمة الآلية مهارة مرغوبة ومطلوبة في مجالات العملِ الحديثة بالترجمة، وخصوصًا لدى الشركات والمؤسَّسات الأجنبية، والسَّببُ في هذا ليس نابعًا من جودتها، وإنَّما من سرعتها وقلَّة تكلفتها. على أنه ينبغي التفريق هنا بين "الترجمة الآلية" (Machine translation) و"الاستعانة

31 Warren Weaver

32 Dupont (2018): p. 5

33 Hatim & Munday (2004): p. 115

بالآلة" (Computer-assisted translation)، ففي الحالة الأولى تبقى مهمـة الترجمـة بيـد الآلـة من الألـف إلى الياء، وفي الثانية يستعينُ المترجم بالآلة كأساسٍ يعملُ على تحريره وتنقيحه.[34]

والفكرة الأساس التي تقومُ عليها الترجمة الآلية هي أن معظمَ الجمل المستخدَمة في اللغـة، وخصوصًـا في المنشورات المهنية، تتّسم بتكرار كبير لتراكيب نحوية ومعجمية مقاربة، وبالتالي لا يحتاجُ المترجم لإضـاعة وقتـه بإعادة ترجمتها مرة تلو الأخرى.[35] فأهم مـيزةٍ لهـذه الـبرامج -على الأرجح- هي أنهـا تحفـظُ قاعـدة بيانـاتٍ شـاملة لجميع المفردات والجمل الأجنبية وترجماتها التي اختارها المترجم سابقًا، وتُسمَّى هذه البيانات "ذاكرة الترجمـة" (Translation memory)،[36] وكلامنا في نهاية المطاف هو تكرارٌ لعددٍ محدودٍ من المفردات والتراكيب اللغويـة، ولذا فإنَّ ذاكرة الترجمة تسمحُ للمترجم -نسبيًا- بالاكتفاء بعمله السابق، وكذلك بتوحيد المفـردات والصـيغ الـتي يكتبُ بها.[37] وقد تُخفِّض البرامج التي فيها هذه الميزة وقت الترجمة إلى النصف تقريبًا، فتزيدُ من ربح المترجم -في كل ساعة عمل- إلى الضعف أو نحوه.

وتتضمَّن بعضٌ من هذه البرامج ميزاتٍ جيّدة أخرى، منها: تقييم جودة الترجمة، واكتشاف الأخطـاء اللغويـة، والوصول الفوري إلى المعاجم والقواميس (لمراجعة معاني المفردات)، والوصول إلى قاعدة بيانـات عملاقـة من ذواكر الترجمة التي استخدمها مئات أو آلاف منهم قبلك. على أن الاعتمادية المفرطـة على بـرامج الترجمـة لهـا مشكلاتها، فهي تحصرُ اختيارات المترجم في الصياغات السهلة والركيكة، بدلًا من تشـجيعه على تطـوير أسـلوبه البلاغي وملكته اللغوية؛ ممَّا قد يكون مضرًا بمن يهتمّ بإتقان الترجمة جماليًا وفنيًا.

من أشهر برامج الترجمة الآلية المستخدمة في الشركات الاحترافية (لو أردت الاطلاع عليها أكثر) ما يأتي:

- OmegaT برنامج مجاني مفتوح المصدر، وهو متخصّص ببناء ذاكرة للترجمـة، وموجّـه نحـو المـترجمين المحترفين في قطاع العمل.
- SDL Trados Studio أكثر البرامج اسـتخدامًا وانتشـارًا في سـوق العمـل الاحـترافي، يتضـمّن جميـع الميزات والإضافات التي يحتاج إليها المترجم، وتكلفته ليست أقل ثمنًا من فوائده.
- Wordfast إضافة يمكن إلحاقها ببرنامج مايكروسـوفت وورد لتحويـل أي مسـتندٍ إلى تنسـيق مناسـب للترجمة، وهو مُوجَّه للمترجم الحرّ وكذلك للشركات الكبرى.

تجد في أكاديمية حسوب قسمًا كاملًا عن هذا الموضوع باسم الترجمة بمساعدة بالحاسـوب CAT تجـد فيـه مصادر وشروحات كثيرة مفيدة حول أشهر هذه التطبيقات.

34 Hatim & Munday (2004): p. 115

35 Hatim & Munday (2004): p. 114

36 Hatim & Munday (2004): p. 113

37 Hatim & Munday (2004): p. 115

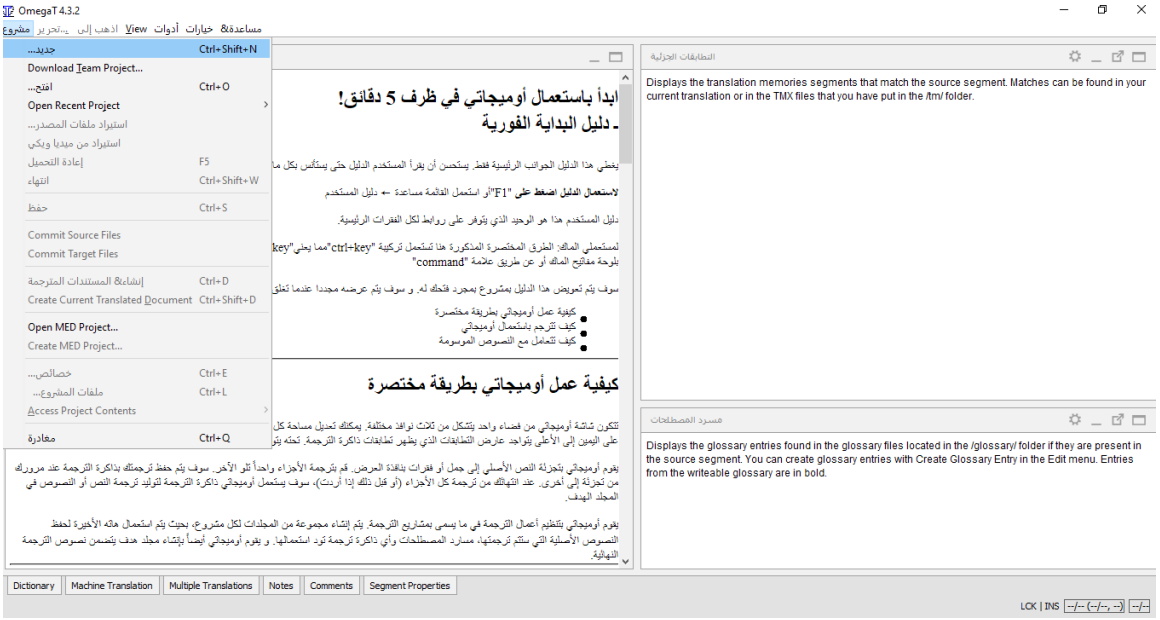

واجهة برنامج OmegaT للترجمة المُحَوْسَبة، وهو برنامج مجاني ومفتوح المصدر، وواجهة استخدامه مُعرَّبة كاملة.

2.5.2 الترجمة التلخيصية

بالنظر لصعوبة الترجمة الأدبية؛ فقد ابتدع الشّغوفون بها من الأدباء طرقًا مبتكرة لتجديدها وتيسيرها، ومن أهمّ ما تطرَّق إليه المترجمون العرب فيها الترجمة التلخيصية. ومبدأ الترجمة التلخيصية هو؛ أن الأدب لا يأتي عفويًا وطبيعيًا إلا لو صاغهُ الكاتب من بنات أفكاره ومن وحي ذهنه، إذ إن البراعة في الترجمة العربية هي أن "يشعر القارئ أنها كُتبت أصلًا باللغة العربية"،[38] والحلّ لهذا هو أن يعتزل المترجم مسؤولية الناقل الأمين وأن يتوجَّه للتلخيص، فيقرأ كتابًا كاملًا ومن ثمَّ "يعيد تأليفه" بأسلوبه الشخصي، حسب فهمه واستيعابه، فتأتي ترجمته وكأنها كتابٌ عربيّ أصيل.

ومن أشهر من جروا على هذا المنهج الأديب المصري دريني خشبة، الذي ترجم العديد من الملاحم الشعرية الإغريقية (وأهمّها الإلياذة والأوديسة) بإعادة ترتيب أحداثها وفصولها، وباختصار أحداثها بحسب ما رآه مناسبًا للقارئ العربي، حتى انتهت نسخته من الإلياذة بمئتي صفحة، وصفحاتها لدى غيره من المترجمين تتجاوز السبعمئة. وقال دريني خشبة يصفُ رأيه في منهجه بالترجمة:

> «أنا لا أزال عند رأيي من وجوب تحبيب الأدب اليوناني الخالد إلى قراء العربية وإزالة ما عسى أن يصرفهم عن ورده، والاستمتاع بروائعه، و[لكن] الأدب اليوناني مُثْقَلٌ بمئات من أسماء الآلهة والإشارات الأسطورية التي تصرف القارئ عن لب الموضوع، بل ربما صرفتهُ عن الموضوع نفسه وزهّدتهُ فيه، فلا يعود إليه أبدًا، ولهذا آثرتُ التلخيص على الترجمة».
>
> — دريني خشبة

38 [مصدر] إبراهيم زكي خورشيد

وجـرى الأديب مصـطفى لطفي المنفلـوطي على هـذا النهج كـذلك، فلخَّص من خلالـه كثـيرًا من الروايـات الأوروبية وأخرجها وكأنها عربية أصيلة، فعدَّل تفاصيلها وعناوينها، بل إنه لم يذكُر دومًـا أصـول هـذه الترجمـات أو مؤلّفيها، ومن أشهر ترجماته: "الفضيلة" و"تحت ظلال الزيزفون" و"بول وفرجيني" و"الشاعر".[39]

وقد تلقَّت الترجمة التلخيصية نصيبها من الانتقادات بين الأدباء العـرب، ممَّن وجـدوا في التلخيص تحـويرًا للأدب الأصلي وعبثًا به، ومن أهمّ هؤلاء: سليمان البستاني، وهو مترجمٌ آخر اعتكـفَ على نقـل ملحمتَي الإليـاذة والأوديسة إلى اللغة العربية شعرًا (وهو عملٌ شاقّ وعسيرٌ جدًا)، وبالتـالي كـانت لـه أسـباب قويـة للتـوجّس ممَّا لحقَ بهاتين الملحمتين بعدهُ من ترجمة تلخيصية، فيقول في نقد أصحاب منهج التلخيص:

> «فأجروا أقلامهم -بل هي جـرت بهم- مطلقـة العنـان، يجـدُون مـا يريـدون دون مـا أراد الواضـع.[40] فمن مُتصـرِّفٍ بالمعنى يزيدُ وينقصُ على هواه، فيفسدُ النقل ويضيعُ الأصل، ومن متسـرِّع يضـنّ بـدقائق من وقتـه للتثبت من مراد المؤلف، فيلتبس عليه فهم العبارة، فينقلها على ما تصوَّرت له لأول وهلة، فتنعكس عليـه المعـاني عن كـرهٍ منه، ومن ماسخ يُلْبِس الترجمة ثوبًا يرتضيه لنفسه، فينقلب بالمعاني على ما يطابق بغيته ويوافق خطته، حتى لا يبقِي للأصل أثرًا، ومن عاجز يجهد النفس ما استطاع، وهو إن أجهدها ما شاء؛ غير كفـءٍ لخوض هذا العباب.[41] ثمَّ يقومُ هؤلاء الكتاب ويسمّون ما كتبوا تعريبًا، وأولى بهم أن يسـمّوه تضـمينًا أو اختصـارًا، أو معارضـةً، أو مسـخًا».
>
> — سليمان البستاني

2.6 خطوات التـرجمة

لا تنحصرُ وظيفة المترجم في فهم اللغة التي يترجمُ عنها (SL)،[42] بل عليه -أيضًا- إتقـانُ الكتابـة باللغـة الـتي يترجمُ إليها (TL)[43] إتقانًا احترافيًا بل وأدبيًا، إذ يمكنُنا القول -من زاوية ما- أن المترجم ليس إلا كاتبًـا يتقنُ لغـاتٍ عِدَّة، والتغاضي عن مهارة الكتابة سببٌ لانتشار الترجمات الرخيصة الركيكة، فمن المحتمل أن من كتبوهـا كـانوا بارعين جدًا في اللغة التي يترجمونَ عنها؛ إلا أنهم قد لا يجيدون الكتابة بلغتهم الأمّ، وبهذا أتقنوا خطوةً واحدةً من الترجمة فحسب.

39 حسين خمري (2007): ص 42

40 يقصد بـ"الواضع" مؤلّف الكتاب الأصلي بلغته الأجنبية، والذي لم يشأ -برأي البستاني- أن يظهر ما ألَّفه على شاكلته بعد التلخيص.

41 أي أن المترجم مهما بذل من جهدٍ لن يقترب من مستوى الأصل ولن يفلح في نقله إلى لغةٍ أخرى.

42 اختصارًا لكلمتي: Source language، وهو المصطلح العلمي المستخدم في هذا السياق، ويرد هنا التزامًا بالتعريف الأكاديمي للترجمة.

43 اختصارًا لكلمتي: Target language.

خطوات الترجمة الثلاث.

ويرى الباحثون أن الترجمة تسيرُ دومًا بترتيبٍ من ثلاث خطوات متوالية تتكاملُ معًا:[44]

1. **القراءة**: وهي أن يقرأ المترجم النص الأصلي لاستيعاب معناه وفهم دلالته بعُمْقٍ يتجاوز القارئ العـادي. ويعمدُ المترجم هنا إلى المعاجم ليفهم المعاني الظـاهرة للنصّ، فضـلًا عن العـودة إلى المراجـع الأخـرى لفهم معانيه الخفية ودلالاته الثقافية.[45] وتحتاج هذه الخطوة إلى إلمام لغوي واطلاع عـام لن نتطـرَّق إليـه بعمق في سياق هذا الكتاب، ولكننا سنتطرَّق إلى بعض جوانبـه بخصـوص الأقلمـة الثقافيـة في فصـل تعريب الثقافة.
2. **السَّبْك**: وهي مرحلةٌ وسطى، يتمعَّنُ فيها المترجم بمـا قـرأه ويفكّـر بصـياغته الأنسـب في لغـةٍ أخـرى، وهذه هي المرحلة التي يجب أن يستغلّها في تفكيك المعاني الحرفية للكلمات، وتكييفها بمـا يتناسـب مع قواعد اللغة التي ينقلُ إليهـا. وأمـا الإسـراع إلى المرحلـة الثالثـة دون تفكـيرٍ؛ فهـو السَّـببُ المباشـر للترجمة الحرفية.[46] وهذه الخطوة موضوع جوهري يناقشهُ الكتاب كاملًا.
3. **الكتابة**: وهي كتابة الجملة الجديدة باللغـة المنقـول إليها[47] وتعـديلها وتحريرهـا، وسـيأتي ذكـرُ ذلـك في بعض فصول التعريب.

44 Levý (2011): p. 31
45 Munday (2008): p. 63
46 Munday (2008): p. 63
47 Munday (2008): p. 63

2.6.1 المعضلة العصية

على المترجم في هذه الخطوات أن يتقمَّص دور الكاتب، ومثل كل كاتبٍ؛ فهو مضطرٌّ إلى الاختيار بين آلاف الألفاظ والمفردات التي قد يُعبِّر فيها عمَّا يريد، ومهمَّته هنا أسهلُ من الكاتب؛ لأنه يسترشدُ بالمعاني الواردة في النصّ الأصلي، لكن هذه المعاني لن تكفي للاحتكام إليها في قراراته، لأن على المترجم أن يصطدمَ مرة تلو الأخرى بمعضلة كبيرة حيَّرت المترجمين منذ نحو ألفي عام، فتضعهُ أمام خيارين:

- إما أن يُفضِّل حِفْظ روح النصِّ البلاغية، والمعنوية، فيترجمه حرفيًا؛ لحِفْظ معناه، وإيحائه، مثل: نقل كلمتي "Our savior" إلى "**مُخلِّصنا**".
- أو أن يُفضِّلَ الكتابة بلغةٍ عربية طبيعية، وكأن النصَ جاء عربيًا، فيقولُ: "**الرّب**" أو "**الله**" لكونهما المصطلحين المتعارف عليهما في هذا السياق.

ولكل من هاتين الطريقتين مدرسةٌ تُؤيِّدها، وتدعمها منذ مئات او آلاف السنين، مثلما سوف يأتي فيما بعد.[48] وعلى كلِ مترجم -في وقتٍ ما- أن يختارَ موقفًا يعبر عنه من هذا الخلاف، على إحدى النهايتين المُتطرِّفَتين: إما الترجمة الحرفية الحريصة على التقيُّد بالأسلوب الأصليّ، أو الترجمة الحُرَّة التي تُفضِّلُ بالمعنى. ولهاتين المدرستين هدفان مختلفان، هما: الهدف الجمالي (صَوْنُ جمالِ النص، واللغة، وتدفقه، وسلاسته، وسلامته من الأخطاء)، والهدف الدلالي (الدقة، والأمانة في الالتزام بالمعنى الأصلي، وبمزاياه الأدبية، كما أرادها المؤلف).

2.6.2 تفضيل الأسلوب

يشعرُ كثير من المترجمين بأهميَّة صَوْن روح النصّ الأصلي للقارئ بدافع الأمانة، وهذا الأمرُ مستحيلٌ في الواقع، لأن أسلوبَ الكاتب الأصليّ يأتي -طبعًا- ضمنَ حدود لغته الأم، إلا أن أساليب التعبير والبلاغة وبناء الجُمَلِ والأفكار؛ تختلفُ اختلافًا جمًا بين اللغات، ولهذا فإنَّ محاولة تقمُّصِ أسلوب النص الأصليّ تعني -إلزامًا- التطرُّف نحو الترجمة الحرفية، واستيراد صيغٍ وتراكيب غير مرغوبةٍ من لغةٍ أجنبية.

وكثيرٌ من المترجمين والباحثين من يدعمونَ الترجمة بشيءٍ من الحَرْفية، فهُمْ يرون أن الترجمات يجبُ أن تأتي بلغةٍ غريبةٍ وغير سلسةٍ؛ وذلك لكي تحفظَ روح الغُرْبة في الترجمة. فهؤلاء يرونَ -مثلًا- أن مسرحيَّات شكسبير المترجمة إلى الفرنسية لا يجبُ أن تظهرَ وكأن كاتبها فرنسيّ، بل من المطلوب أن يشعرَ القارئُ بأنها نُقِلَت عن لغةٍ أجنبية.

2.6.3 تفضيل المعنى

ويميلُ مترجمون آخرُون (وكذلك يميلُ الرأي الذي يُقدِّمهُ هذا الكتاب) إلى ضرورة إشعار القارئ بأنه يقرأ نصًا بلغته الأمّ وكأنهُ كُتِبَ فيها؛ ولم يترجَم عن لغةٍ أخرى، وهذه الطريقة تعطي الأولوية للمعنى على الأسلوب

48 Munday (2008): p. 19.

والتعابير الدخيلة التي استخدمها المؤلِّف الأصليّ. وتتلخَّص وجهة النظر هذه بما قالهُ "مـارتن لـوثر" عن ترجمتـه للإنجيل لأول مرة إلى اللغة الألمانية: فقد أرادَ أن يفهمَ عامَّة الناس من فلاّحين وحرفيِّين كلام الإنجيل، كما لو أنـهُ يُقَال باللغة نفسها التي يتحدثون بها في بيوتهم وبين أهاليهم.

ووفقًا لهذه الطريقة تكونُ للمترجمِ حُريَّة التصرف بالترجمـة، وتغيـير الجمـل والـتراكيب اللغويـة الـتي يراهـا عصيَّة على الفهم على أبناء لغته،[49] فهو ليس مجبرًا على الالـتزام بمواضـع علامـات الـترقيم أو مواضـع الكلمـات نفسها التي اختارها مؤلِّفُ الكتاب الأجنبي (على سبيل المثال)، بل لهُ كاملُ الحقّ في تغييرها لتتناسب أكثر مع اللغة التي يترجمُ إليها. وهـذا لا يعـني أن للمـترجم حقًـا بتعـديل النص على هـواه، فلا بُـدّ من أن يحفـظ جـوهره وتسلسل أفكاره الأصليّ، أما الكلمات والجمل فلهُ إعادة صياغتها بحسب ما هو أنسب وأقوم.

وسنتناول هذا الخلاف الكبير في الترجمـة بشـيءٍ من التفصـيل، وسـوف نبـدأ بنبـذةٍ عمَّا قالـه فيـه العـرب والمسلمون. إذ إنهم أَوْلَوْا هذا الخلاف الطويل نصيبه من الاهتمام؛ حينما شَرَعُوْا بواحدةٍ من أكبر حملات الترجمة في التاريخ.

49 دون إخلال بالفكرة الرئيسة للنص الأصلي.

دورة إدارة تطوير المنتجات

مميزات الدورة

- بناء معرض أعمال قوي بمشاريع حقيقية
- وصول مدى الحياة لمحتويات الدورة
- تحديثات مستمرة على الدورة مجانًا
- شهادة معتمدة من أكاديمية حسوب
- إرشادات من المدربين على مدار الساعة
- من الصفر دون الحاجة لخبرة مسبقة

اشترك الآن

3. كتب تزن ذهبا: تراث العرب والترجمة

دخلَ أبو العبَّاس "المأمون" مدينة بغداد منتصرًا في سنة 198 للهجرة (812م) بعد حصارٍ ضربهُ عليها خمسةَ عشر شهرًا، وكان دخوله المدينةَ نهايةً لحربٍ مع أخيه "الأمين" أُزهق فيها كثير من الأرواح وخلَّفت خرابًا لا ينسى في مدينة السلام، ولكن ذلك الخرابَ كان بدايةً لعصر ذهبيٍّ للعلوم لم تشهَد الحضارة الإسلامية مثيلًا له. دامت خلافةُ المأمون عشرين عامًا اتسمت بالهدوء والرَّخاء، أُسِّسَت خلالها مكتبة "بيت الحكمة" في بغداد وانطلقت منها واحدةٌ من أكبر حركات الترجمة في التاريخ، ومن أهمِّ شخصيَّاتها: حُنَيْن بن إسحاق، وهو طبيب سريانيٌّ من مدينة الحيرة جنوب العراق،[1] ومن أهمّ مؤسسي المنهج الإسلامي في الترجمة.

3.1 قصة "حنين"

كان "حنين بن إسحاق" مسيحيًا عارفًا باللغة السريانية، وقد عاشَ حياةً هانئةً في ظلّ الدولة العباسية في أوج ازدهارها، وهمَّ بالسفر في شبابه قاصدًا القسطنطينية (أو ربّما الإسكندرية، فليس لنا من علمٍ في ذلك إلا من أقوال المؤرّخين) ليتلقَّن فيها أصول اللغة اليونانية، وعاد منها إلى بغداد حيث اشتغل بالترجمة في "بيت الحكمة" وهو شابٌ دون الثلاثين،[2] وسُرعان ما ارتقى في سلمه الوظيفي، حيث عيَّنه الخليفة "المتوكل" طبيبًا لهُ، وكلَّفهُ بأن يرأس جماعة من المترجمين.[3]

1 Baker (2009): p. 332

2 مريم سلامة كار (1998): ص19.

3 مريم سلامة كار (1998): ص20.

رسمٌ لحنين بن إسحاق، من مخطوطة لكتاب: "الإيساغوجي". - منشورة تحت ترخيص المشاع الإبداعي CC-BY. المصدر: ويكيميديا كومنز.

ومن سوء حظّ " حنينٍ" أن الحسد والغيرة طارداهُ لِمَا خُصَّ به من كرم، فقد كان يتقاضى من الخليفة "وزن كتبه ذهبًا" كما يُقَال، ويبدو أن في هذا القول مبالغةً ما، فالأرجحُ أنه كان يتقاضى مثل وزنها دراهم من فضَّة[4] (وكان -بالحالتين- يُطَوِّلُ كتبه وويزيد عدد صفحاتها قدر ما استطاع ليزيد أجره).[5] وقد حيكت لـ"حنين" الدسائس من حاسديه فزُجَّ به في سجون العباسيين،[6] لكنه ترك خلفه تراثًا ومدرسةً في نهج الترجمة وطريقتها لم يسبقها مثيلٌ في تاريخ العرب.

ترأَّس "حنين بن إسحاق" مدرسة "بيت الحكمة" بعد أستاذه "يوحنا بن ماسويه"، وتُنْسب إليه ترجمة نحو مئة كتاب إلى السريانية ونحو أربعين كتابًا إلى العربية، ومن دلائل نجاح "حنين" الكبير[7] أنه اكتسب من القدرة والكفاءة ما خوَّله أن يؤسّس منهجًا ومدرسةً في الترجمة، ووصلنا عن هذا المنهج مصدرٌ ثمينٌ هو رسالة كتبها "حنين" إلى أمير يدعى "عليّ بن يحيى"، عنوانها: "ذكر ما تُرْجِمَ من كتب جالينوس"،[8] ويروي فيها شيئًا من تجربته في الترجمة العربية والسريانية.[9] [10]

4 علي النملة (1992): ص34.

5 مريم سلامة كار (1998): ص38.

6 مريم سلامة كار (1998): ص21.

7 Baker (2009): p. 332

8 Baker (2009): p. 332

ومما يلفتُ النظر في هذه الرسالة أن أسلوب الترجمة العربي التراثي لم يكُن قائمًا -بالضرورة- على النقل الكامل، على عكس ما نألفه في الترجمة الحديثة، وإنَّما تخلَّله قسطٌ كبيرٌ من الاختصار في النّصوص وتحجيمها، إذ لم يكُن حنين وأصحابه مضطرّين إلى ترجمة كتاب بجملة ما فيه، واستساغ كثيرٌ منهم اختصار هذه الكتب تارةً، وشرحها أو تفسيرها تارةً أخرى.[11]

بل وكان المعرّبون -آنذاك- يتساهلون في تحريف النصّ ليناسب جمهورهم من القرّاء، مثل إضافة اسم "الله تعالى" في مواضع لم يذكر الله فيها بمؤلفات فلاسفة اليونان،[12] كما كثرت عندهم الترجمة بين ثلاث لغاتٍ (مثلًا: إلى السريانية ثُمَّ إلى العربية) ممّا يدلّ على قلة اهتمامهم بصَوْن اللغة والأسلوب عن الأصل.[13] [14]

كما تخبرنا الرسالة (كذلك) بأن "حنينًا" -ضمن إنجازاته الأخرى- أسَّس مدرسةً في علم الترجمة نهجُها هو نقل معنى الكلام ومقصده، وبذلك اختلفت مع تيَّار كبير للترجمة الحرفية في زمنه[15] والذي كان يدعو لحفظ الكلمات والأسلوب مثلما جاء باللغة الأعجمية.[16] وهاتان مدرستان متناقضتان كل التناقض، ومحور اختلافهما هو الخلاف القديم نفسُه الذي يَفرُقُ كلَّ طلبة الترجمة وأساتذتها إلى فريقين أزليَّيْن.

9 "رسالة حنين بن إسحق إلى علي بن يحيى في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس". متن عربي بترجمة فارسية، بإشراف مهدي محقق. مؤسسة مطالعات اسلامى، طهران (1379 هـ). ص 1-63.

10 علماً بأن هذه المنهجية لم تُدرَّس لتلامذته بهيئتها النظرية (وهو ما يعتبرُ ضرورة لطلاب الترجمة اليوم)، وإنما كانوا يكتسبون مهارتهم بالتجربة والتطبيق (مريم سلامة كار، 1998: ص101).

11 لا توضّح مخطوطات العرب إن كان عملهم ترجمةً أم اختصارًا وشرحًا لأنهم لم يروا فرقًا كبيرًا بين أيّ من هذه من الأمور (مريم سلامة كار، 1998: ص44).

12 مريم سلامة كار (1998): ص51.

13 مهدي علي زبون (2016): ص13.

14 وهذه دلالةٌ على المنهج دون حُكْم عليه سلبًا أو إيجابًا.

15 مريم سلامة كار (1998): ص21.

16 Baker (2009): p. 333

مخطوطة عن تشريح العين لحنُيْنٍ بن إسحق، من كتابه: "المسائل في العين". المخطوطة محفوظة في المكتبة الوطنية في القاهرة، ومؤرخة لنهاية القرن السادس الهجري (بداية القرن الثالث عشر الميلادي). - منشورة تحت ترخيص المشاع الإبداعي CC-BY. المصدر: ويكيميديا كومنز.

3.2 بيت الحكمة

عاش "حنين بن إسحاق" في ذروة عصر الترجمة الإسلامي ونالَ من خيرات ذلك العصر كثيرًا، فقد قيل - فيما قيل- أنه كان يقبضُ ذهبًا وينعمُ بحياةٍ فارهةٍ ويستيقظُ صباحًا ليأخذ حمَّامًا برائحة البخور ويحتسي نبيذًا[17] ربحه من مهنته الراقية،[18] على أن جذور الترجمة العربية بدأت بداية متواضعةً -مقارنةً بهذه النِّعَم- قبله بأكثر من مئة عام.[19]

17 Baker (2009): p. 333

18 مريم سلامة كار (1998): ص37

19 Baker (2009): p. 333

رسم تخيلي للحياة في "بيت الحكمة" - منشورة تحت ترخيص المشاع الإبداعي CC-BY. المصدر: ويكيبيديا.

ترجعُ الترجمات العربية الأولى إلى عصر الجاهلية والنقوش الصفوية، إلا أنها كانت ترجماتٍ لسطورٍ أو قصائد أو رسائل، وأما ترجمة الكتب وأمّهات الأدب فالرائد فيها هو "خالد بن يزيد بن معاوية"، نجل الخليفة الأموي الثاني؛ الذي أرسى أسسًا لحركة ترجمة هائلة، ولو أن ما نُقِلَ من الكتب في أيامه وفي عصر الدولة الأموية بعمومها كان قليلًا.[20] [21]

وما تفرَّد به "خالد بن يزيد" عن غيره أنه أول من صبَّ اهتمامهُ على ترجمة العلوم، إذ يقول ابن النديم أنه أول من نقل مؤلَّفات الطب والكيمياء والفلك إلى العربية[22] عن كتب اليونان والهند،[23] وأمضى معظم وقته على كتب الكيمياء والخيمياء خصوصًا،[24] مخدوعًا في ذلك بخرافات اليونانيّين، إذ ظنَّ هؤلاء أنهم قادرون على تحويل المعادن الخسيسة ذهبًا فطمعَ بأن يتعلَّم السرَّ منهم.

ووقعت في عصره نقلةٌ تاريخيةٌ في تاريخ الترجمة العربية، وهي أن الخليفة "مروان بن الحكم" أمرَ بتعريب الدولة ومؤسساتها، وترتَّب على هذا ترجمة كل الدواوين وما لحق بها من سجلات ووثائق حكومية. وكان تعريب الدواوين حدثًا محوريًا لأنه جعل العربية اللغة الرسمية السائدة في سائر أرجاء دولة الإسلام، ومن ثم عمَّت اللغة العربية في كتب وعلوم بلاد المسلمين على اتساع رقعتها.[25]

عاد الاستقرار إثر انتهاء الحرب بين الأمويين والعباسيين وانتهاء الحرب بين الأمين والمأمون بعدها، وهكذا دخلت دولة الخلافة -في بداية القرن الثالث الهجري- عهد الرخاء وعصرها الذهبي، وانطلقت معه واحدةٌ من أكبر حركات الترجمة في العالم على مرّ العصور، إذ لم تسبق حركة الترجمة العربية (بحسب منى بيكر) أي حملةٍ بهذا

20 مهدي علي زبون (2016): ص16

21 Baker (2009): p. 330: وصل هذا الادّعاء من مصادر بينها كتاب الفهرست لابن النديم.

22 مهدي علي زبون (2016): ص5

23 مهدي علي زبون (2016): ص12

24 علي النملة (1992): ص62

25 مهدي علي زبون (2016): ص5 -6

الاتساع والتنظيم على مرِّ التاريخ لنقل العلوم والمعرفة من لسانٍ إلى لسان، فقد شملت لغاتٍ شتى منها: اليونانية والسنسكريتية والفارسية والسريانية،[26] ونُظِّمت في مدارس ومكتبات بين بخارى وبغداد ودمشق والقاهرة والقيروان والأندلس (كأمثلة فحسب).[27]

وكانت أول وأهمّ مدرسة للترجمة في التاريخ الإسلامي هي "بيت الحكمة" التي أسَّسها المأمون في نحو سنة 215 هجرية (830 ميلادية). والواقع أن "بيت الحكمة" لم تكُن دارًا عربية للعلوم كما قد يُظَن، بل كانت ملتقى للثقافات[28] ومن أهمّها -بعد العربية- السريانية والفارسية، واعتمد الخلفاء غالبًا على المترجمين السريان لأنهم أتقنوا اللغة اليونانية،[29] وكانت تسبقُ ترجمتهم العربية ترجمة سريانية[30] أو فارسية،[31] بل إن "بيت الحكمة" في أصله ترجمةٌ للاسم نفسه الذي حظت به -سابقًا- مكتبة الإمبراطورية الساسانية، وقد قلَّد تصميمها المعماريّ مكتبات الفرس.[32]

كرَّس المترجمون العباسيون (والمسلمون بعمومهم) اهتمامًا عظيمًا بأمهات الكتب الأعجمية في العلوم والفلسفة، لكنهم لم يلقوا بالًا لآداب هذه الأمم من شعرٍ ومسرحيات وملاحم،[33] ولعلَّ هذا ينبعُ من حرص العرب على العلم النافع وعلى الابتعاد عن "الأساطير والخرافات"،[34] أو من شعورهم بتفوّق شعرهم وأدبهم على شعر وأدب غيرهم.[35]

إلا أن غضَّ الطرف عن آداب الأمم مأخذٌ كبير، وربَّما هو المأخذ الأكبرُ على حركة الترجمة العباسية، فالآداب تختزن جزءًا كبيرًا من حكمة الأمم، وفيها غنى وتنوّع ثقافيٌّ افتقد العرب شيئًا منه في تراثهم.

26 Baker & Malmkjær (1998): p. 318.

27 علي النملة (1992): ص105-ص106

28 Baker (2009): p. 331

29 مريم سلامة كار (1998): ص31.

30 مريم سلامة كار (1998): ص34-35.

31 بطرس البستاني (2014): ص130.

32 Baker (2009): p. 331

33 Baker (2009): p. 332

34 Baker & Malmkjær (1998): p. 318

35 بطرس البستاني (2014): ص133.

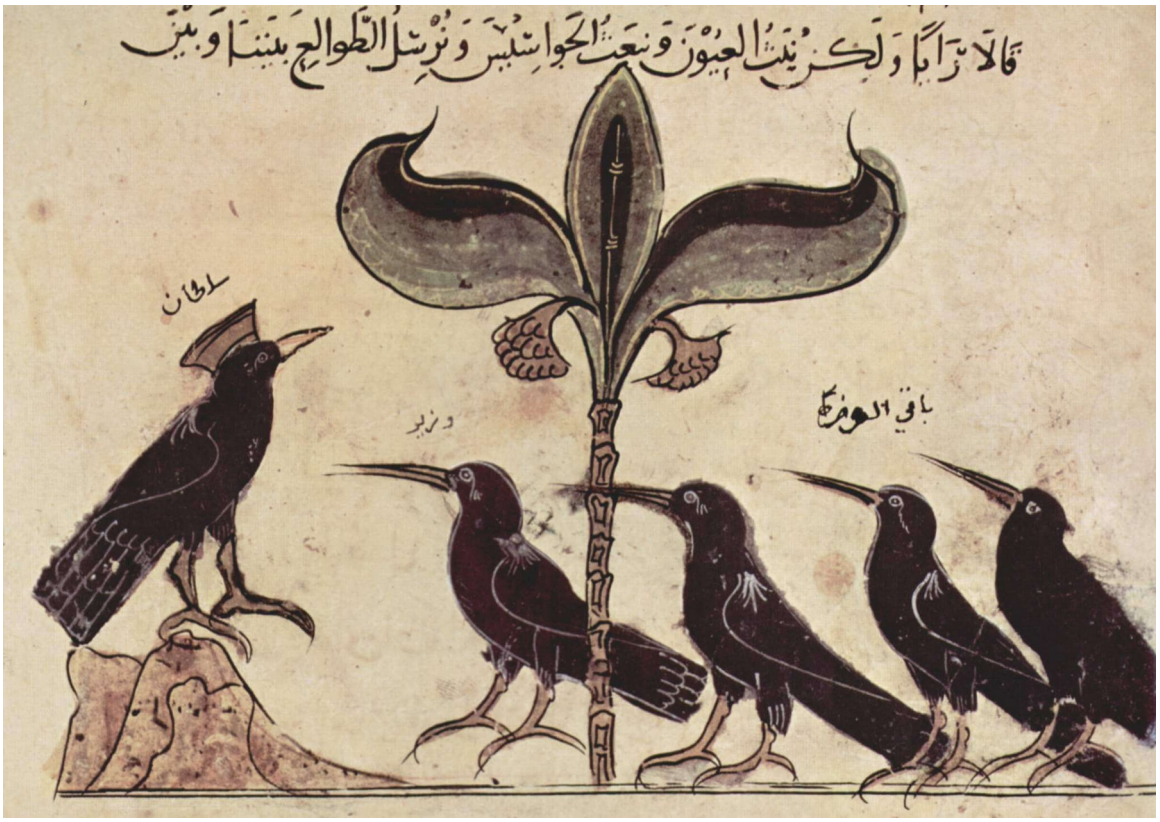

مخطوطة عربية لكتاب كليلة ودمنة نحو عام 617 هـ (الموافق 1220م)، وهو من أشهر ما تُرْجِمَ من كتب الهند في "بيت الحكمة"، وترجمه: "عبد الله بن المقفع". - منشورة تحت ترخيص المشاع الإبداعي CC-BY. المصدر: ويكيميديا كومنز.

لم تُتْرَك ترجمات بيت الحكمة طيًا للنسيان على رفوف المكتبات، بل تهافت العلماء العباسيون على قراءتها،[36] ولهذا كثرت في زمنهم المناظرات الفلسفية والعقائدية وتعدَّدت المذاهب لتأثّرهم بأفكار الأمم الأخرى.[37] [38] وبلغ التعريب والنشاط الفكري أوج ازدهاره بين نهاية القرن الثاني إلى نهاية القرن الرابع الهجري (أو بين عامي 800 و1000 للميلاد)،[39] وظلَّ "بيت الحكمة" فاعلًا في نقل معارف الأمم حتى دخول المغول إلى بغداد سنة 656 هـ (الموافق 1258م)، فاندثرت مكتبته ومدرسته مع ما اندثر، حسب ما يخبرنا القلقشندي.[40] ودخلت -بذلك- بلاد العرب عصرًا طويلًا من الجمود الفكري والذهني قَارَبَ الستمئة عام.[41]

36 مريم سلامة كار (1998): ص46.
37 علي النملة (1992): ص39.
38 علي النملة (1992): ص115.
39 مريم سلامة كار (1998): ص55.
40 مهدي علي زبون (2016)، ص10.
41 Baker & Malmkjær (1998): p. 317

حصار المغول لبغداد، كما صوَّرته مخطوطة من نحو عام 833 هـ (الموافق 1430م). - منشورة تحت ترخيص المشاع الإبداعي CC-BY. المصدر: ويكيميديا كومنز.

3.3 النهضة

ركدت حركة الترجمة والفكر في العالم الإسلامي بعد سقوط بغداد لنحو ستة قرون، وخلت تلك الفترة[42] من أي نشاط يذكر في الترجمة إلى اللغة العربية، بل وقعت فيها حركة تعجيمٍ[43] هائلة في مدرسة طليطلة بالأندلس بعد أن أخذها الإسبان، فنقلوا كتب المسلمين من العربية إلى لغات أوروبا قاطبة.[44] ولم تتجدَّد حركة الترجمة من بعدئذٍ حتى عهد "محمد علي".

كان "محمد علي" واليَ العثمانيين على مصر، ودامت دولته المستقلّة -عمليًا- في بلاد الشام ووادي النيل لقرابة نصف قرن، وكان لهُ طموحٌ كبيرٌ شجَّع بسببه حركة جديدة للترجمة والاهتمام بالعلوم والمعارف، وأوفد طلابًا إلى أوروبا فكان لأحدهم الفضل بتأسيس حركة الترجمة العربية الحديثة، وهو: "رفاعة الطهطاوي".

أقام "رفاعة" في باريس مدة خمس سنوات، تعلم خلالها اللغة الفرنسية وأتقنها، ثم عاد ليؤسّس مدرسةً للمترجمين في القاهرة سنة 1835، وهي مدرسةٌ أنتجَ مئةٌ وخمسون من طلابها ترجماتٍ رائدة لأمَّهات الكتب

42 مريم سلامة كار (1998): ص55.

43 علي النملة (1992): ص12، مصطلح "التعجيم".

44 مريم سلامة كار (1998): ص84.

الأوروبية التي اختارها وأشرف على نقلها "الطهطاوي" بحرصٍ ودقة،[45] غير أن نشر هذه الكتب قد اقتصر على جمهورٍ ضيّق من المثقفين.[46]

وقد قرّر خليفة "محمد عليّ" (وهو "عباس حلمي الأول") في سنة 1849 إغلاق المدرسة ونفي "رفاعة الطهطاوي" إلى السودان،[47] وذلك كجزءٍ من توجّهات رجعية عديدة فرضها وقتذاك.

كان رفاعة الطهطاوي يرى أن في الترجمة سبيلًا لنهضة مصر، لذلك انتقى أعمدة الكتب في العلوم والهندسة والعسكرية لترجمتها، وبدأ -بعد وفاته- عصر النهضة العربية، فولَّى فيه جيلٌ جديدٌ من المترجمين وجوهَهُم نحو الآداب والفنون التي افتقدوها في لغتهم، ونقلوا كثيرًا من المسرحيات والقصص التي ترفَّع العباسيون عن ترجمتها قبلهم بمئات السنين،[48] بينما غضّوا الطرف عن نقل العلوم الإنسانية والاجتماعية.[49]

وكما سلفَ؛ بعد أن بلغت حركة تعريب العلوم ذروتها في عصر "المأمون" ومَن بعده،[50] انتهى ازدهارها انتهى إثر غزو المغول وإتلاف مكتبة بغداد وسقوط الخلافة الإسلامية. وقد أدَّى قيام الخلافة العثمانية إلى قلب الموازين نحو اللغة التركية وصرفِ الاهتمام عن اللسان العربيّ، وهو وضع استمر حتى نهاية القرن التاسع عشر، فحينئذٍ وقعت جُلّ الدول العربية تحت نير الاستعمار، وبدأ تلاقحُ الفكر العربي مع الأوروبي وانطلقت حركة التعريب والترجمة الحداثية المستمرَّة حتى الآن، وهي حركةٌ لا يستهانُ بها كذلك.

45 Baker (2009): p. 335

46 Baker (2009): p. 336

47 Baker (2009): p. 336

48 Baker (2009): p. 336

49 Baker (2009): p. 337

50 Baker & Malmkjær (1998): p. 318

تمثال "رفاعة الطهطاوي" قرب جامعة سوهاج، في المحافظة التي ترعرعَ فيها. - منشورة تحت ترخيص المشاع الإبداعي CC-BY. المصدر: ويكيميديا كومنز.

3.4 حنين وابن البطريق

حتى ولو اختفت معظم آثار حركة التعريب العباسية، إلا أنها تركت وراءها منهجًا ومدرسةً في التعريب تُنَاظِرُ مناهج الترجمة التي قامت في كثير من الحضارات الكبرى. ونعرف من دراسة تاريخهم أن العرب كانوا ضليعين بخصائص الترجمة ودقائقها، وقادرين على دراستها ونقدها بعمق. فـ"الجاحظ" (وهو لم يكُن مترجمًا؛ وإنما قرأ واطلع على ترجمة غيره)،[51] يصفُ ببلاغةٍ التجاذب الدائم بين اللغة المنقول عنها وتلك المنقول إليها، لأن كل واحدة منهما "تعترضُ على الأخرى"،[52] فيُحلِّل بهذا التضادّ التاريخي بين "اللفظ والمعنى" وتأثير اللغات الأجنبية على المترجم،[53] والذي سنعود للحديث عنه في الفصل الخامس.

51 مريم سلامة كار (1998): ص88.
52 عبد الخالق عيسى (2012): ص160.
53 عبد الخالق عيسى (2012): ص166.

يذهبُ "الجاحظ" ليتناول شروط الترجمة، فيقول: إنها تَسْهلُ مع كثرة ما يلقاهُ موضوعها من البحث والدراسة بين جمهور العلماء، فإذا كان موضوعها مطروقًا بين العلماء العرب؛ كانت سهلة، أما إن كان مجالها جديدًا أو قلَّ العلمُ به؛ زادت الأخطاء فيها وثقلت المهمة[54] (وهو تفسيرٌ منطقي جدًا لصعوبة تعريب العلوم المتخصّصة في عصرنا).

ولهذا اعترض الفيلسوف "أبو حيان التوحيدي" على تعريب فلسفة اليونان قبل إتقانها والإلمام بها، إذ لم تعجبه الترجمة من اللغة الإغريقية التي عَفَتْ منذ زمن طويل و"باد أهلها"، كما انتقد الترجمة عبر ثلاث لغات (مثلًا: إلى السريانية أولًا ثم العربية).[55]

وركّز "الجاحظ" في تحليله لمهنة الترجمة على ضرورة الإخلاص والأمانة للأصل والتأكد من عدم تحريفه على أيدي المترجمين والنسَّاخين والمحقّقين،[56] إذ وصف شرطين للمترجم المقتدر، وهما: أولًا، وزن علمه في فروع المعرفة بعمومها. وثانيًا، أن يكون متبحرًا باللغتين اللتين يترجمُ بينهما حتى تكونا عنده سواء.[57]

ويعني ما سبق أن "الجاحظ" كان أقربَ في مذهبه إلى الترجمة الحرفية، ونعرفُ من "صلاح الدين الصفدي"[58] أن الحرفية كانت واحدة من طريقتين في الترجمة سادتا في بغداد أيام العباسيين، وهاتان الطريقتان متضادتان ومتعاكستان في أسلوبَيهما، فيقولُ في وصفهما:[59]

> «للترجمة في النقل طريقان: أحداهما طريق "يوحنا بن البطريق" و"ابن ناعمة الحمصي" وغيرهما، وهو أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى، فيأتي الناقل بلفظة مفردة من الكلمات العربية تُرَادِفُها في الدلالة على ذلك المعنى، فيُثْبِتُها، وينتقل إلى أخرى كذلك، حتى يأتي على جُمْلةِ ما يريد تعريبه. [...] الطريق الثاني في التعريب طريق "حنين بن إسحق" و"الجوهري" وغيرهما، هو أن يأتي بالجملة فيُحَصِّلَ معناها في ذهنه، ويُعَبِّر عنها (من اللغة الأخرى) بجملة تطابقها، سواء ساوت الألفاظ أم خالفتها. وهذا الطريق أجود».
>
> — صلاح الدين الصفدي[60]

54 عبد الخالق عيسى (2012): ص160.

55 مهدي علي زبون (2016): ص10.

56 مريم سلامة كار (1998): ص93.

57 عبد الخالق عيسى (2012): ص165.

58 نقلًا عن بهاء الدين العاملي في كتابه "الكشكول".

59 Baker (2009): p. 333

60 صفاء خلوصي (1928): ص12

رسمة للطبيب والمترجم السرياني "يوحنا بن ماسويه" أول من تولى رئاسة "بيت الحكمة" في عهد "هارون الرشيد"، وكان مُعلِّم "حنينٍ بن إسحق". - منشورة تحت ترخيص المشاع الإبداعي CC-BY. المصدر: ويكيميديا كومنز.

كان لكلّ من هاتين الطريقتين أنصارها فصار لها تيار أو "مدرسة". وترأس "حنين بن إسحاق" المدرسة الأولى، فدعا إلى أن تُولَى الأولوية لمقصد الكلام، فيما ترأس "يوحنّا بن البطريق" المدرسة الثانية منحازًا إلى الترجمة الحرفية. وهاتان المدرستان اللتان قامتا في بلاد العرب قبل ألف وثلاثمئة عام (وقبلهم في بلاد الفرس واليونان وغيرهم)، تمثلان الخلاف الرئيس الذي يدورُ بين جميع المترجمين منذ قديم الزمان وحتى هذه اللحظة، والذي قد يتغير ظاهره بين حين وحين وإن بقيَ ثابتًا في جوهره.

وتصلُنا لمحاتٌ عن صراع هاتين المدرستين من كتب التراث، إذ تشيرُ بعضها إلى أن ترجمات "ابن البطريق" الحرفية كانت ركيكةً، فمن العسير فهمها دون الرجوع إلى الأصل اليوناني[61] (مثلما يخبرنا "ابن إسحاق" في رسالته المعروفة)،[62] بل ولعلَّ ترجماته كانت فاشلةً، حتى إن الخليفة "المأمون" أمر بتنقيحها أو إعادتها مرَّة ثانية.[63]

ويعيب "صلاح الدين الصفدي" على الترجمة الحرفية أمرين: الأول، أن اللغة العربية تنقصها مفرداتٌ ترادف لكل الكلمات اليونانية (في الموضوعات العلمية مثلًا). الثاني، أن قواعد النحو والصرف والبلاغة لا تتماثلُ بين اللغات، ممَّا لا يُجِيزُ نقلها. وهو يستنتجُ من ذلك أن طريقة "ابن البطريق" رديئة غير صالحة، وأن طريقة "ابن إسحاق" هي الأجود، ولا ريب أن الخلاف بين "ابن البطريق" و"ابن إسحاق" يختزلُ الطريقين السائدين في الترجمة حتى يومنا،[64] غير أن في وصف "الصفدي" لهذا الخلاف شيئًا لا يستهانُ به من التبسيط والسطحية، فالمسألة لا تكاد تقتصرُ على طريقة رديئة وأخرى صحيحة، وإلا لاختصرنا مئات السنين من مشكلات الترجمة العقيمة.

صحيحٌ أن الدولة العباسية شهدت واحدةً من أكبر حركات الترجمة على مرّ الأزمان وأنها خلَّفت لنا مدارس كبيرة في مجالها، غير أن تراجمة بغداد و"بيت الحكمة" انشغلوا بالنقل والتصحيح والتدريس أكثر من التعمّق بالمنهج الأكاديمي.[65] ولهذا السبب فإنَّ مساهمة العرب والمسلمين في تأسيس "نظرية الترجمة" كانت متواضعةً إن قيست بتراثهم الترجمي الهائل، إذ إن محور نقاشاتهم الأكاديمية (بين ابن إسحاق وابن البطريق) لم يختلف في شيءٍ يذكر عن الخلافات التي شغلت كل المترجمين في أنحاء المعمورة، وهذه نتيجة تزداد وضوحًا عندما نلقي نظرةً شاملةً على نظرية الترجمة عالميًا.

61 مريم سلامة كار (1998): ص51.

62 مهدي محقق (1379 هـ): ص 1-63.

63 Baker (2009): p. 333

صفاء خلوصي (1928): ص12.

سليم إبراهيم صادر (2009): ص249.

64 مريم سلامة كار (1998): ص25.

مع أنها مشتقّة من حكاية شعبية رومانية عن صداقة الأسود والبشر، شخصيتها هي البطل الروماني Androcles

65 مريم سلامة كار (1998): ص25. مع أنها مشتقّة من حكاية شعبية رومانية عن صداقة الأسود والبشر، شخصيتها هي البطل الروماني Androcles

دورة تطوير التطبيقات
باستخدام لغة JavaScript

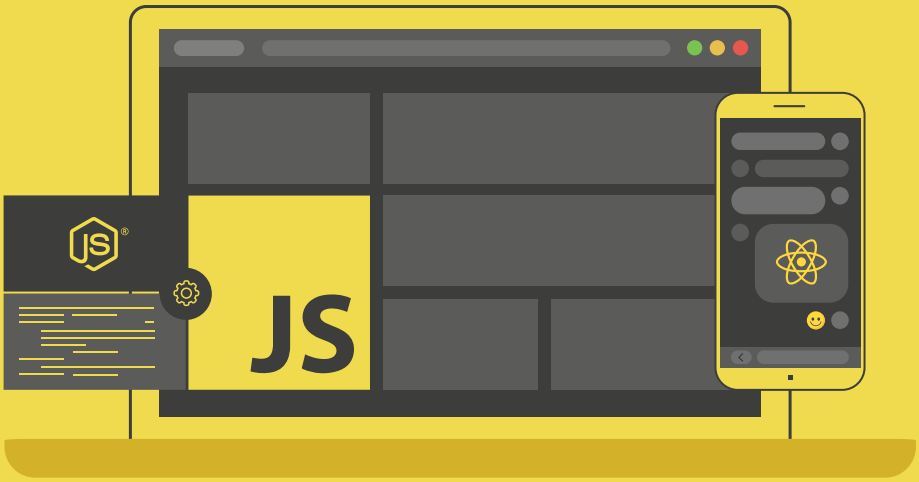

احترف تطوير التطبيقات بلغة جافا سكريبت
انطلاقًا من أبسط المفاهيم وحتى بناء تطبيقات حقيقية

التحق بالدورة الآن

4. بين الحرفية والتصرف: تاريخ موجز لنظرية الترجمة

يصطف أمام أبواب متاحف مدينة فلورنسا الإيطالية في معظم الأيام (أو في أيام عملها) مئات ينتظرون دورهم للحصول على تذكرة دخول، وقد يتحرَّق هؤلاء المنتظرون شوقًا لرؤية لوحات ومنحوتات فنانين طليان بلغت شهرتهم أبعد أصقاع الأرض، كما أن من المحتمل أن انتظار الزوار سيدوم ساعاتٍ عِدَّة تنتهي بنفاد التذاكر (مثل حال معظم الوجهات الإيطالية الشهيرة). وممَّا يلفتُ النظر في اللوحات التي تغصّ بها متاحف فلورنسا - وغيرها- كثرة ما تتكرّر فيها مشاهد متشابهة لرسَّامين مختلفين، ومن أغربها، مشهدٌ محبوبٌ يظهر فيه قسّ بصحبته أسد.

تقول القصّة: إن هذا القديس اسمهُ جيروم، وأنه ارتحل إلى بادية الشام ليختلي بنفسه وينكبَّ على دراسة الإنجيل متخليًا عن تَرَف الحياة وملذَّاتها الزائلة، فقابل أسدًا بريًا جريحًا؛ حيث عالجَ قدمَهُ بإخراج شوكةٍ منها، فظلَّ الأسد منذئذٍ رفيقه الأليف. وقد نالت هذه الخرافة عن القسّ جيروم إعجاب كثير من كبار الفنانين الطليان،[1] ولو أن الإنجاز الحقيقي الذي اشتهر به القسّ هو ترجمتهُ للكتاب المُقدَّس من اللغتين العبرية (للعهد القديم) واليونانية (للعهد الجديد) إلى اللاتينية، واللتين وضع فيهما أول حجر أساسٍ لنظرية الترجمة.

1 مريم سلامة كار (1998): ص25.

مع أنها مشتقّة من حكاية شعبية رومانية عن صداقة الأسود والبشر، شخصيتها هي البطل الروماني Androcles

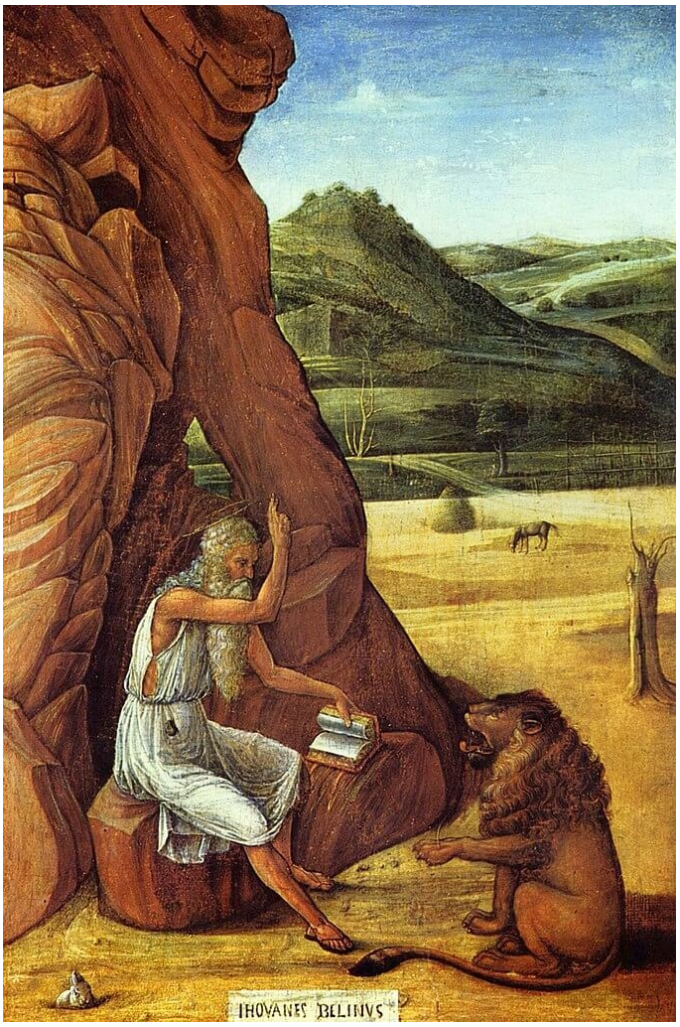

لوحة "القديس جيروم" بصحبة أسد في بادية الشام، رُسِمَت نحو عام 1450م ومعروضةٌ في متحفٍ ببيرمنغهام. - منشورة تحت ترخيص المشاع الإبداعي CC-BY. المصدر: ويكيميديا كومنز.

4.1 اللفظ والمعنى

ظهرت الحاجة للترجمة منذ بدأ الناس بالاتّصال بعضهم ببعض؛ سـواء للتجـارة أو الترحـال أو نشـر الـدين أو المفاوضة في السياسية والحروب، فكان عليهم أن يجدوا طريقة ليفهم بعضُـهم كلامَ بعض. ومن آثارهـا الموغلـة في القدم في البلاد العربية "حجر رشيد" الشهير في مِصْر، والـذي كـان مفتـاحَ علمـاء الآثـار المستشـرقين لفهم اللغة الهيروغليفية، فهو نصبٌ حجريّ نُحِتَ سنة 196 قبل الميلاد (أيـام الملـك اليونـاني بطليمـوس الخـامس)، وكُتِبَ عليه خطابٌ واحدٌ بثلاث لغات تاريخية، هي: الهيروغليفية والديموطيقية والإغريقية.[2]

وأما "نظرية الترجمة"، أي محاولة وضعِ أسـاسٍ علميّ ومنهجيّ لترجمـة المعـنى بين اللغـات، فنشـأت في فترةٍ قريبة من تاريخ نحت الحجر، فكان مهدها في مناظرات بين الفلاسفة الرومان والإغريق. إذ نشـرَ الفيلسـوف الروماني الشهير شيشرون في عام 46 قبل الميلاد ترجمة من الإغريقية إلى اللاتينية لكتـاب عنوانـه "عن أفضـل

2 Clarysse and Van der Veken (1983) p. 20–21

الخطباء"،[3] وقدَّم فيها ملخصًا مختصرًا عن منهجه الذي كان -غالبًا- من أوائـل المنـاهج النظريـة في الترجمـة في التاريخ. ويقـول شيشـرون: إنـه تعمَّد في ترجمتـه نقـلَ "أسـلوب الكـاتب وروح لغتـه"،[4] وذلـك على عكسِ جُـلّ مترجمي عصره: فهُم لم يكونوا يعرفـون منهجًـا في الترجمـة سـوى مـا نُسـمّيه الآن "الترجمـة كلمـةً بكلمـة"، أو "الترجمة الحرفية".

التزم القسّ جيروم بمنهج شيشرون بعده بمئتي عـام، فأكمـل ترجمـة الإنجيـل إلى اللاتينيـة في عـام 395م، وقال جيروم عن هذه الترجمة في رسالة له: «لستُ متحرّجًا من الإقرار (بل والإعلان صراحة) بأنّي آثرتُ أن أتـرجم الكتاب المُقدَّس من اليونانية معنى لمعـنى، **وليس** كلمـةً لكلمـة». وكـانت ترجمـةُ الإنجيـل هـذه؛ هي الحـدثَ الفاصل في ولادة أوَّل خلافٍ كبـيرٍ في تـاريخ الترجمـة: وهـو الخصـومة بين مدرسـة الترجمـة الحرفيـة والترجمـة بتصرّف، أو الخلاف بين الأسلوب والمقصـد، لأن الإخلاصَ في نقـلِ أسـلوبِ الكتـابِ الأصـليّ (وهـو هنـا كتـاب مُقدَّس) عادةً ما يُعسِّرُ فهم المعنى على القارئ.[5]

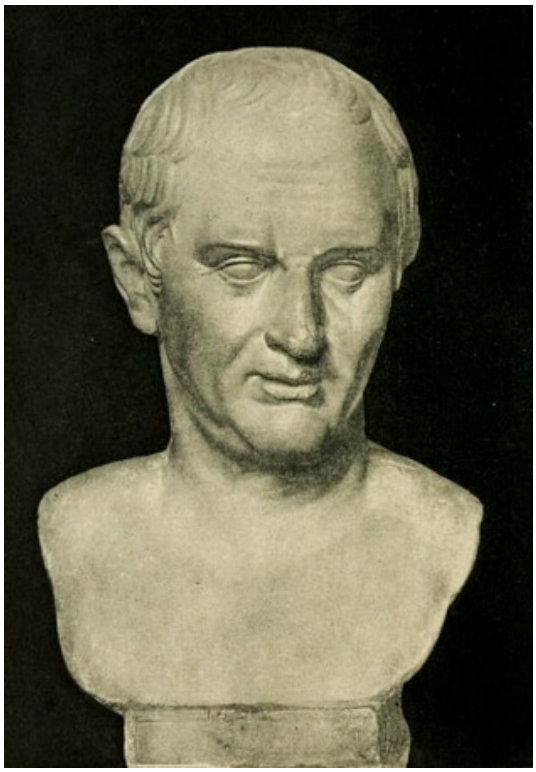

السياسي الروماني "شيشرون"، الذي كان من الرائدين في منهج الترجمة بتصرّف. منشورة تحت ترخيص المشاع الإبداعي CC-BY. المصدر: ويكيميديا كومنز.

ومنذ ذلك الحين والترجمة متمحورةٌ حول هذين المنهجين المتضادَّيْن، واللذين أُعِيـدَ طرحهمـا مـرارًا بطـرقٍ جديدة. وربّما يعجز المترجمون أبد الدَّهر عن الوصـول إلى حـلّ لهـذه المعضـلة، إذ من المسـتحيل دحضـها بـأيّ جواب دامغٍ يصلحُ لكل حال وزمان، على أن التبحّر فيها قاد الباحثين إلى نظريات كثيرة أثْرت الترجمة وأغنتها.

3 عنوانه اللاتيني: De Optimo Genere Oratorum

4 Munday (2008): p. 19.

5 Munday (2008): p. 20.

وُلِدَ الصراع المتأصّل بين الترجمة الحرفية والترجمة بالتصرّف[6] في زمن القسّ جيروم (منذ ألفَي عام تقريبًا)، وذلك بسبب المعضلات الشائكة التي ألمَّت بتراجمة الكتاب المُقدَّس والتراث اليونـاني، فوجـد هـؤلاء أنفسـهم في حيرةٍ بين الإخلاص المبالغ فيه لتلك الكتب المُقدَّسـة -حينـذاك- وبين ترجمتهـا بلغـةٍ يفهمهـا عامَّة النـاس.[7] وسرعان ما وقع معهم في هذا المأزق المترجمون الصينيون، حينما هم أولئك بنقل التعاليم الدينية البوذيـة،[8] ثم العرب والسريان والفرس حين نقلوا كتب اليونـان (كمـا فصَّـلنا سـابقًا)،[9] ولعـلَّ هـذا الصـراع وصـل ذروتـه منـذ خمسمئة عام بسبب: "مارتن لوثر".[10]

4.2 الكتاب المقدس: من عام 1522 إلى 1970

تنقسم الديانة المسيحية (مثل معظم الأديان الكـبرى) إلى طوائـف عِـدَّة، أكبرهـا هي الكنيسـة الكاثوليكيـة، ورئيسُها البابا الذي يقيم في مدينة الفاتيكان بروما، ويعتنـق الكاثوليكيـةَ معظمُ سـكان إيطاليـا وفرنسـا وجميـع سكان البلاد الناطقة بالإسبانية والبرتغالية، وتليها -بعدد أتباعها- الكنيسة البروتستنتية، التي يتبعها معظم سكان الولايات المتحدة وكندا وأستراليا وبريطانيا والدول الإسكندنافية. ويلتحقُ بهاتين الكنيستين أكـثرُ من ثلاثـة أربـاع المسيحيّين في العالم، أي نحو مليارَي إنسان.[11] ومَنْ تسبَّب بانقسام المسيحية إلى هـاتين الطـائفتين هـو قسّ ألماني عاش في القرن السادس عشر، وخالف تعاليم الكنيسة حتى حُكِمَ عليه بأشدّ عقوباتها حينئذٍ (وهي عقوبـة الإقصاء الاجتماعي)،[12] وكانت إحـدى مخالفاتـه الأولى أنـه تجـرَّأ على ترجمـة الكتـاب المُقـدَّس من اللاتينيـة إلى الألمانية العامية، وهي ما يُقَال عنها: «أهمّ ترجمة للكتاب المُقدَّس في التاريخ».[13]

ارتكب مارتن لوثر مخالفته لسببٍ مهم، وهو أن اللاتينية كانت في زمنه -وما تزال- لغةً راقيةً لا يتحـدّث بهـا إلا عليَةُ القـوم؛ ممَّن يتلقَّون أحسـن تعليم وثقافـة، على أن الكنيسـة الكاثوليكيـة لم تـرضَ بـأن يُـدرَّس الكتـاب المقدس بلغةٍ سوى اللاتينية، لأن اللاتينية موروثة عن الإمبراطورية الرومانية فاكتسـبت -لـذلك- منزلـةً مُقدَّسـة، بينما اعتُبِرَتْ الألمانية وقتها لهجةً عاميةً لا تصـلحُ للأدب والكتب المُقدَّسـة (وهي نظـرةٌ مماثلـةٌ -تقريبًـا- للـرأي المعتاد نحو اللهجات العربية في عصرنا).

وعدا عن ازدراء اللغة الألمانية كأساسٍ لترجمة الإنجيـل، كـان التصـرّف بالترجمـة -آنـذاك- مثـارًا للكثـير من الخلافات العقائدية في أوروبا، فقد وضعتِ الكنيسة قيودًا كثيرةً على ترجمـة الإنجيـل إلى اللغـات العاميـة خوفًـا

6 Munday (2009): p. 191

7 Weissbort & Eysteinsson (2006): p. 20

8 Munday (2008): p. 21

9 Munday (2008): p. 22

10 Munday (2008): p. 23

11 Gordon–Conwell Theological Seminary, 2015. Christianity 2015: Religious Diversity and Personal Contact. International Bulletin of Missionary Research, 39(1), pp.28-29.

12 باللاتينية: excommunication، وتترتب عليها مراسم وطقوس وتداعيات عدّة ينبذُ بها صاحبها من المجتمع المسيحي بكلّ أطيافه.

13 Weissbort & Eysteinsson (2006): p. 55

من العبث بكلام الله أو المساسِ به، وكانت الترجمة لأي لغة غير اللاتينيـة سـببًا لسُـخْط الكنيسـة، إلى درجـة أن بعض المترجمين قضوا نحبهم إثر تجرُّؤهم عليها.[14]

ومن هنا أتت أهمية عمل "مارتن لوثر"، فقد أحدث ثورة فكرية واسعة إثرَ جرأته في ترجمة الكتاب المُقدَّس إلى الألمانية في عام 1522.[15] وقال "مارتن لوثر" إن الأولويـة في الترجمـة تقـريبُ النصّ لأذهـان القـرَّاء، وليس الحفاظ على دقّة أسلوبه وكلماته (حتى وإن كان كتابًا منزلًا من الله)،[16] ولذلك لم يجِد رادعًا من أن يستبدل بكثـير من آيات الإنجيل أمثالًا شعبية وجدَ أنها أقربُ إلى قلوب الألمـان من الأمثـال القديمـة الـتي في الإنجيـل، قـائلًا في ذلك:

«عليك أن تسعى إلى السيّدة في منزلها والطفل في شارعه والرجل البسيط في الأسواق وتُنْصِـتَ إلى كلامهم، ثم أن تترجمَ الكلام إلى مِثْله، فحينها سوف يفهمونك ويقرّون بأنك تحدّثهم بلسان ألماني».[17]

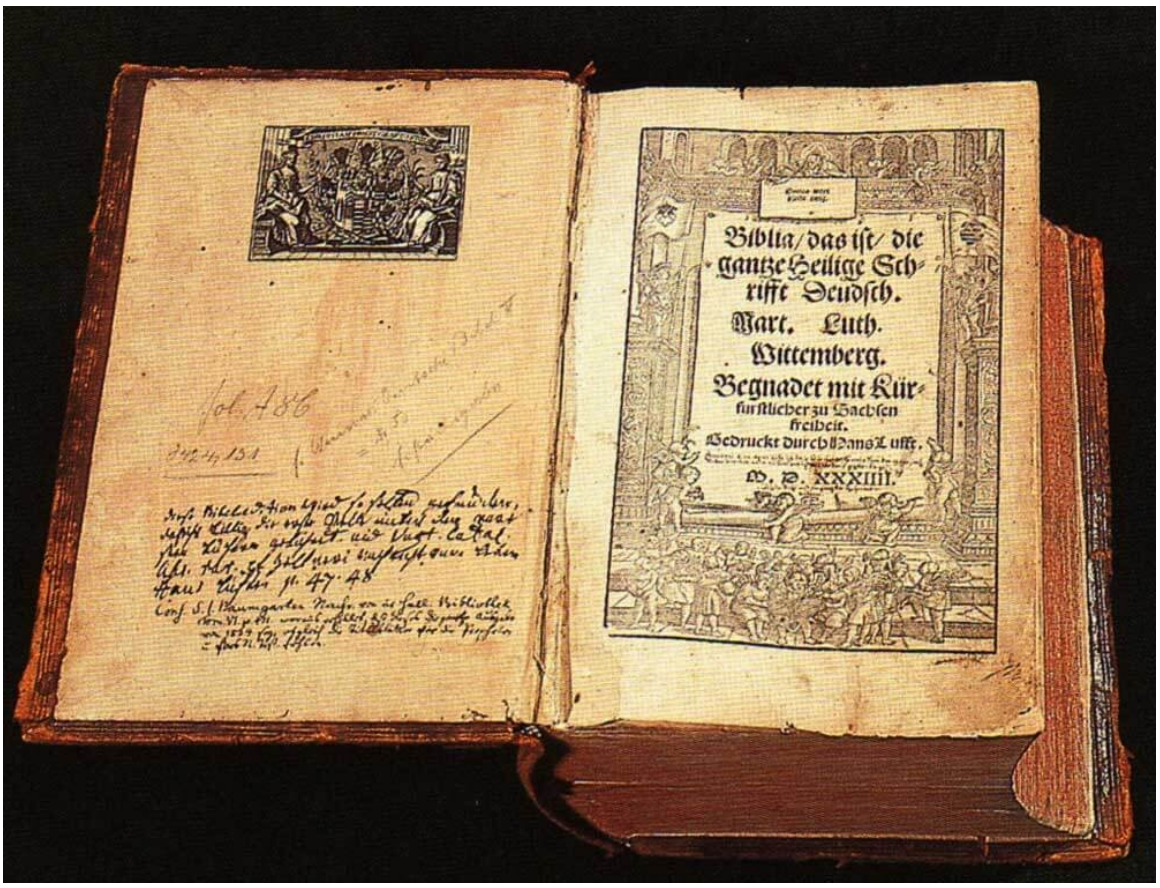

أول نسخةٍ من الكتاب المُقدَّس بالألمانية، من ترجمة "مارتن لوثر" في عام 1534. - منشورة تحت ترخيص المشاع الإبداعي CC-BY. المصدر ويكيميديا كومنز.

14 ومنهم وليام تيندال، فهو يشتهر بوضع واحدة من أولى ترجمات الإنجيل الإنكليزية، ودفع ثمنها وثمن دعواته الإصلاحية عقوبة الإحراق حيًا (Weissbort & Eysteinsson, 2006: p. 55).

15 Munday (2008): p. 24.

16 Weissbort & Eysteinsson (2006): p. 57

17 Munday (2008): p. 24

4.2.1 الانحياز للقارئ

ناصب "مارتن لوثر" الترجمة الحرفية العداء، وتبعهُ في رأيه كثيرون في عصر النهضة حتى بالغوا في التصرّف والتطرّف، ومن أمثلة ذلك الشاعر "أبراهام كاولي"، الذي كان يرى أن من المُحتَّم ضياع جمال النصوص الأدبية (مثل: القصائد والأشعار) عندَ تنقلها بين لغةٍ وأخرى، وبالتالي فإنَّ من حقّ المترجم أن يأخذَ حريَّته بحذف بعضٍ من الأبيات وإضافة غيرها وتعديلِ الموجودِ منها من وحي إبداعه وابتكاره؛ وذلك لأنه يسعى إلى ترجمة الكلام كما "لو كان كاتبهُ يعيشُ بيننا الآن".[18]

وهذا رأي مبالغٌ فيه ويؤدّي إلى معضلةٍ أخلاقية، هي التقوُّل على لسانِ المؤلِّف عندما يُنسَب إليه كلامٌ لم ينطق به ولم يكتبه. وكردّ فعلٍ على هذا المنهج، وضعَ الشاعر الإنكليزي ذائع الصّيت "جون درايْدِن"؛ وهو شاعر البلاط الإنكليزيّ الأول في التاريخ، التصنيف الآتي لطُرُق الترجمة في عصره:[19]

- **النقل الحرفي (Metaphrase)**: الترجمة كلمةً بكلمة مع التزامٍ حرفيّ بمفردات الأصل وتراكيبه اللغوية
- **النقل بتصرّف (Paraphrase)**: ترجمة المقصد ولو أعيدت صياغته بمفرداتٍ أخرى تفيدُ المعنى نفسه
- **التقليد (Imitation)**: تقليدٌ للنص الأصلي في معناه وأسلوبه عامَّة، ولكن دون التزامٍ دقيقٍ لا بكلمات المؤلّف ولا بالمعاني التي قصدها

وكان "درايدن" شاعرًا فذًا ترجمَ أعمالًا أدبية شهيرة، من أهمّها: ملحمةُ الإنيادة للشّاعر "فيرجِل" والتي يقول في ترجمته لها أنه حاول قدر الإمكان: «**جعلَ "فيرجِل" ينطقُ بالإنكليزية كما لو أنهُ عاشَ بيننا في إنكلترا - في زمننا الحالي- ونطق بالإنكليزية**»، ويقتبسُ عنه كثيرون هذا المبدأ الشهير لأنهم يرونَ فيه تعريفًا مثاليًا للترجمة المتقنة.

انجرفَ المترجمون الأوروبيون بدءًا من نهاية القرن الثامن عشر نحو هذا المبدأ، فاهتمّوا بالكتابة بلغةٍ يسيرة على القارئ حتى ولو ضحّوا في سبيل ذلك بأسلوب المؤلّف الأصلي. ويقول الإنكليزي "ألكسندر تايتلر" في تعريف الترجمة الجيدة أن القارئ العادي: «يجبُ أن يفهمها ويشعرَ بها كأنها لغته الأمّ، مثلما يشعرُ قُرَّاء النص الأصليّ وهم يقرؤونه بلغتهم».[20]

4.2.2 القرن العشرون

جلبَ القرن العشرون جيلًا جديدًا من المترجمين بأفكار جديدة، وفي طليعتهم الألماني "فريدريك شلايير ماخر" الذي اقترح تقسيم الترجمة إلى فئتين أساسيتين: وهما الترجمة التجارية والترجمة الأدبية. وقد كانت وجهة نظر "شلايير ماخر" أن الترجمة الأدبية فيها معضلةٌ واحدة كبيرة: وهي المفاضلة بين تكريسها للكاتب

18 Munday (2008): p. 26.

19 Munday (2008): p. 26.

20 Munday (2008): p. 27.

الأصلي؛ وذلك بحفظِ أسلوبه وإبداعه حين نقل كلماته حرفيًا، أو تكريسها للقارئ؛ وذلك بتقـديم ترجمـةٍ مفهومـة وبلغةٍ مماثلة لما يتحدَّثُ به عامَّة الناس.[21]

وتظهر هذه المعضلة في ترجمات الأدباء الأوروبيِّين للكتب التاريخية المهمة، مثل الكتاب المُقدَّس والإلياذة والأوديسة، إذ تعمَّد بعض المترجمين نقلَ هذه الكتبِ بلغةٍ عتيقة في ألفاظها للحفاظ على طابعها التراثي، بينما فَضَّلَ آخرون نقلها بلغة إنكليزية سهلة تشبهُ حديث الأصدقاء فيما بينهم. ولكن المفارقـة أن رأي "شـلاييـر مـاخر" في هذه المسألة يتناقضُ مع كثيرين ممن سبقوه، فهو يقول: إن علينا أن «نُقرِّب القارئ إلى أسـلوب المؤلـف»، أي أن تصون الترجمة الأصل بحرفيَّتـه وغرابتـه اللغويـة. ويـرى بعضُ البـاحثين أن نظريـة "شـلاييـر مـاخر" كـانت النظرية الأعمق أثرًا في دراسات الترجمة حتى نهاية القرن العشرين، وربَّما يظهرُ تأثيرها على معظم ما تبعهـا من نظريات ودراسات.[22]

وجاء بعد "شلايي ماخر" بعدَّة أجيال مترجمٌ كبيرٌ آخـر اسـمه "يـوجين نايـدا"، وهـو عـالم لسـانيات أمـريكي كُلِّفَ بترجمـة الكتـاب المُقـدَّس، وأراد -في سـبيل هـذه المهمَّة- وضـع منهجٍ قياسـيّ يسـيرُ على خطى العلـوم الطبيعية.[23] ويتميَّزُ "نايدا" بأنه تخلَّى عن فكرة كانت متأصلة في تاريخ الترجمـة/ فـأقرَّ باسـتحالة "الـترادف" بين اللغات بين مفرداتها[24] (مثلما فصَّلنا سابقًا)، ولحل هذه المشكلة اقترح "نايدا" نظرية تسعى لتحقيق "الـترادف" أو "التكافؤ" بطريقة تتجاوبُ مع سياق الكلام وموضعه. وقد اقترح في ذلـك نـوعين من التكـافؤ يـذكّراننا بخلاف الترجمة التاريخي، وهُمَا:[25]

- **تكافؤ الأسلوب (Formal Equivalance)**: وهدفه الأول نقلُ أسـلوب النصِّ وشـكله وجمالـه. وتغلبُ على هذا النوع من الترجمة الحرفية استعارة التراكيب والتعابير اللغويـة الأجنبيـة، ويبـدو هـذا الأمـر غـير مُحبَّذ، ولكنْ له مميزاتٌ كبيرة: منها الحفـاظُ على أسـلوب المؤلّـف (بدرجـةٍ مـا)؛ وكـذلك على العناصـر الثقافية في النصّ. فمن يتبع هذا المنهج يُتَرْجِمُ الأقـوال المـأثورة الفرنسـية حرفيًـا -مثلًا- عوضًـا عن أن يستبدل بها أقوالًا مأثورة عربية، ممَّا يصونُ شيئًا من روح الأصل.
- **تكافؤ السياق (Dynamic Equivalance)**: وهدفه الأول نقلُ معنى النصِّ وفحواه إلى اللغة المترجمة وفقًا لسياقها وأعرافها. وعادةً ما يكونُ الجمهور المستهدَف بهذا المنهج من عموم القُرَّاء الذين ليس لهُم اطّلاع كثيرٌ على اللغات الأجنبية، ولذا فالأفضـل نقـلُ المغـزى إليهم دون إربـاكهم بأسـلوب أدبيّ غـريبٍ عنهُم، وفي هذه الطريقة تُسـتبدَل بعناصـر النصِّ الأصـليّ (كـالأقوال المـأثورة والأشـعار وربمـا بعضِ الأسماء) مقابلاتٌ تماثلها في المعنى بلغةٍ أخرى لتعطي في نفوس القُـرَّاء انطباعًـا ممـاثلًا لمـا شـعر به قُرَّاء الأصل.

21 Munday (2008): p. 28.

22 Munday (2008): p. 29

23 في كتابه "نحو علمٍ للترجمة" أو Towards a Science of Translating (1969)

24 Munday (2008): p. 39

25 Munday (2008): p. 42

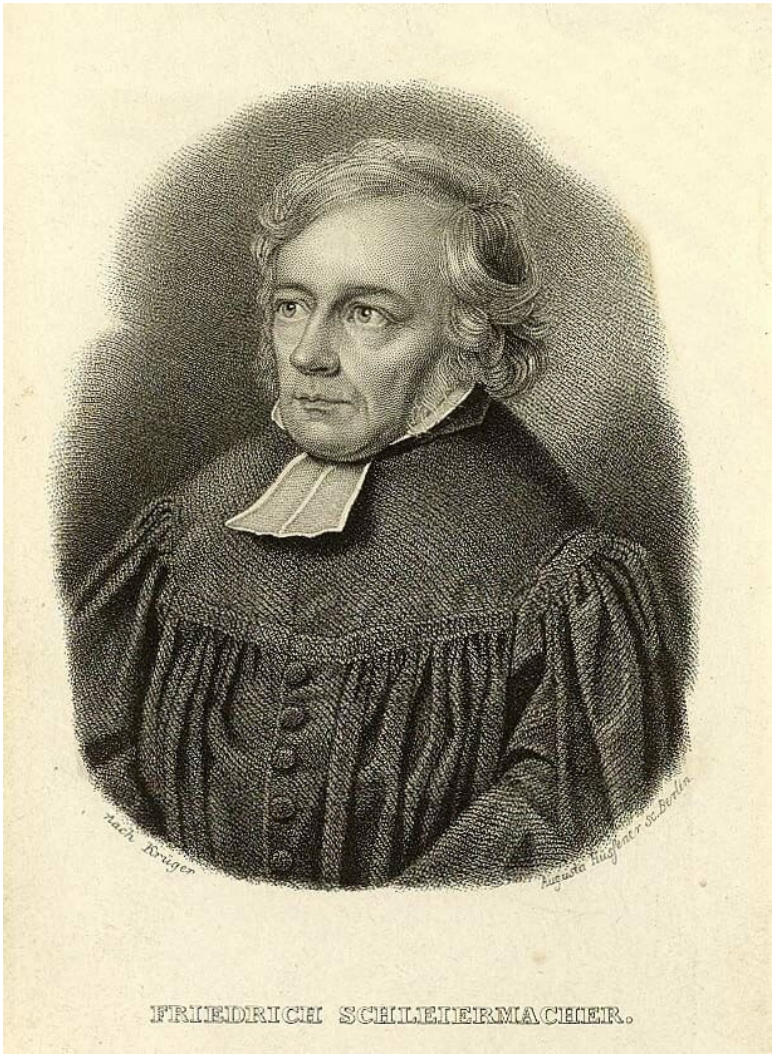

"ريدريك شلاييير ماخر"، وهو من أكبر المؤثرين في نظرية الترجمة الحديثة. - منشورة تحت ترخيص المشاع الإبداعي CC-BY. المصدر: ويكيميديا كومنز.

وجدَ "نايدا" (وبعده "بيتر نيومارك")[26] أن "تكافؤ الأسلوب" يحفظُ أسلوب الكاتب أو القائلِ الأصـلي، ولهـذا فهو ضروري حينما تكونُ الترجمة مُخصَّصـة لجمهـورٍ من الطلاب أو الأكـاديميِّين، فهـؤلاء يحتـاجون للاطّلاع على أسلوب الكاتب وتذوّق مهاراته وأسلوبه. وأما "تكافؤ السـياق" فهـو أنسـبُ لجمهـور القُـرَّاء العـام، ولهـذا يحظى بأولوية في الكتب والروايات والإعلانات والدعايات المقصـودة لعامَّة النـاس، فمن الضـروريّ في حـالتهم تقـديم المعنى على الأسلوب.

26 كان "بيتر نيومارك" كذلك من كبار المترجمين في القرن العشرين، وقد اكتسبَ شهرته وموقعه من عمله في ترجمة الكتاب المُقدَّس، مثل: "نايدا". وأهمّ ما أنجزه "نيومارك" هو إضافة مصطلحين جديدين إلى نظرية الترجمة (Newmark, 1991; p. 10)، وهذان المصطلحان قريبان جدًا في فحواهما من مصطلحات "نايدا" وسابقيه، وهما Semantic Translation (وتقابلُ في معناها الترجمة الحرفية، أو "تكافؤ الأسلوب" لدى نايدا) وCommunicative Translation (وهي تقابلُ الترجمة بتصرّف، أو "تكافؤ السياق" لدى نايدا).

تعرَّضت نظرية "نايدا" لبعضِ النقد، فقد احتجَّ علماء اللغة الآخرون بأن "أسلوب النص الأصلي" و"الانطبـاع الذي يتركه في نُفُوس القراء" ليست معايير علمية قابلة للقياس، فكيفَ يمكننا تحديـدُ الانطبـاع الأصـلي"الـذي كان يحدثهُ النص لدى قُرَّائه"، وكيف سنوازن بينه وبين الانطباع الذي تعطيهِ الترجمة لقرَّائها؟[27]

كانت حُجَّة القياس هذه ضرورية لأن هدف نظريات الترجمة -آنـذاك- كـان تحويـلِ الترجمـة من فنّ إلى علمٍ، وأهمُّ خواصِّ العلوم هي منهجيتهـا القائمـة على التجربـة والقيـاس والموازنـة، وهي تنـاقضُ -إذًا- معظم كتابـات المترجمين القائمة على الذوق والحكم الشخصي. وقد حاولَ كثير من الباحثين بعدَ "نايدا" أن يضعوا طرقًا مُعقَّدة لقياس الترجمة ودراستها أكاديميًا،[28] ولكنَّهم لم يحقّقوا نجاحًا باهرًا، ومن وقتئـذٍ بـزغت منـاهج ونظريـات كثـيرةٌ تضعُ الترجمة في مكانها الصَّحيح بين العلوم الإنسانية (وليس الطبيعية)، وما زالت هذه المناهج تتبدَّلُ كل عشر سنواتٍ أو عشرين سنة في اتجـاه جديـد، على أنهـا حقَّقت نجاحًـا كبـيرًا مقارنـةً بمـا سـبقها من مـدارس قديمة في الترجمة.

4.3 النشأة الأكاديمية

صحيحٌ أن الإنسان مارس الترجمة منذ آلاف السنين وأنها كانت إحدى عوامل نهضة حضـارات كـبرى علميًـا واجتماعيًا (مثل: الإمبراطورية الرومانية وحضارة العرب المسلمين وأوروبا الحديثة)، إلا أن الاهتمـام بهـا -آنـذاك- كان منصبًا على نتائجها، أي على الكتب والأعمال المترجمـة، ولم يلـقِ إلا قلَّة من المفكّـرين بـالاً لدراسـة ظـاهرة الترجمة نفسها؛ ولتحليلها وتحسينها منهجيًا، ويرى أحـد الأكـاديميِّين أن في التـاريخ كُلِّه لا يوجـد إلا 14 شخصًـا فحسب استحدثوا مناهج في الترجمة أو أضافوا لها إضافة نظريَّة قيّمة،[29] وهذا لأن تاريخ نظرية الترجمـة لم يبـدأ بإجماع كثيرين حتى نَشْرِ ورقة بحثية محورية في عام 1972.[30]

4.3.1 الخريطة

نشأ المترجم "جيمس هولمز" في مزرعة متواضعة في ريف الولايات المتحـدة بمنتصـف القـرن العشـرين، ونال درجة البكالوريوس في اللغة الإنكليزية من جامعة براون الرفيعة، ومنذئذٍ جعل همَّه الشاغل كتابة الشـعر، ثم انتقل "هولمز" وهو في الخامسة والعشرين إلى أمستردام؛ فتعلَّم فيها اللغة الهولندية، وكسب جُلَّ رزقه بترجمـة أشعارها إلى الإنكليزية، ولذا دعته جامعـة أمسـتردام في سـنة 1964 لتأسـيس قسـم أكـاديمي جديـد مُخصَّـصٍ لتدريس الترجمة. وقد ألهم هذا العمل "هولمز" لرسم خريطة لنظريـة الترجمـة، والـتي كـانت حقلًا أكاديميًـا غـير مطروقٍ حينذاك.

27 Munday (2008): p. 43
28 Munday (2008): p. 30
29 Steiner (1998): p. 293
30 Munday (2008): p. 9

وتُوضّح خريطة "هولمز" الفروع التي **يجب** أن تبحثها دراسات الترجمة مستقبلًا، على أن معظم هذه الفـروع لم يكن فيها أبحاث تذكر في زمنه، إذ إن هدف خريطته هو وضـع أسـاسٍ لفهم الترجمـة بغضّ النظـر عن الزمـان والمكان. ويرى "هولمز" -حسب الخريطة- أن بحوث الترجمة بعمومها تنقسمُ إلى قسمين:[31]

- **دراسات تطبيقية**: والتي تسعى لتحسين تطبيقات الترجمة واسـتعمالاتها، مثـل: تـدريب المـترجمين وتأهيلهم ونقد ترجماتهم.
- **دراسات بحثية**: وهي تنقسمُ بدورها إلى فرعين: الأول نظري، إذ يسعى لوضـع مبـادئ لتفسـير ظـاهرة الترجمة بعمومها ومنه معظم المنـاهج الـتي سنشـرحها. والثـاني وصـفي، فيسـعى لدراسـة الترجمـات الموجودة وتحليلها.

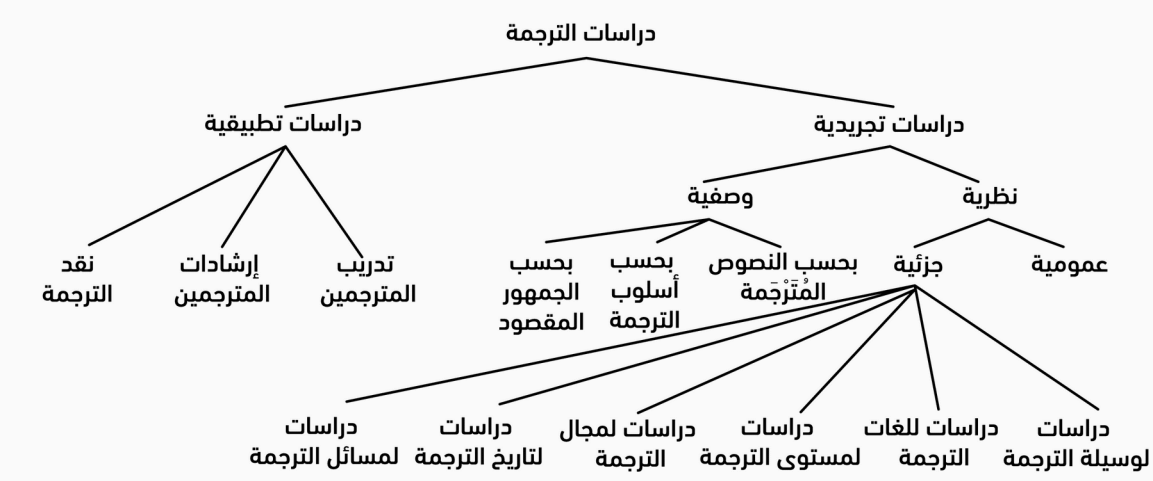

خريطة دراسات الترجمة التي نشرها هولمز في عام 1972، وكانت بداية البحث الأكاديمي في الترجمة بصفتها مجالًا قائمًا بذاته. تُوضّح الخريطة كل المجالات التي يجبُ على أبحاث ودراسات الترجمة أن تُغطّيها مستقبلًا، سواء أكانت تُغطّيها في الوقت الحاضر أم لا.

وكانت أبحاث الترجمة في بداية السبعينيات (حين وضع هذه الخريطـة) مُشـتَّتة بين مجـالات كثـيرة، مثـل علوم اللغة والفلسفة والإنسانيات، لكن أحدًا لم يرَ الترجمة جديرةً بالتفرّغ للبحث فيها أو تخصيص مساقٍ دراسي لها؛ ولهذا انكبَّ "هولمز" على رسـم الخريطـة الـتي كشـفت للبـاحثين عن اتسـاع الترجمـة وحقلهـا، ودعت إلى تخصيص مجالٍ أكاديمي لدراستها. وهذا إنجازٌ تحقَّق بنجاح كبير،[32] فصارت الترجمة -الآن- تُدرَّس في الجامعات حول العالم ويتفرَّغ الباحثون للعمل فيها، وظهرت فيها مدارس حداثية كثيرةٌ، ويجدرُ بالمترجمين أن يعرفـوا هـذه المدارس ولو بإلمام بسيط.

31 Botha (2000): p. 38

32 Lefevere (1992): p. xi

4.4 مدرسة التحليل الخطابي

يشتهر الفيلسوف الفرنسي "ميشال فوكو" بنظرية يناقشُ فيها "المعرفة والسلطة"[33] فيقولُ: إن ثروة المعرفة والمعلومات في عصرنا هي نوعٌ من أنواع السلطة، وأن السلطة والمعرفة وجهان لعملةٍ واحدة:[34] فالسلطة تُهيئ صاحبها لتشكيل المعرفة مثلما يشاء، والمعرفة تمنحُ السلطة لمن يتحكَّمُ بها، ويكمن جانبٌ كبير من خلاصة هذا الكلام في القول المشهور: «التاريخ يكتبهُ المنتصرون». وقد وضع "فوكو" بهذه النظرية - وبنظرياته الأخرى- أساسًا لموضوع جديدٍ مزدهرٍ للبحث اسمهُ "تحليل الخطاب"، والذي يُعْنَى بدراسة وظيفة اللغة في التواصل الإنساني،[35] وبخواصّها الاجتماعية والثقافية في التخاطُب بين الناس، ولهذه الدراسات فوائد جمَّة في الترجمة.

يساعدُ تحليل الخطاب على صياغة الكلامِ لتتّسق أفكاره وتترابط حسب الجمهور المناسب له.[36] مثلًا: إن ظهرت نشرة أخبار في التلفاز تقول: إن واشنطن وموسكو وقَّعتا على معاهدة حماية الحياة البرية، فعلى مترجم هذه الجملة (أو قائلها) أن يُخمِّن إن كان مستمعوه مثقَّفينَ كفايةً ليفهموا المقصودَ بـ "واشنطن" و"موسكو"، وهما ليستا -هنا- مدينتين بحيّزهما الجغرافي؛ وإنَّما حكومتا الولايات المتحدة وروسيا، وهذا تخمينٌ قد يصيب أو يخطئ حسب السياق الخطابي.[37]

ولتحليل الخطاب تطبيقاتٌ مفيدةٌ كهذه في الترجمة، وتتميَّزُ مدرستهُ بأنها مبنيَّة على علم اللغة واللسانيات بدرجة فاقعة.[38] ومن الباحثين الذين انكبّوا على دراسة تحليل الخطاب في الترجمة أعلامٌ عربٌ معروفون،[39] فتترأَّسُ "منى بيكر" (وهي مصرية الأصل) مركز الترجمة والدراسات في جامعة مانشستر، وقد خصَّصت فصولًا عدّة لتحليل الخطاب في الترجمة بكتابها الأكاديمي المعروف In Other Words، إذ تتناولُ فيه تأثير الترجمة على ترابط الأفكار بين لغةٍ وأخرى، وتأتي على ذلك بأمثلة عديدة من اللغة العربية.[40]

كما أن "باسل حاتم"، وهو رئيس قسم الترجمة واللغات في جامعة هاريوت واط الإيرلندية (وهو عراقي الأصل)، يتناولُ مطولًا خصائص التحليل الخطابي في دراسات مع زميله "إيان ماسون"، ومن الأمثلة التي يدرسها صعوبة نقل الكلام باللهجات العامية بين لغةٍ وأخرى، ويستشهدُ على ذلك بترجمة "ما يُقَال" بلهجة الطبقة العاملة في لندن إلى العربية.[41] ومن الأدباء النادرين الذين كتبوا عن الترجمة باللسان العربي "محمَّد عناني"، فله كتبٌ كثيرة تتمحورُ في أكثر جوانبها حول تحليل الخطاب، ومنها كتاب "فن الترجمة" المعروف.

33 الكلمة الأصل هي Power، وقد تترجمُ بمفرداتٍ عدّة منها القوة والسلطة والنفوذ، ونختارُ هنا الأخيرة بناءً على السياق.

34 Koutras (2019): p. 99

35 Canepari (2011): p. 81

36 Canepari (2011): p. 82

37 Munday (2008): p. 95

38 Munday (2008): p. 100

39 أو "من أصول عربية"، لأن كثيرًا منهم أو معظمهم يعيشون في بلدان أجنبية ويحملون جنسياتها.

40 Munday (2008): p. 94

41 Munday (2008): p. 99

4.5 نظرية الوظيفة

تشتهر مدينة هايدلبرغ الألمانية بمظهرها البهي ونمطهـا المعمـاري الرومانسـي (ولـذا فإنهـا تسـتقطب من السُيَّاح كل عامٍ عشرين ضعف سُكَّانها) ، كما أنها تشتهرُ بأن فيها أقدم جامعة ألمانية وثالث أقدم جامعةٍ ما تـزالُ قائمةً في العالم؛ إذ تأسَّست عـام 1386. وتفتخـرُ جامعـة هايـدلبرغ بإنجـازات كثـيرة، مثـل أنهـا خـرَّجت سـبعة وعشرين حائزًا وحائزةً على جائزة نوبل، وكذلك أنها كانت مسقط رأس واحدةٍ من أهم نظريات اللغة الحديثـة، هي الترجمة الوظيفية أو "نظرية الغرض"،[42] فقد أسَّسـها أسـتاذَان من جامعـة هايـدلبرغ في منتصـف الثمانينيـات، وهما: "هانز فرمير" و"كاتارينا رايس"،[43] وسرعان ما ذاع صيتهما بين المترجمين الألمان والباحثين حول العالم.[44] ولعلَّ المدرسة الوظيفية هي أقرب مناهج الترجمة اتصالًا بعمل المترجم الفعلي.[45]

كانت قد اختصَّت النظريات الأولى بدراسة كيفية ترجمة المفردة أو الجملة بين اللغات، لكن "هولمز" اقـترح في خريطته ضرورة دراسة الترجمة على مستوى النصّ كاملًا،[46] [47] ممَّا يعني -مثلاً- أن اقتطاع اقتباسٍ (بل وفصل بطوله) من كتاب دون أخذ باقي الكتاب بالحسبان؛ يـؤدي إلى ترجمـة ناقصـة مذمومـة. وقـد حملت هـذه الرايـة مدرسة الترجمة الوظيفية، فهي ترى أن الهمَّ الأكبر للمترجم هو فهمُ **وظيفة** النص: أي الغـرض والهـدف المرجـوّ من ترجمته، فكلّ غرضٍ وكلّ جمهورٍ له ظروفٌ وأحكامٌ تخصّه.[48]

والمترجمُ لا يؤدّي عملهُ إلا لهدف واضح،[49] فكل ترجمة لها جمهور وهـدفٌ قـد يتماثـلُ أو يتبـاينُ مـع هـدف الأصل، وهذه مسألة جوهرية تختلفُ فيها الترجمة الوظيفية عمَّا سبقها من نظريات، إذ إنهـا تفصـلُ بين وظيفـة النص الأصلي وبين وظيفة ترجمته.[50]

على سـبيل المثـال: عنـدما يُلْقي الـرئيس الأمـريكي السـابق "بـاراك أوبامـا" خطابًـا عامًـا، فـإن الجمهـور المستهدف بهذا الخطاب هو -غالبًا- عموم الشعب الأمريكي، والقصد من الخطاب هو إقنـاعهم -مثلًا- بتوجّهـات الحزب الديمقراطي دون غيره من الأحزاب السياسية. ولكن لـو ترجمنـا هـذا الخطـاب إلى العربيـة فـإن جمهـوره

42 Skopos Theory (ومعنى كلمة "سكوبوس" هو الهدف أو الغرض المرجوّ)

43 تأسَّست النظرية بنشر كتاب في سنة 1984 عنوانه بالألمانية: Grundlegung einer allgemeine Translationstheorie (وترجمته: "حجر أساسٍ لنظريَّة شاملة في الترجمة") (Munday. 2008: p. 79).

44 Munday (2008): p. 87

45 Nord (2016): p. 569

46 Botha (2000): p. 40

47 لا يعني هذا الكلام أن الترجمة الحرفية هي الحلّ، بل العكس: فمن واجب المترجم أن يأخذ النصّ كاملاً بعين الاعتبار -لا الكلمات فقط- للوصول إلى ترجمة متكاملة. (Botha, 2000; p. 49)

48 Munday (2008): p. 72

49 تفترضُ هذه المدرسة أن الترجمة تقعُ في سياقٍ مهني، ممَّا يعني أن "المُفوِّض" (The initiator) هو ربُّ عملٍ يُسدّد راتب المترجم ويُفوّضه لأداء العمل، وقد يكون المُفوَّض مسؤولاً عن مجموعة من المترجمين المتطوعين، كما قد يكون المترجمُ هو المُفوِّض إن ترجم لصالحه الخاص.

50 Munday (2008): p. 80

يختلف كليًا، إذ يتحول إلى قراء ومستمعين يعيشون -في معظمهم- في المنطقـة العربيـة، والغـرضُ من ترجمـة الخطاب لهم إطلاعهم على مجريات السياسة الأمريكيـة، وليس إقنـاعهم بـدعم حـزبٍ من أحزابهـا. ممَّا يعـني أن غرض الترجمة غيرُ الأصل.

وتترتب عدّة نتائج على هـذا الأمـر، منهـا أن أولويـة الترجمـة هي خدمـة وظيفتهـا وجمهورهـا: أي القـرَّاء (لا المؤلِّف)، ومنها -كذلك- أن النصَّ الواحد قد يُترجمُ عدة مرَّاتٍ وبطرقٍ تختلفُ في محتواها وهيئتهـا (كـأن تكـون مطبوعة أو مسموعة) حسب وظيفتها، وعلى المترجم أن يبـدأ عملـه دائمًـا بـأن يقـرّر الغـرض المرجـوّ من عملـه بالتشاور مع "مُفوِّضه"، أي: مع صاحب العمل، أو مع نفسه لو كان يترجمُ بدافعه الشخصي.[51]

في مثالٍ عمليّ: لو تلقَّيتَ عرضًا لترجمة رواية من دار نشر، فعليك أن تبدأ بسؤال القائم على دار النشــر عن هدفه من ترجمتها، فقد يقولُ شيئًا من الآتي:

- أن الناشر يريدُ ترجمة الرواية لجمهور القُرَّاء العرب، ممَّا يعني أن الهدف من الترجمة الربح ولـذا يجبُ أن تميــل نحــو كفَّة التعــريب والتكــييف، فتــأتي بلُغــةٍ عربيــة واضــحة ســهلة دون التلاعب بشــيءٍ من جوهر الأصل.
- أن الناشر يريدُ ترجمة الرواية لطُلاَّب الأدب: ممَّا يعني أن الهدف من الترجمة تذوّق جمالهـا الأدبي، ولـذا يجبُ أن تميل نحو كفَّة الترجمة الحرفية التي تنقلُ ألفاظَ المؤلف الأصلي كما هي.
- أن الناشر يريد ترجمة الرواية لنشرها للأطفال والناشئة: ممَّا يعني أن الهـدف من الترجمـة التعليم، ولـذا يجبُ أن يأتي فيها تكييفٌ وتعديلٌ للقصة لتناسبَ القيم والأخلاق العربيـة، وأن يُضْـبَطَ فيهـا التشـكيل وتُبسَّط المصطلحات.

وفي كُلّ هذه الحالات يتبعُ المترجم أسلوبًا مختلفًا حسب احتياجات مُفوِّضه،[52] وهذا هو سرُّ نجـاح الترجمـة الوظيفية: فهي لا تفرضُ قواعد عامَّة سائدةً، بل تتكيَّف حسبَ السـياق وضـرورته، وهي تتَّصـلُ بعمـل المـترجم الواقعي ففيها أسئلةٌ واضحةٌ يُوجِّهها نحو ربِّ العمل وتظهر منها احترافيته وإلمامه بمهنته.

4.6 المدرسة الوصفية

تعرَّضت نظريات الترجمة الأوروبية لانتقادات بمرور الوقت بسبب حُكْميَّتها، فجُـلّ هـذه النظريـات تُنصِّـبُ نفسها بموقع المُعلِّم والمرشد بدلًا من الإقرار بما للمترجمين من خبرة، وبأن لاختياراتهم تبريرات قوية قائمةً على التجربة، ودعا لهذا بعض الباحثين اليهود في عام 1995 لإطلاق منهجٍ جديدٍ يقومُ على دراسة أعمـال المـترجمين لفهمها بدلًا من التقوُّل عليها وتصيّد أخطائها، وهذا ما يُسمَّى بـ"الدراسات الوصفية".

51 Munday (2008): p. 80

52 ولعلَّ المترجم سيِّد نفسه ويترجمُ برغبته أو تطوعه الشخصي، وهذا يعني أن بإمكانه أن يختار الغرض المرجوَّ بنفسه ويبدأ بالعمل بناءً عليه.

وترى هذه المدرسة أن هناك عاداتٍ سائدةً بين المترجمين[53] تحكمُ وتُسيّر عملهم، فثمَّة اختلافاتٌ شتّى بين طرق الترجمة حسب جمهورها (كقصص الأطفال) أو لغاتها (كالنقل من الفرنسية إلى العربيـة) أو فترتهـا (كـزمن النهضة العربية). ولا يحاولُ الباحث في الدراسات الوصفية أن يرشد المترجمين إلى كيفية تحسـين تـرجمتهم،[54] وإنَّما ينحصرُ عمله في دراسة النصوص المترجمة والبحث عن قواسم مشتركة بينها، مثل التعديلات التي يميـلُ المترجمون في كل لغة إلى القيام بها ومقدار أمانتهم أو تصرّفهم بالأصل.[55]

ومن تطبيقات الترجمة الوصفية؛ أنها تخبرنا بالأنماط الراسخة في الترجمة. فمثلًا: اكتشفت "منى بيكر" في أبحاثها أن الفعل "يقول" أو "قال" يأتي في الترجمات الإنكليزية عن العربية والإسبانية أكثر بمرَّتين ممَّا يأتي في النصوص الإنكليزية الأصيلة، وهذا دليلٌ محتملٌ على أن المترجمين من هاتين اللغتين يستعيضونَ عن كثير من الأفعال الأدبية والبلاغية في العربية والإسبانية بالفعل الإنكليزي "to say" لتبسيط الأسلوب على القـرّاء، وهـذه مشكلة غير واعيةٍ وصعبة الكبح للترجمة.[56]

ومن الأمثلـة الموسَّـعة على الدراسـات الوصـفية كتـابُ "الملـك لـير في خمس ترجمـات عربيـة" لأحلام حادي (2009)، وهو يقارنُ بين عدة ترجماتٍ لمسـرحية "الملـك لـير" في أمانـة نقلهـا لأسـلوب شكسـبير، وفي كيفية عرضها أمام القُرَّاء العرب.

4.7 شخصية المتـرجم

يقول الكاتب إبراهيم زكي خورشيد: "الترجمة عمل غير مشكور. [ففيها] جهد كبـير ولا حـق في التـأليف".[57] وهو ليس وحيدًا في رأيه، فمن أكثر ما يشكو منه منظّرو الترجمة قلَّة التقدير الذي يلحقُ بالمترجم وعدمُ الاكتراث باسمه ولا بإنجازه، بل وتهميش مجـال الترجمـة كلـه. فعـادةً مـا ينسـبُ كُـلّ الفضـل والشـهرة في سـائر الكتب والأعمال المترجمة لمؤلّفها الأصلي؛ وكأنه كتبها بقلمه في كلّ لغةٍ من اللغات، بينما لا تـرى (إلا مـا نـدرَ) حـديثًا عن إتقان المترجم نقلًا أو تعديلًا أو تحسينًا. وكان الإحباط الناجم عن هذا التهميش كفيلًا بأن يصنعَ اتجاهًا مكرَّسًا في الدراسات الأكاديمية يدعو إلى احترام شخصية المترجم وذاته، أملًا في تعديل كفَّة الميزان.[58]

53 المقصود بالعادات هنا (Norms) هو الممارسات المقبولة أو المرفوضة بين جمهور المترجمين (Munday, 2008; 111)، وقد نجدُ مثالًا لذلك في أن المترجمين للعربية غالبًا ما يحذفون أو يخفّفون الألفاظ المسيئة للذات الإلهية في بعض فئات الأدب، ويمكننا أن نقول أن تخفيف هذه الألفاظ (عادةٌ) سائدةٌ في الترجمة إلى اللغة العربية، وهو استنتاجٌ نأتي إليه من موازنة الترجمات العربية والنصوص الأصلية بأسلوب وصفيّ.

54 Munday (2008): p. 111

55 Munday (2008): p. 113

56 Munday (2008): p. 182

57 في كتابه المعروف "مشكلات الترجمة" ([مصدر]).

58 Hatim & Munday (2004): p. 95

كان أكثر من التفتَ إلى هذه المشكلة الباحث الأمريكي "لورنس فينوتي"، حيث نشـر في عـام 1995 كتابًـا كان لهُ وقعه الكبير على نظرية الترجمة، وعنوانه "خفاءُ المترجم".[59] والمقصود بـ"الخفـاء" -هنـا- هـو أن المـترجم في العالم الغربي الحديث أمسى مثل الشبح، والذي تعبرهُ أنظار القُرَّاء دون اكتراثٍ بشخصـه، ويُوجّـه "فينـوتي" نقدًا لاذعًا للناشرين الأمريكيين لأنهم يحرّرون الترجمة حتى تأتي سلسة وسهلة القراءة، بينما يدعو هو إلى ضرورة أن تحتفظ الترجمة بسماتٍ أجنبيـة تُعبّـر عن أصـلها الغـريب،[60] وبالتـالي عن مجهـود مترجمهـا في صَـوْنِ هـذه الغرابة للقارئ.[61]

تدعو هذه المدرسة -أيضًا- لأن يصبح المترجمون موضوعًا للدراسة من وجهة نظـر علم الاجتمـاع.[62] إذ يـتركُ كلّ مترجم طابعًا شخصيًا في عمله بناءً على خلفيته وطبيعته المتفرِّدة، وتحـاول كثـير من الأبحـاث أن تكتشـف كيفية تمييز الترجمة من خلال صاحبها: فلو أعطيتَ الجملـة نفسـها لخمسـة أشـخاصٍ سـيرجعون إليـك بخمس ترجماتٍ متمايزة، ومن العَصِيّ تفسيرُ هذا التمايز وعزوه لأسباب واضحة،[63] فيستحيل أن تتطابق ترجمتان مثلما يستحيل أن تتطابق ترجمةٌ وأصل.[64]

وخلاصة هذه المدرسة هي أنها تدعو للرجوع إلى الترجمة الحرفية، فهي توازنُ بين "تقريب" النص و"تغريبه" عن القارئ[65] موازنةً ومماثلةً للجدل التاريخي بين اللفظ والمعنى. وقد نرى هذه النظرة للترجمة بعيدةً عن السياق العربي كُلَّ البعد، إذ إن مبرّراتها لا تنطبقُ في سياق اللغة العربية، كما سنرى في الفصل القادم.

4.8 مدرسة الثقافات

كانت مدرسة التحليل الخطابي خطوةً أولى في خروج دراسات الترجمة من قوقعـة علم اللغـة، إذ أخـذت في الحسبان خصوصيات اجتماعيـة وثقافيـة لم يلتفت لهـا البـاحثون سـابقًا، واكتسـبَ هـذا المنحى قُـوَّة أكـبر في السبعينيات؛ حينما أدرك البـاحثون أن موضـوعات الترجمـة (مثـل: الكتب والأدب) ليسـت إلا وجهًـا من أوجـه الدراسـات والعلـوم الإنسـانية المتداخلـة بعضـها ببعض، ممَّا يعـني أن فهم الترجمـة يسـتوجبُ -إلزاميًـا- فهم المجتمـع والثقافـة والتـاريخ الـذي أخرجهـا.[66] ويُسـمَّى المنهج "مدرسـة التخصّصـات المتعـدّدة" أو "الترجمـة الثقافية"،[67] وقد يكون أقوى اتجاه حديثٍ وحاليّ في نظرية الترجمة.

59 The Translator's Invisibility (1995)

60 Munday (2008): p. 144

61 Munday (2008): p. 145

62 Munday (2008): p. 158

63 Munday (2008): p. 158

64 Botha (2000): p. 43

65 Domestication vs foreignization (Munday, 2008; p. 145).

66 Munday (2008): p. 108

67 بالإنكليزية: Polysystem Theory وCultural Translation

اعترض رُوَّاد المنهج الثقافي في عام 1990 على معظم ما أسـلفنا من منـاهج الترجمـة، وكـانت حُجَّتهم في ذلك أن الخلاف التاريخي بين "الترجمة الحرفية" و"الترجمة بتصرّف" ينحصرُ اهتمامه (منذ العصور القديمة) في ترجمة المفردات، بينما انحصرَ اهتمام المدارس الحديثة (مثل: مدرسة تحليل الخطاب والمدرسة الوظيفيـة) في ترجمة النصّ، ممَّا يعني أن تاريخ الترجمة بمعظمه منصبٌّ على المفاضلة بين الترجمة والأصل الذي نُقِلَت عنه، ويرى أتباع المدرسة الثقافية أن هذه موازنة ضيّقة تتجاهلُ البيئة الاجتماعية والإنسانية التي تقـعُ فيهـا الترجمـة، والتي يجبُ أن توازن بين ثقافتين، وهذه نقطة تحوُّل كبرى[68] تُسمَّى: "النقلة الثقافية".[69]

ومن روَّاد النقلة الثقافية المترجم "ليفيفير"، الـذي درسَ القيـود الثقافيـة والاجتماعية[70] والاقتصـادية الـتي تُقنِّنُ الترجمة.[71] فمثلًا: لكل ثقافة عادات أدبية سائدة تُقيّد الأدب المقبول والمذموم فيها، وتتضاربُ هذه القيود مع اعتبارات اللغة،[72] ومن نتائج ذلك: أن المترجمين قد يتجنبون نقل المشـاهد المخلّـة أو يتلاعبـون بهـا تقـديرًا لقيود ثقافتهم، كما قد يحرّفون أوصاف الشعوب والأعراق والتاريخ والسياسة للأسباب نفسها.[73]

وتدرسُ الترجمة الثقافية (مثل النقد الأدبي ومعظم الإنسانيات) القضايا النسوية والشذوذ وتحلّـل ظهورهـا في الترجمـة، ويـدعو بعض البـاحثين الثقـافيين إلى التلاعب بالترجمـة بقصـد إبـراز هـذه القضـايا المُهمَّشـة، وخصوصًا في الثقافات التي تقمعُها.[74]

ومن أهم مجالات الترجمة الثقافية ما يُسمَّى "دراسات مـا بعـد الاسـتعمارية"، وهـو اتجـاه أكـاديمي جديـدٌ يدرس الآثار الإنسانية والثقافية للاستعمار الغربي،[75] ويدرسُ الباحثون فيـه كيفيـة الترجمـة من لغـات الشـعوب المستَعْمَرة (مثل: العرب والأفارقة والآسيويين ومعظم الشعوب) إلى لغات المستَعْمِرين (مثل: الإنكليزية وبقيـة اللغات الأوروبية)، ويتناولون العلاقة غير المتوازنة بين هاتين الجهتين بسـبب الفـرق الشاسـع بينهمـا في القـوّة والسلطة في ذلك الوقت.[76]

68 Munday (2008): p. 125

69 "The cultural turn"، وهو مصطلح نشرته "ماري سنل هورنبي" في كتابٍ تأسيسي لهذه المدرسة عنوانه Translation, History, and Culture (1990)، وهو من تأليف Bassnett وLefevere.

70 تتشابهُ الترجمة الثقافية من هذه الناحية مع تحليل الخطاب الذي تناولناه أعلاه، على أن تحليل الخطاب يأتي من منطلقٍ لغويّ فيدرسُ قدرة اللغة ضمن قواعدها على إيصال معنى موائمٍ للسياق، أي على العقبات التي تضعُها اللغة على الثقافة، وأما هنا فإنَّ التركيز هو على العقبات التي تضعُها الثقافة على اللغة.

71 Munday (2008): p. 126

72 Munday (2008): p. 127

73 Munday (2008): p. 128

74 Munday (2008): p. 129-130

75 أسَّس هذا المجال المفكر الفلسطيني (إدوارد سعيد) في كتابه المشهور Orientialism (1978).

76 Munday (2008): p. 133

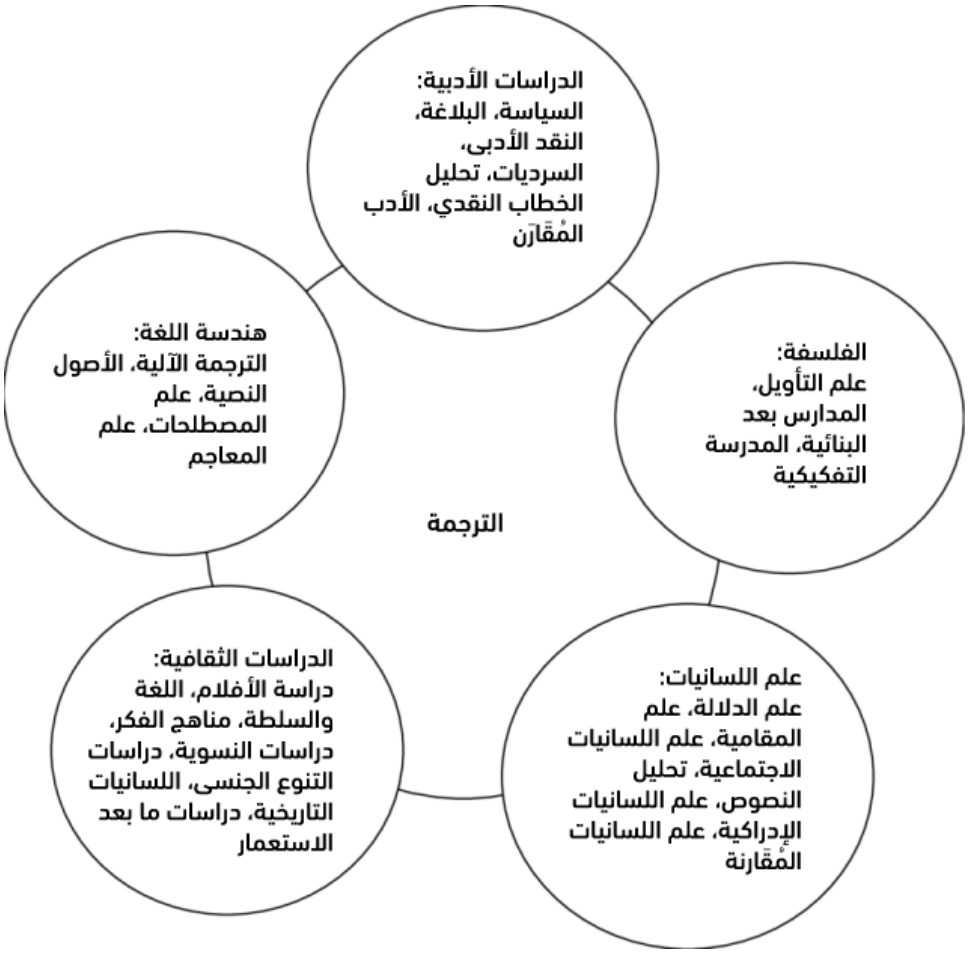

رسم توضيحي من الباحثين "باسل حاتم" و"جيريمي مندي" للتداخل الكبير بين الترجمة وغيرها من مجالات البحث والدراسة، والذي يتجلَّى في نظرية الترجمة الثقافية.

وينظـر كثـير من أتبـاع هـذه المدرسـة للترجمـة على أنهـا أداةٌ اسـتعمارية و"ملطّخـة بالعـار"، وذلـك لأن المستشرقين استغلّوا الترجمة -تاريخيًا- في نقل صورة سلبية عن المشـرق،[77] كمـا يـرى أتبـاع هـذه المدرسـة أن المترجمين الغربيِّين يأخذون حريتهم في التصرّف بآداب الشعوب المستعمرة على أنها "أقلّ منزلةً" من لغـاتهم، فيقرّبون أسلوبها للمألوف في الأدب الإنكليزي والغربي،[78] ونتيجة هذا السلوك -كما تقـول إحـدى الباحثـات- هي أن: «قلم المرأة الفلسطينية يغدو شبيهًا في أسلوبه بقلم الرجل التايواني».[79]

ويجب أن نُفكّر فيما قد يحدثُ عندما نشرعُ بترجمة أدبٍ من أطراف العالم كافة إلى اللغة العربية نفسها، أي عن الإنكليزية والفرنسية والألمانيـة والصـينية واليابانيـة وغيرهـا (وهي حركـةٌ تجـري على قـدمٍ وسـاقٍ بالفعـل)، ولنتخيَّل الآن هذا الأدب المتباين أشدَّ التباين في أشكاله وخلفياتـه الثقافيـة؛ وقـد امـتزجَ بالتعـابير والمفـردات والجمل العربيَّة التي ننقلُ بها الأدب عن كُلّ العالم. ألا يعـني هـذا أننـا نُلْغي -مثـل غيرنـا- الخصوصـية الثقافيـة لجميع هذه الإنتاجات الأدبية بعرضِها في ضوء لغةٍ ومنظومة واحدةٍ توهمنا وكأنها متماثلة؟

77 Munday (2008): p. 132

78 لهذه الترجمات مصطلح خاصّ اسمه "Translatese"، ويقصدُ به الترجمة المضحكة أو ناقصة القواعد.

79 Munday (2008): p. 132

4.9 اختيار منهجك

تناولنا لمحاتٍ خاطفةً عن مناهج نظرية كثيرة تختلفُ في أحكامهـا، وقـد وضـع جُلّهـا بـاحثون متخصّصـون، فليس مطلوبًا من المترجم أن يحيط علمًا بها جميعًا، لكنه سوف يضـيفُ عُمْقًـا واحترافيـة متفـرّدة إلى عملـه إن اختارَ منهجًا منها ودرسهُ بعُمْق يكفي لتطبيقه.

ولعلَّ منهج "الترجمة الوظيفية" هو الأكثر فائدةً في السياق المهـني، فلـو حصـلتَ على عـرض لوظيفـةٍ في الترجمة يمكنك أن تسأل صاحب العمل باحترافية عن "الغرض" الـذي يسـعى لـهُ من الترجمـة والجمهـور الـذي يرجوه لها، وبناءً على ذلك تختارُ الأسلوب الأنسب في العمل بتسلسلٍ عقلاني. كما أن مدرسة التحليل الخطـابي والمدرسة الثقافية لهما لفتاتٌ جوهرية لأسلوب الترجمة، والتي سنتناولُ كثيرًا منها بأمثلة عملية لاحقًا.

وللمترجم -في نهاية المطاف- حُرِّية اختيار المنهج الـذي يناسـبهُ ويتّسـق مـع قناعاتـه وأسـلوبه، على أن من الأفضل أن يلتزمَ بمنهجٍ واحدٍ من هذه المناهج، وذلك لقيمـة مـا وُضِـعَ فيهـا من بحثٍ ودراسـة، وحينمـا يجمـعُ المترجم ما في هذه المناهج من معرفة نظرية مع خبرته العملية فسوف يحترفُ مهنته حقًا، ولهذا السبب سـوف ترى (في الفصول القادمة) استشهادًا متواليًا بكنوزها الكثيرة.

أكبر موقع توظيف عن بعد في العالم العربي

ابحث عن الوظيفة التي تحقق أهدافك وطموحاتك
المهنية في أكبر موقع توظيف عن بعد

تصفح الوظائف الآن

5. آفات الترجمة على اللغة

«إن أعظم آفات الكلام هي كثرة الترجمة. فلم يُنْقَل كتابٌ من لسانٍ إلى لسانٍ قطّ دون أن ينتقل معهُ شيءٌ من خصائص لغته، وهذه أسوأ ألوان الإبداع، فربّما يحتمل بناء اللغة أن تدخل عليه آلاف المفردات الجديدة، وأما الجملُ الجديدة فعاقبتها عظيمة: فهي لا تُبدِّلُ جدران البنيان؛ وإنما دعائمه».

— صامويل جونسون، في مقدمة معجمه عام 1755.[1]

من كل سبعة كتب منشورةٍ سنويًا في البلاد العربية كتابٌ مترجمٌ على الأقلّ،[2] وهذه نسبةٌ لا يستهانُ بها، ولها تأثير غير معلومٍ على الأمد البعيد، خصوصًا إذا ما قُورِنَت بنسبة الكتب المترجمة عن لغاتٍ أخرى إلى الإنكليزية، والتي تتراوح بين 2.5 إلى 3% من سوق النشر الأمريكي فحسب. ولا تقتصرُ تداعيات هذه المشكلة على كثرة الكتب الأجنبية، بل إن لها تبعات اقتصادية أيضًا، إذ يحصدُ مؤلّفو الكتب الإنكليزية جُلَّ أرباح الطباعة والنشر في أرجاء العالم لكثرة ما تُترجم كتبهم إلى اللغات الأخرى (بما فيها العربية)، وأما المؤلفون العرب والشرقيون -وغيرهم- فلا يحصدون إلا القليل الهزيل.

كما أن للمشكلة أبعادًا ثقافية: فأهل اللغة الإنكليزية قادرون على نشر أعرافهم وثقافتهم بكتبهم وآدابهم دون أن يتلقّوا -في المقابل- شيئًا يذكرُ من ثقافات العالم الأخرى،[3] فهم يكتبون باللغة الأصل لنصف الترجمات المنشورة في العالم حاليًا، لكن الإنكليزية تستقبلُ من اللغات الأخرى 6% فحسب من الترجمات المنشورة

1 ترجمتي، المصدر: Baker (1992): p. 46

2 النسبة هي 14.7% من أدب الأطفال وسطياً منذ عام 1950 إلى 1990 تقريباً (Mdallel, 2003)، ولو أن في مصادر أخرى أرقاماً أقل، مثل كتاب روتليدج للترجمة العربية الذي يحصي نسبة 11.63% وسطياً (Hanna et al, 2020; p. 317).

3 Munday (2008): p. 152

عالميًا. ويُعبّر اختلال النسب المذهل هـذا عن تـأثير لغـوي وثقـافي عظيمٍ للسـان الإنكلـيزي منفـردًا على العـالم أجمع،[4] ويخشى كثيرون -بسببه- أن الإنكليزية صارت خطرًا يتربَّصُ بكلِ لغةٍ وكلِ ثقافة سواها.

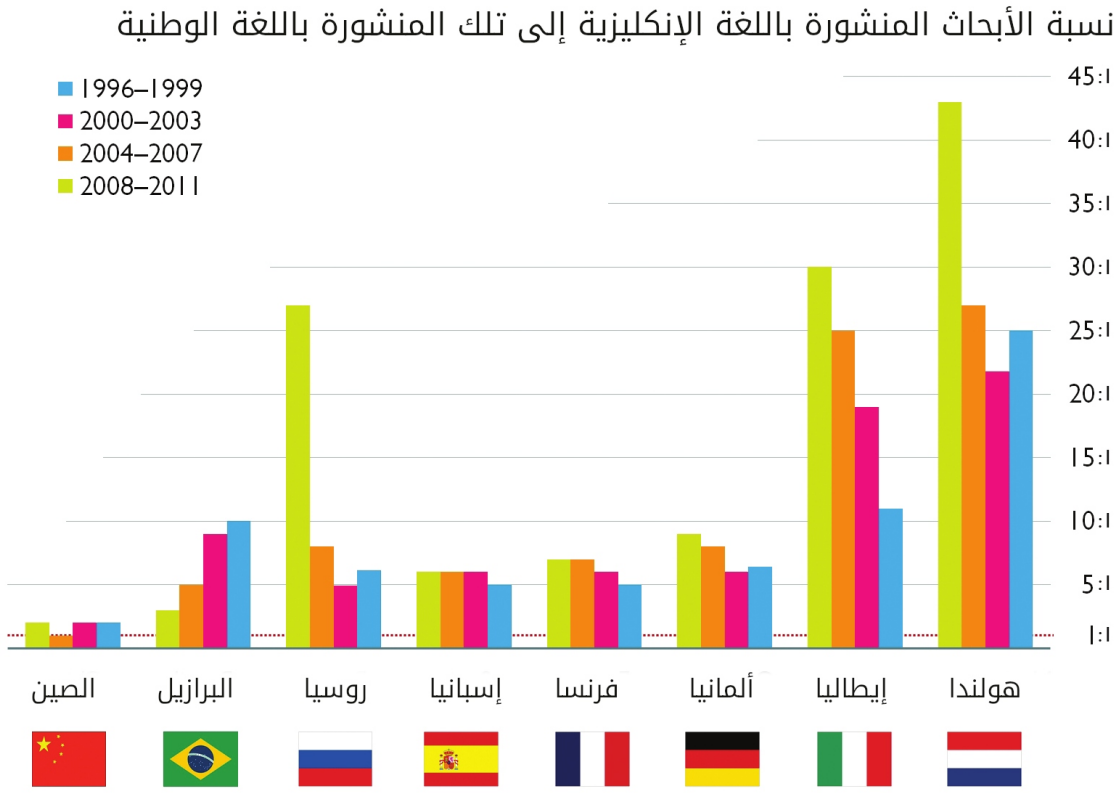

نسبة الأوراق البحثية المنشورة بالإنكليزية؛ مقارنةً بالأوراق المنشورة باللغات الرسمية لثماني دول عالمية (منذ عام 1996 إلى 2011). - المصدر: Research Trends.

5.1 العربية المتغيرة

أمسى برج خليفة منذ سنة 2010 أعلى "ناطحة سحاب" في العالم، فهو أطول بمـرة ونصـف من أي ناطحـة سحابٍ سبقته (بارتفاعه الذي يتجاوزُ ثمانمئة مـتر)، على أن العـرب لم يعرفـوا ناطحـات السـحاب لأمـدٍ طويـل، فأولاها بُنِيَت في الخليج في عقد التسعينات،[5] بل وإن مهد هذه البنايات الشـاهقة -عالميًـا- فكـان في نيويـورك في سـنة 1857.[6] ولهـذا السـبب كـانت الإنكليزيـة أول لغـةٍ تبتـدعُ كلمـةً تصـف هـذه البنايـات، وذلـك بنحتٍ لكلمـتي "sky" ("سـماء") و"scraper" ("قحَّافـة")، وانتقـلَ هـذا المعـنى حرفيًـا إلى لغـاتٍ كثـيرةٍ جـدًا، منهـا: الفرنسية والإيطالية والبرتغالية[7] والعربية ("ناطحة سحاب")، ويُسمَّى هذا النقل الحرفي للمفردات -بين اللغـات-

4 Eliot & Rose (2009): p. 408

5 Binder & Foster (2006): p. 19

6 The Editors of Encyclopaedia Britannica, 2020. Skyscraper. [online] The Encyclopædia Britannica. Available at: https://www.britannica.com/topic/language/skyscraper [Accessed 6 August 2020].

7 "Casselman (2010): Chapter 5, "Skyscraper and its calques

"المحاكاة" (calquing)، كما يقالُ لها أحيانًا "النُّحْل"[8] أو "التوطين"،[9] ومعناها: استنساخ الكلام بمعناه الحرفي بين اللغات، وهذه ظاهرةٌ سائدةٌ في عصرنا بكل مكان وكل لغة.

لا تقتصر المحاكاة على الكلمة المنفردة، بل قد تُحَاكى ألفاظ وأمثال وجمل متكاملة، ومن أمثلة الجمل المحاكاة -غالبًا- التي تكثرُ حديثًا: "ليس بعد الآن" (not anymore)،و"صنعتُ صديقًا" (made a friend)، و"هيا يا صاح" (come on dude)، و"اذهب إلى الجحيم" (go to hell)، وهذه كلُها تُرْجِمَت إلى اللغة العربية حرفيًا؛ وليس بالمعنى، فذاعت على ألسنة الناس.

وأظهرت دراساتٌ على لغاتٍ أخرى (منها البرتغالية)؛ أن هذا النوع من المحاكاة قد يبدأ من الكتب المترجمة ترجمةً حرفيةً، ثم ينتقلُ إلى اللغة فيصبح ظاهرةً طبيعيةً فيها،[10] مثلما نرى في الأمثلة التي وردت أعلاه: فهي أمثلةٌ لا تقتصرُ على الترجمة وإنما تجدها -كذلك- في الكتابات العربية الأصيلة والحوارات العامية، مما يعني أنها تغلغت في اللسان العربي، بل وتغلغلت -معها- ثقافةٌ كاملةٌ أَلِفها الناس ووقعوا تحتَ تأثيرها، فلم يمانعوا في العادة من محاكاتها حرفيًا بهذا الأسلوب.[11]

5.1.1 سنة التغير

ربّما تدخلُ عشرات أو مئات الكلمات الأجنبية على أي لغة في فترة حياة الإنسان، ولكن من المستبعد أن تتغيّر قواعد هذه اللغة النحوية والصرفية في حياته، فهذه التغييرات تستغرق أمدًا طويلًا، ومن الأسلم -إجمالًا- أن يبقى النحو والصرف وقواعد اللغة شبه ثابتين بمرور الزمن (ما عدا ما تقتضيه "الضرورة الشعرية"، كما يُقَال).[12] لكن بعض قواعد وأصول العربية -وغيرها من اللغات- ربما تكونُ في حالة تغيّر سريعٍ ومنهجي بسبب الترجمة والعولمة، وهو تغيّر يتناقضُ مع موروثها الثقافي، إذ يقول في ذلك جرجي زيدان:[13]

> «لا يخفى أن لكل لغة أسلوبًا في التعبير لا ينطبقُ بكل تفاصيله على أساليب اللغات الأخرى، واللغات تتقاربُ وتتباعدُ في تلك الأساليب بتقاربِ أصول الشعوب وتباعدها، والعرب بعيدون في أصولهم عن الإفرنج».

وإقحامُ التعابير الدخيلة على اللغة هو أمرٌ لا بُدّ منه، فتاريخ كل لغةٍ في العالم قائمٌ على التبادل والتلاقُحِ المستمرِّ مع لغات أخرى تؤثّر فيها بمفرداتها وأفكارها، ولكنَّ الإكثار من الدخيل -بتسارعه الحالي- قد يؤدي إلى ركاكة الكلام، فيُمْسي وكأنه غير عربيّ أو كأنه «أعجمي مكتوبٌ بكلماتٍ عربية». وحسب زيدان فإن اقتباس الكلام الأعجمي من مكمّلات الحديث: «وإذا عدَّه بعض اللغويِّين فسادًا في اللغة فلأن بعضَ كتابنا يبالغونَ في ذلك الاقتباس».

8 حسن بحراوي (2015): ص269

9 محمد خاين (2015): الفصل الثاني، قسم 3، "الخصوصية المحلية والاختراق الإشهاري من خلال الترجمة"

10 Bennet (2013): p. 171

11 Bennet (2013): p. 171

12 Baker (1992): p. 85

13 جرجي زيدان (2016): ص. 73

من علامات التغيير التي لاحظها باحثون كُثر؛ أن الترجمات العربية أصبحت تستنسخُ بناء الجملة الإنكليزي الذي يتّسم بالجمل القصيرة المتوالية (بدلًا من الجملة الطويلة، وسنأتي على ذلك في فصل "تعريب الجملة")، كما تستنسخُ -هذه الترجمات- أدوات الربط الأجنبية بين الجمل؛ مثل "بالرغم من" و"في حين أن كذا.. لكن كذا"،[14] وهذا يغايرُ أسلوب التعبير العربي الذي تغلبُ فيه الجمل الطويلة المتتابعة الموصولة بالواو والفاء.

وممَّا يثبتُ أن هذه السّمات دخيلةٌ هو أنها تستفحل في النصوص المترجمة، وليس في النصوص العربية الأصيلة، بل وأنها تكثرُ في المؤلَّفات العربية الحديثة،[15] وهو ما يدلّ على أن تأثير اللغات الأجنبية قد تغلغل في العربية فغيَّر أصلها لا ترجماتها فحسب. وهذه ليست حال العربية وحدها، بل تثبتُ دراسات عديدة وقوعها في شتّى اللغات، ومنها -مثلًا- دراسة أظهرت أن الجمل الإنكليزية القصيرة تغلغلت في الكتابة الأكاديمية البرتغالية وحلَّت مكان الجمل المركّبة الطويلة (وهي السائدة في الأدب البرتغالي سابقًا). وهذا ليس إلا مثالًا متواضعًا على ظاهرةٍ تقعُ في سائر لغات العالم بخواصّها كافة.

لكل لغة طريقتها في الوصف والتعبير، مثل أسلوب الانتقال بين جملة وأخرى وتدفق الكلام والفقرات، وحتى ولو نجح المترجم -كل النجاح- بتعريب الكلمات وترجمة الجمل؛ فقد لا ينجحُ في سبكها معًا في فقرات وصفحات وفصولٍ يستوعبها القارئ، فالكتابة هي فنّ تختص به كل ثقافة ولغة عن سواها.[16] ويتّسم أسلوب التعبير العربي -مثلًا- بأنه يعتمد على تكرار الكلام وهيئته عدة مرَّات بقصد التوكيد، وهو ما يراهُ الإنكليز حشوًا مزعجًا لأنهم يفضلون الاختصار والتحديد في الكلام،[17] وحسبما نرى، ربّما يمحو التأثير الناجم عن الترجمة الخاصية البلاغية للعربية؛ ويستبدل بها الأسلوب البلاغي الإنكليزي.

يرى كثيرٌ من الباحثين أن كلَ ترجمة تتأثَّرُ بعادات وأعرافٍ سائدةٍ بين المترجمين، إذ إنهم يعتادون على ترجمة كل تعبير أجنبي معروف إلى اختيار تلقائيّ ثابت، دون تمعّن فيه.[18] على سبيل المثال: من المعتاد في الإنترنت العربي المعاصر ترجمة جملة من نوع "Directed by" إلى "تمَّ إخراجه بواسطة.." (كما سيأتي فيما بعد)، ومهما كان سياق هذه الجملة فإن ترجمتها العربية تظلّ ثابتةً، إذ ترجع هذه الترجمة إلى أعراف الترجمة السائدة عربيًا، وفي تعبير "تمَّ بواسطة" محاكاةٌ حرفيَّة لأصله الإنكليزي، وهذا النوع من المحاكاة يفسدُ اللغة ويُغَرِّبها. وقد توصلت إحدى الدراسات إلى أن 26% تقريبًا من الجمل الواردة في اللغة البرتغالية أصبحت محاكاة حرفيَّة -جزئيًا أو كليًا- لجملٍ إنكليزية،[19] ومن يدري كم تكون نسبة هذه الجمل في كلامنا العربيّ؟

14 والمقصود هنا كلمات Although وthough وwhile وما يأتي معها من تركيبات.

15 Baker (1992): p. 193

16 Baker (1992): p. 112

17 Baker (1992): p. 236

18 Munday (2008): p. 112

19 Bennet (2010): p. 32

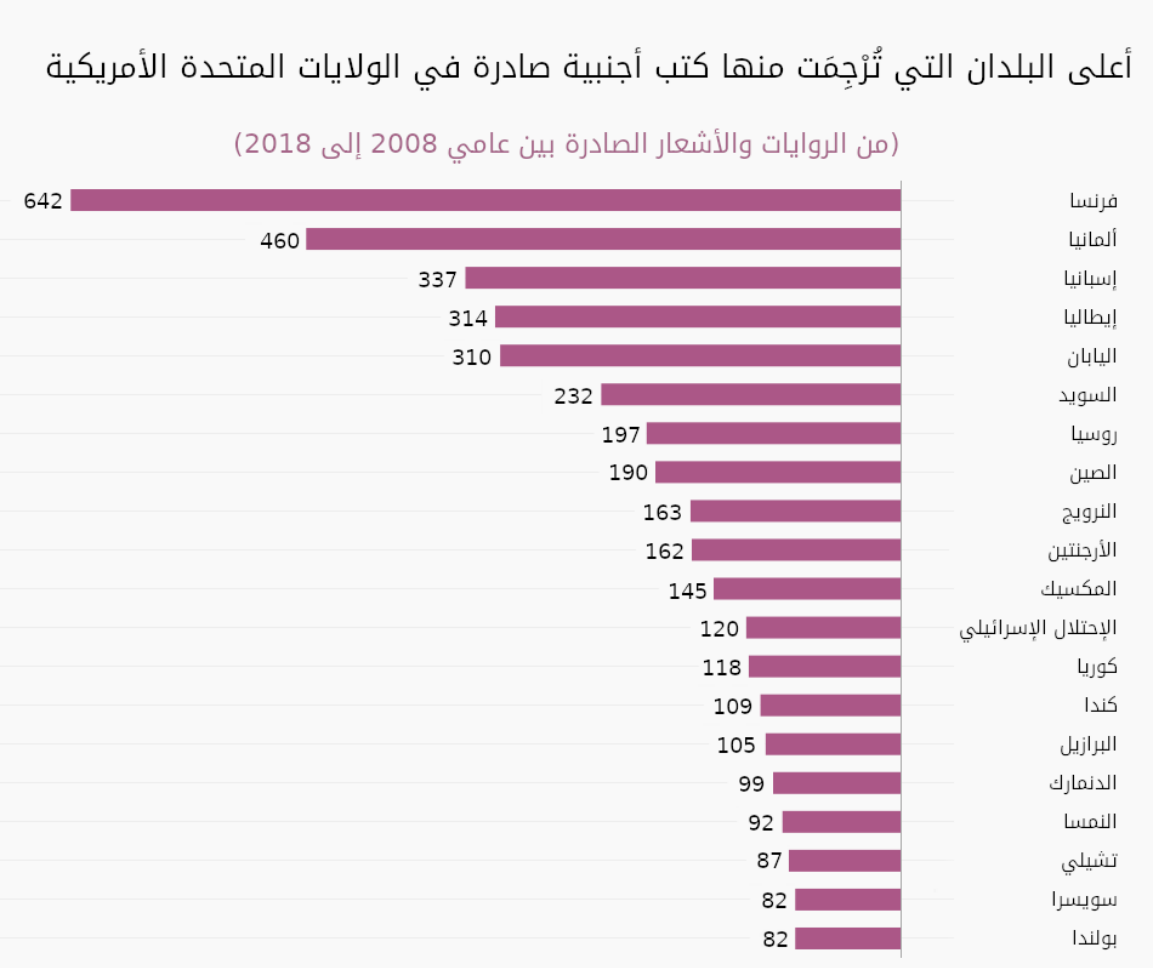

الدول التي تأتي منها الغالبية العظمى من الكتب المترجمة المنشورة في الولايات المتحدة. - المصدر: Quartz.

رأينا في الفصل السابق أن من الصعب حسمَ الصراع التاريخي بين الترجمة الحرفية والترجمة بتصرّف، على أن لدينا -في هذا السياق- عاملًا يساعد المترجم على الميل نحو إحدى هاتين الجهتين: وهو أن منزلة اللغة الإنكليزية تمنحها (بترجمةٍ حرفية أو دونها) تأثيرًا غير متكافئٍ على سائر اللغات في عصرنا الحاضر، وخصوصًا للغات القليلة الانتشار أو المتأخّرة علميًا وتقنيًا، وتعيشُ هذه اللغات (ومنها العربية) خطرَ طغيان الترجمة على أدبها الأمّ، وفي هذه الظروف تتطلَّع اللغة بشتى كتَّابِها وأدبائها إلى الترجمة و"الاستيراد" لتكوين أسلوبها وهويتها، وهذا خطرٌ يزيلُ تبريرات الترجمة الحرفية في سياقنا، بل وربما تبريرات الترجمة بأسرها.

5.2 لغات راقية

قال الكاهن الفرنسي بيير دانييل في عصر النهضة: «[إن الترجمة] هي نص مكتوبٌ بلغةٍ ذات صيتٍ ليُجسِّدَ نصًا كُتِبَ بلغةٍ ليس لها صيت»،[20] ويُبيِّن قوله هذا وجهة النظر الغربية تجاه الترجمة: فالأوروبيون يترجمُون آداب الصين والهند والفرس والعرب وجميع اللغات من باب الفضول والاطلاع، وأما في لغات هذه الشعوب -ومنها العربية- فتنعكسُ الآية، إذ إن الترجمة عندنا ضرورة لا اختيار، ودافعها نقل علوم ومعارف

20 Lefevere (1992): p. 1

أساسية لا ما يبعثُ على "الفضول" أو المتعة. ولهذا يظنّ بعض الباحثين أن الترجمة فعلٌ يرفعُ موضوعها إلى منزلةٍ متميّزة متألّقة، فهي تدلّ -ضمنيًا- على أن النص الأجنبي لا بديل لهُ[21] باللغة العربية، فيلزمُ استيراده من لسانٍ أعجمي أعلى منزلة منها.

اقترح إيفن زوهار في عام 1978 نظرية تصفُ هذه المسألة؛ اسمها: "نظرية الأنظمة المتداخلة" (التي وردت في الفصل السابق)، والمقصود من اسمها أن العلوم الإنسانية هي "نُظُمٌ" تتداخل، فيمتزج فيها الأدب مع الثقافة والتاريخ وعلم الاجتماع في منظومة مشتركةٍ دائمة التقلّب؛[22] إذ تتقلب الميول والأذواق في الإنسانيات حسب أهواءٍ لا تتبعُ معيارًا ثابتًا، وتتنافسُ ضروب الأدب دومًا لإرضاء هذه الأهواء، فما كان رائجًا قبل ثلاثين عامًا -مثلًا- ربما لم يعد رائجًا اليوم، ولن يبقى الرائج الآن على رواجه مستقبلًا.[23]

وتقول نظرية الأنظمة المتداخلة: إن ذوق كل لغّة وثقافتها يجبُ أن يعطي للأدب المترجم منزلةً أقل من الأدب الأصيل، إلا لو وقعت حالاتٌ **استثنائية** ترفعُ الأدب المترجم إلى منزلةٍ أعلى من غيره في الذوق للعامّ. ومنها ثلاثة استثناءات كبرى تدعو إلى رفع مقام الأدب المترجم:[24]

1. أن أدب اللغة جديدٌ وحديث العهد، فيسعى للتعلّم من لغاتٍ أنضج منها وأبلغ.
2. أن أدب اللغة ضعيفٌ ناقص، فيسعى لتعويض نقصه من غيره.
3. أن أدب اللغة في تطوّر لا يشبعهُ القديم، فيبحثُ عن الجديد لدى غيره.

ولا شكَّ في أن اللغة العربية تعيشُ -الآن- زمنًا ارتفعت فيه منزلة الأدب المترجم، فيتهافت عليه القُرَّاء أكثر من أدبها الأصليّ، بل إن كثيراً من جمهور القراءة العربي اتجه حديثًا نحو قراءة الكتب الأجنبية بلغتها الأصلية؛ بدلًا من قراءتها مترجمةً، وهذا يعني أن الثقافة الأجنبية تفوَّقت في منزلتها على الثقافة العربية على كلِ صعيد. فأيٌّ من الحالات الثلاث -أعلاه- هو السَّبب فيما وقع؟

من الأكيد أن الأدب العربي لا يقعُ ضمنَ الحالة الأولى؛ لأنه موغلٌ في القِدَم، ولكن من المحتمل -وما يستدعي البحث- أنه قد يقعُ في حالةٍ من الحالتين الأخرَيَيْن، أي أنه يحاولُ تعويض نقصه أو التجديد من غيره. ومن أمثلة ذلك أن تراث العرب تغلبُ عليه فنون منها الشعر والخطابة؛ بينما ليس فيه سردٌ قصصيٌّ يُـذْكَر. على أن معظم الإنتاج الفني والأدبي الحديث صار متمحورًا حول القصة، فتتصدَّره الروايات وسيناريوهات الأفلام ومسلسلات التلفاز، وهذه كلها فئات أدبية جديدةٌ على الثقافة العربية، فتضطرّ لاستيرادها من غيرها من الثقافات لتعويض نقصها.

ولهذا تختلطُ في الأسلوب الأدبي العربي الحديث سماتٌ كثيرة منقولة من الإنكليزية والفرنسية وغيرها من اللغات، وتدخلُ في هذا فوارق القوة والسلطة التي تناولناها في نظرية الترجمة ما بعد الاستعمارية: إذ إن لغات

21 Lefevere (1992): p. 2

22 Munday (2008): p. 108

23 Hatim & Munday (2004): p. 98

24 Munday (2008): p. 109

الأمم الاستعمارية لها منزلة أعلى عالميًا من لغات الأمم المستعمَرة (مثل العربية). ويظنّ بعض الباحثين[25] أن لغات العالم كلها -بما فيها لغات أوروبا- تعيشُ حاليًا صراعًا غير عادلٍ[26] مع "اللغة الاستعمارية الكبرى السائدة في زماننا، وهي الإنكليزية".[27]

لكل لغةٍ قدرة على الصبر والاحتمال للترجمة، ومن الأنفع بعدها الانتقال نحو الكتابة والتأليف الأصلي، حتى ولو كان في الموضوعات نفسها والعناوين ذاتها، فهو يأتي أصيلًا عربيًا لا في سلامة اللغة وحدها بل في يُسْر وسهولة الفهم، ويشيدُ البعض بنجاح العرب في تلافي تهديدات الترجمة على لغتهم أثناء حركة الترجمة العباسية، فزادوا (كما يقول علي النملة) في "التأليف على التعريب"،[28] لكن التأليف يقلّ الآن ويخبو على حساب الترجمة الكاسحة.

ويجدرُ بنا، نتيجة لهذا التأثُر غير المتوازن والسباق الذي تخسره اللغة العربية -وغيرها- مع العولمة، أن نميلَ نحو الترجمة بتصرّف بدلًا من الترجمة الحرفية، وأن نتجاوزَ عن شيء من آراء الباحثين الذين يشجّعون الترجمة الحرفية لأن كلامهم موجَّهٌ نحو لغة العولمة نفسها (وهي الإنكليزية) وليس للسياق المتأثّر بها. ولهذا فسوف نتناول في الفصول الآتية الترجمة من منظور الأقلمة والتعريب بلسانٍ وثقافةٍ يفهمها القُرَّاء العرب وتقتربُ من قلوبهم، وهو المنهج الذي يدعو إليه هذا الكتاب بعمومه.

25 سوزان باسنيت وهارفيش تريفيدي في كتابهما (1999) Postcolonial Translation: Theory and Practice.

26 عند التمعّن في التاريخ، قد نرى أن الصراع بين اللغات "الأعلى منزلةً" واللغات "الأدنى منها" كان ظاهرة شائعة على مرّ التاريخ، فلطالما طغى أدب لغاتٍ قليلةٍ على معظم جيرانها وقلَّل من شأن لغاتهم ولهجاتهم الأقلّ قيمةً بحيثُ إنها لا ترقى للترجمة لها أو منها، ومن الأمثلة الكبرى على ذلك المنزلة الخاصَّة التي كسبتها وما زالت تتحلَّى بها الإغريقية واللاتينية والسنسكريتية (Munday, 2008; p. 137) والعربية، التي ما زالت تطغى على كل "لهجاتها" وتمنعُ معظم الناطقين بها من كتابة لغتهم مثلما ينطقون بها.

27 Munday (2008): p. 133

28 علي النملة (1992): ص 98.

دورة تطوير التطبيقات
باستخدام لغة بايثون

احترف البرمجة وتطوير التطبيقات مع أكاديمية حسوب
والتحق بسوق العمل فور انتهائك من الدورة

التحق بالدورة الآن

6. من "لسان العرب" إلى "أكسفورد": المعاجم والقواميس

كان "محمد بن مكرم بن علي" (المشهور بلقب: "ابن منظور") كاتبًا في ديوان الإنشاء في القاهرة، حيث اشتغلَ بنسخ وتحرير الرسائل في بداية العهد المملوكي بمصر، وعُيِّن -فيما بعد- قاضيًا بمدينة طرابلس الغرب، وكان "ابن منظور" محبًا للكتب واللغة، ومن أحبّ أعمالها لهُ اختصار الكتب المُطوَّلة، فقيل إنه اختصر "تاريخ دمشق" و"الأغاني" و"العقد الفريد" فقلَّصها إلى ربعها أو أقل. ولعلَّ هذا الشغف بالاختصار والتسهيل هو ما قاده إلى جمع وترتيب أمهات المعاجم (مثل "تهذيب اللغة" و"جمهرة اللغة" و"المحيط الأعظم" و"الصّحاح")، فوضعَ -منها- أشهر أعماله وأشهر المعاجم العربيَّة كافّة، وهو: "لسان العرب".

لقد خدمَ لسانُ العربِ اللغةَ العربيةَ خدمةً عظيمةً دون ريب، إذ يُقدَّر ما فيه من من مدخلات بنحو 80,000 مفردةٍ في عشرين مجلدًا، وهذا عددٌ هائلٌ لمعجمٍ صدر في القرن الثاني عشر أو الثالث عشر للميلاد ويعادلُ ضعف ما جمعته كبرى المعاجم العربية قبله.[1] لكنْ هل ما زال ينفعُ "لسان العرب" طالب اللغة والترجمة في أيامنا؟

كُتِبَ لسان العرب قبل نحو سبعمئة عام، وتغيَّرت -منذئذٍ- طريقة كتابة المعاجم وتصنيفها (بل ووظيفتها) من نواحٍ معتبرة، ولعلَّ كثيرًا من هذا التغير أو معظمه يُعْزَى إلى واحدٍ من أكبر مشروعات اللغة في التاريخ، وهو "معجم أكسفورد" للغة الإنكليزية، وما كان لهُ من بصمةٍ على سائر المعاجم بعده، والتي أثَّرت على عمل المترجم وأدواته كل تأثير.

1 في لسان العرب نحو 80,000 مدخلٍ وفي "الصِّحاح" للجوهري نحو 40,000 مدخل (Laet, 1994; p. 354)، ولو أن "تاج العروس" للمرتضى الزبيدي تجاوزَ كليهما حين نشره في سنة 1791 بثروةٍ معجمية تصلُ لـ120,000 كلمة (Versteegh, 2014; p. 123).

6.1 الأستاذ والمجنون

اجتمع في لندن في سنة 1857 لغويّون يتشاطرون إحساسًا بأن المعاجم الإنكليزية فيها ضعفٌ وقصور كبير، فوضعوا قائمةً بسبع مشكلات جوهرية في تلك المعاجم تستدعي تحديثها وتجديدها،[2] وأجروا دراسةً استنتجوا منها أن عدد المفردات الإنكليزية التي غفلت عنها المعاجم أكبرُ بكثيرٍ ممَّا فيها، وبدأ هؤلاء اللسانيّون مشروعًا هائلًا لتوثيق جميع مفردات اللغة الإنكليزية مع تقصّي أصلها التاريخي وسياقات استعمالها. إلا أن حجمَ المشروع تجاوز قدراتهم المتواضعة بكثير، فطلبوا من أرقى الجامعات في العالم -حينذاك- أن تحملَ الرايةَ عنهم، وهي جامعة أكسفورد.

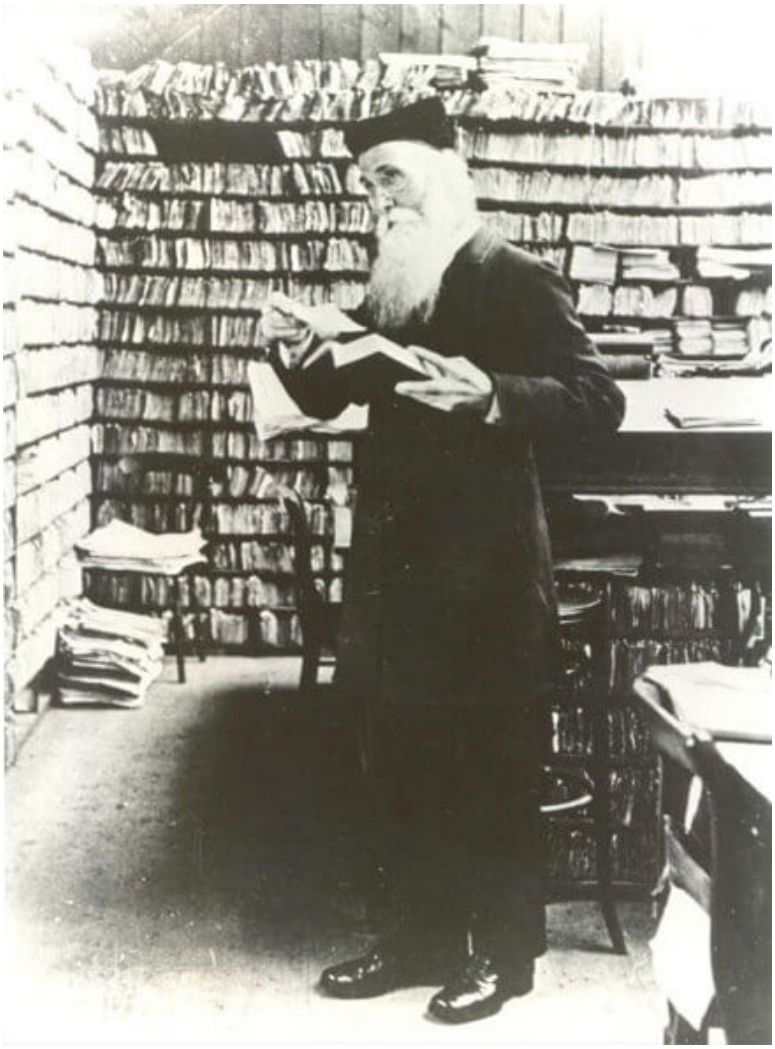

عالِمُ اللسانيات الأسكتلندي جيمس موري، الذي كان له الدور الأكبر في وضع حجر الأساس لمعجم أكسفورد الإنكليزي. - منشورة تحت ترخيص CC BY. المصدر: ويكيميديا كومنز.

2 المشكلات هي قصورٌ في مدخلات المفردات البائدة والمعاني المهجورة للكلمات المعاصرة، ونقصٌ في تغطية مشتقّات الكلمة وفي تمييزها عن مرادفتها وفي إضافة الاقتباسات التوضيحية، وأغلاطٌ في تواريخ نشأة الكلمات، والتكرار غير المفيد.

وقد وُظِّفَ لإدارة هذا المشروع أساتذةٌ كبارٌ متوالون، وسُرعان ما قدَّم كل منهم استقالته بسبب ضخامة المهمة وصعوبتها الهائلة؛ حتى جاء الدور على الأسكتلندي جيمس موري، وهو مُدرّس وباحث زعمَ أنه يتقنُ عشرين لغة. وقرَّر موري نشرَ إعلاناتٍ في الصحف البريطانية تناشدُ عامَّة الناس لمساعدته بجمعِ كل ما تصلُ إليه أيديهم من اقتباسات مكتوبةٍ لأي مفردةٍ إنكليزية، بما فيها: "الكلمات النادرة والبائدة والقديمة والجديدة والغريبة".[3] وأجابَ دعوتَه -طوعًا- ألفُ شخصٍ في كل يوم؛ فأرسلوا قصاصاتٍ فيها شتّى الاقتباسات بالبريد، وجُمِعَت هذه القصاصات في مكتب الأستاذ موري حتى بلغ عددها (بعد أكثر من عشر سنين من العمل) نحو مليونين ونصف مليون قصاصة.[4]

كان من أكبر المساهمين بهذه القصاصات طبيب سابقٌ اسمه وليام تشيستر ماينور، فكان يضيفُ في العام الواحد ما يصلُ إلى 12,000 مفردة للمعجم.[5] وقد اتُّهِمَ ماينور بقتل رجلٍ؛ قبل ذلك بسنوات، لكنه أبرئ من التهمة لتشخيصه بالجنون، وكرَّس سنين من حياته بعدئذٍ في جمع اقتباساتٍ لمعجم أكسفورد، فصار صديقًا مُقرَّبًا للأستاذ موري ومعينًا لهُ في وضع المعجم، وخُلّدَت قصتهما في كتاب مشهورٍ (وفلم سنمائي لاحقًا) عنوانهُ: "الأستاذ والمجنون"،[6] فألهما بذلك مشاريع معجمية شتّى تبعت مشروعهما.

استغرقَ وضع معجم أكسفورد -من بدايته إلى نهايته- أكثر من سبعين عامًا، لكنه استحقَّ عناءهُ؛ فأتى بأشمل معجمٍ في تاريخ اللغة الإنكليزية وغيّر وجه المعاجم وأسلوبها جذريًا (ولو أنه يتقاسمُ هذا الفضل مع معاجم فرنسية وألمانية).[7] وما يُميّز معجم أكسفورد أمران أساسان: الأول هو شموليته وكمالُه، فهو يتقصَّى كلَ المفردات المعروفة في اللغة بكل وثائقها واستعمالاتها، فيُخصِّص مدخلًا لكل مفردة ويتقصّى سائر معانيها بحسب سياقها ويصفُ اختلافات المعنى الدقيقة في كل سياق. وأما الأمر الثاني فهو إلمامه التاريخي: إذ يقتفي هذا المعجم تاريخ اللغة من أقدم النصوص المعروفة فيها، وينظرُ في أصول كلماتها مفردةً مفردة؛ وفي كيفية تغيّر استخدامها بمرور الوقت، فيُثْبِتُ كل معنى من معانيها القديمة والجديدة ويضيف إليها المفردات المستحدثة سنويًا: ولهذا فهو **معجمٌ تاريخيٌّ**، يغطّي اللغة الإنكليزية الحديثة كلها من أول أيامها وحتى اللحظة الحاضرة.

3 Murray (2001): p. 178

4 Mugglestone (2005)

5 Murray (2001): p. 306

6 بالإنكليزية وبحسب العنوان الأمريكي: The Professor and the Madman (1998)، وعنوان الطبعة البريطانية: The Surgeon of Crowthorne.

7 استغرقت هذه المشاريع فتراتٍ هائلة بدورها،

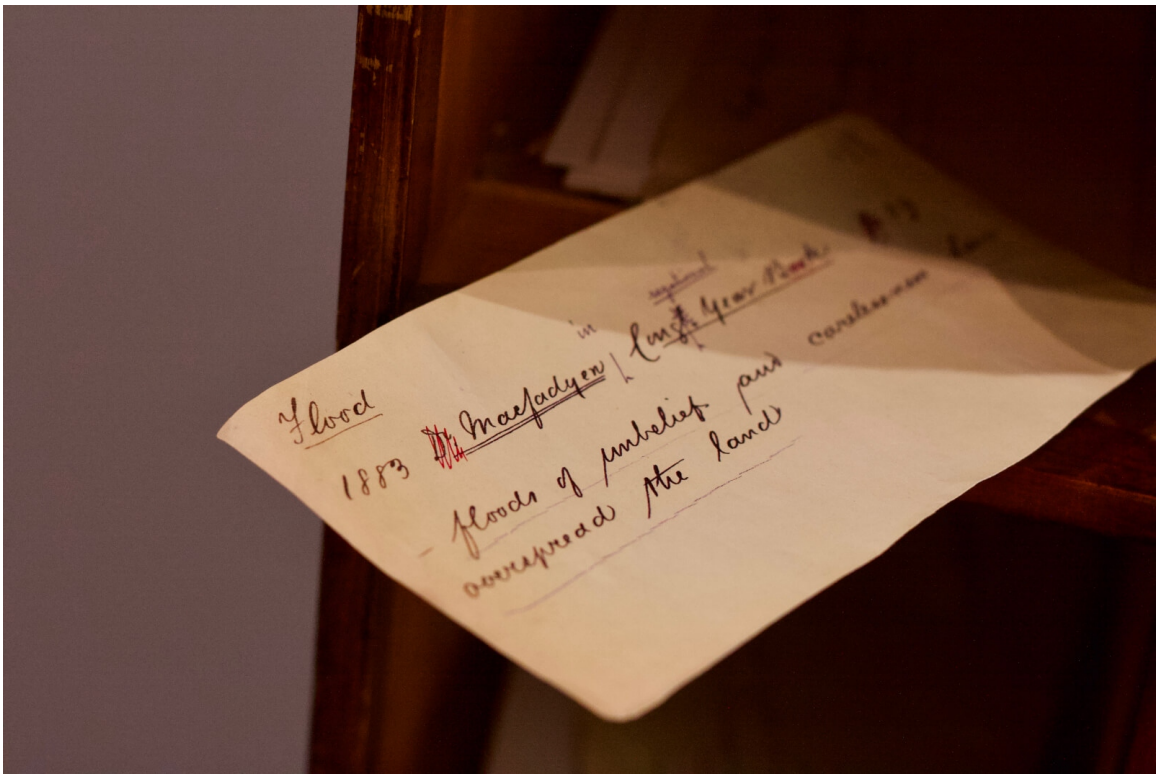

مثال على واحدة من ملايين القصاصات الورقية التي أرسلها متطوعون للمساعدة في وضع معجم أكسفورد للغة الإنكليزية، وهي قصاصة عليها كلمة "flood" (فيضان). - منشورة تحت ترخيص CC BY. المصدر: ويكيميديا كومنز.

والمعاجم التاريخية ضرورةٌ في كلِ لغة، فالمفردات العربية في كتاب "كليلة ودمنة" لا تأتي بنفس معانيها في "صحيفة الأهرام" مثلًا، واللغة العربية في أيامنا ليست مثلما كانت أيام "لسان العرب"، والمعاجم التراثية (رغم أنها كنوزٌ لغوية) لا تصلحُ للمترجم المعاصر ولا تغنيه. فاللغة العربية بحاجةٍ ماسَّة إلى معجم تاريخي شامل يجاري العصر، والمعجم العربي الوحيد من هذا النوع -حاليًا- هو "معجم الدوحة التاريخي"، والذي قد يكون أعظم مشروعٍ شهدته اللغة العربية في الأعوام المئة الأخيرة أو أكثر، على أنه ما يزالُ في خطواته الأولى من مشواره الطويل المنشود.[8]

6.2 القاموس أم المعجم؟

يستخدم كثير من الناس (بشكل أو بآخر) القواميس بوتيرة شبه يومية، ومن المعتاد أن يحمل المترجم المبتدئ معهُ قاموسًا أو يلجأ إلى بدائله الرقمية كلَما عرضت له كلمةٌ لا يعرف معناها، حتى أصبح واحدة من أولى أدواته، على أن هذا خطأٌ جسيم. فالمرجع الحقيقي والوحيد الذي يجدر بالمترجم أن يتسلَّح به في معظم الأحوال هو: إما "معجم أكسفورد" وما يماثله بالإنكليزية، أو معاجم عربية قليلة مثل "معجم الدوحة التاريخي" و"القاموس المحيط"، ودونًا عن القواميس بسائر أنواعها. فلمِ ذلك؟

8 انطلقت المرحلة الأولى من معجم الدوحة التاريخي رسميًا في سنة 2013، وهي تُغطّي حتى تاريخ إصدار هذا الكتاب تاريخ اللغة العربية منذ أقدم نصوصها إلى عام 200 هـ.

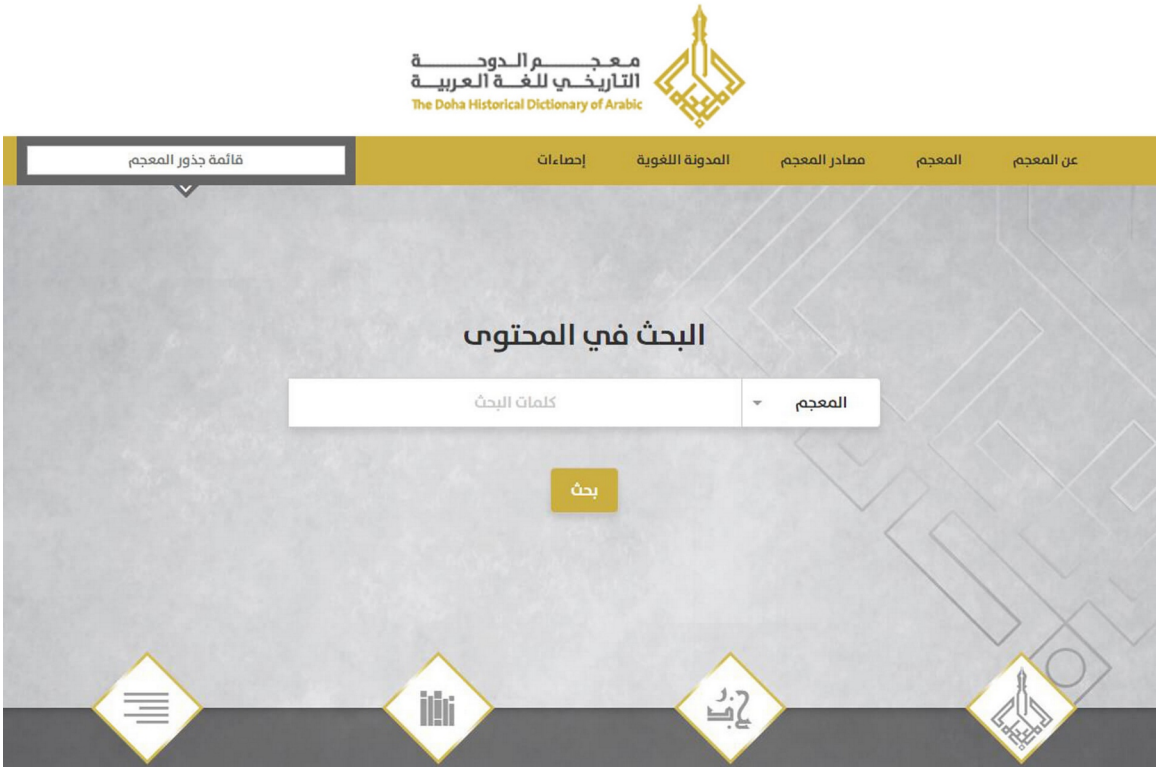

معجم الدوحة هو المشروع الوحيد القائم حاليًا لإنشاء معجم تاريخي للغة العربية. - منشورة تحت ترخيص CC BY.

تأتي في معجم المورد الحديث التعاريف الآتية لمعاني بعض الأفعال الإنكليزية:

- "to advance" (يُسرِّع، يُحسِّن، يُعزّز).[9]
- "to develop" (يوسّع، يطوّر، يُنمّي).[10]
- "to evolve" (ينشئ، يطوّر).[11]
- "to further" (يُعزّز).[12]
- "to promote" (يُرقِّي، يعزّز، يُحسّن، يُسرِّع).[13]

ولا يظنّ القارئ غيرُ المُطّلعِ إلا أن هذه الكلمات كلَها تعني شيئًا واحدًا تقريبًا: وهو التحسين والتعزيز والتطوير، لكن المُطّلعَ قد يعرفُ أن لها في الإنكليزية معاني دقيقة وسياقات واضحة تختصّ بكل منها، فإمَّا أن تصفَ التطوّر بسياقه الحضاري والعملي؛ أو تطوّر الكائنات الحية؛ أو التقدّم في مشروع؛ أو الترقية في عمل؛ أو الترويج لشيء. ولا يلامُ القاموس هُنا لأن المشكلة ليست فيه، وإنَّما في فكرة القواميس ثنائية اللغة بكل مكانٍ وزمان.

9 منير البعلبكي (2008): ص 35

10 منير البعلبكي (2008): ص 338

11 منير البعلبكي (2008): ص 411

12 منير البعلبكي (2008): ص 476

13 منير البعلبكي (2008): ص 922

"القاموس" بالأصل مرادفٌ للمعجم، لكن الاصطلاح الحديث خصَّ القاموس[14] بالمراجع التي تُبيّن معاني الكلمات في لغتين أو أكثر؛ بتبيان الكلمات المترادفة في هاتين اللغتين، أما المعجم فإنه يُعرِّفُ معاني الكلمات بلغة واحدةٍ (وغالبًا مع لفظها واشتقاقاتها وأصولها التاريخية). وللغة العربية العديدُ من المعاجم التراثية والحديثة، ومن أشهرها "لسان العرب" و"الصِّحاح في اللغة" و"القاموس المحيط"، وللإنكليزية عشراتُ المعاجم المشهورة والعريقة مثل أكسفورد وميريام ويبستر[15] وغيرهما. وصناعة المعاجم قديمة وعريقة أما القواميس ثنائية اللغة فإنها جديدة، والجيّد منها شحيحٌ، أشهره: "المورد" لمنير البعلبكي. و"مترجم غوغل" المعروف[16] هو -أيضًا- قاموسٌ متعدد اللغات.

ومعظم الناس معتادُونَ على الرجوع -عند الحاجة- إلى القواميس الإنكليزية العربية أو العربية الإنكليزية (مثل المورد وغوغل) وليسَ إلى المعاجم، ولكنَّ الخبر السيئ هنا هو أن قيمة القاموس في عملِ المترجم تكادُ تنعدم، إلا في تعريب المصطلحات التقنية جدًا. فلعلَّ الهدف الرئيس للقواميس هو مساعدة مُتعلِّمي اللغات على التوثّق من معاني الكلمات الجديدة عليهم، ولكنَّها وسيلة غيرُ دقيقةٍ؛ بل **ومغلوطة** جدًا لترجمة عملٍ أدبي أو مهني، والسَّببُ هو أن طريقة عملِ القاموس بأكملها قائمةٌ على التقريب والتشبيه بدلًا من تفسير المعاني **الحقيقية** للكلمات.

فالقاموسُ -في جوهره- هو قائمةٌ كبيرة من الكلمات بلغة أجنبية (كالإنكليزية)؛ مع "مرادفاتها" بلغةٍ ثانية (كالعربية)، إلا أننا أثبتنا مطولًا (في الفصل الأول من هذا الكتاب) استحالة ترادف الكلمات والمعاني بين أي لغتين في العالم، وهذا يعني أن القاموس ليس إلا محاولةً فاشلةً وواهمةً لتقريب المعاني للقارئ. فكيفَ للمترجم أن ينقلَ معنى نص إلى جمهوره، وهو نفسهُ يستعينُ بمصدرٍ قاصرٍ وناقصٍ للمعنى؟

يتفوَّق المعجم أحادي اللغة بإلمامه الهائل بألفاظ لغته، إذ يستحيل على أي قاموس ثنائي اللغة أن ينافسَ في هذا المضمار معجمًا أُنفقت عليه ملايين الدولارات على مرِّ عشرات السنين، ولا يمكن -بحالٍ- مقارنة "المورد" بـ"أكسفورد" (ولا القواميس العربية الإنكليزية بالقاموس المحيط وغيره). وما يعنيه ذلك هو أن المعجم يتجنَّبُ فخ "الترادف"؛ فهو يُوَثّق الوَقْع الدقيق لكل مفردةٍ بحسب سياقاتها ومعانيها العديدة قديمًا وحديثًا، بدون أن يربطها بمعنى خادعٍ بلغة أخرى.

وقد يبدو استعمال المعجم صعبًا قليلًا أول الأمر؛ لأن استيعاب شرحِ الكلمة في لغةٍ أجنبية يستلزمُ وقتًا وجهدًا، إلا أن هذه هي الطريقة **الوحيدة** لمعرفة معنى الكلمة ووقعها الحقيقي أثناء الترجمة، وأما اختصار الطريق بمطالعة القاموس فيؤدّي -في معظم الأحوال- إلى إساءةٍ في الفهم وأغلاطٍ في الترجمة يتحمل المترجم وزرها عن آلاف القُرَّاء.

14 نلجأ هنا إلى التعريف الجديد لكلمة القاموس؛ فكلمة القاموس باستعمالها التاريخي تعني البحر بقعره ومائه (معجم الدوحة، 2018)، ودرجَ استعمالها مرادفةً للمعجم نسبةً إلى القاموس المحيط للفيروز آبادي بناءً على شهرة معجمه ومكانته، وقد درجَ في عصرنا استعمال كلمة "القاموس" للمعاجم ثنائية اللغة و"المعجم" للمعاجم أحادية اللغة، ونأخذُ بهذا التعريف هنا.

15 وأكسفورد معجم بريطاني الأصل وويبستر أمريكي الأصل، وكل منهما هو المعجم المرموق في بلده.

16 Google Translate

6.3 استعمال المعاجم والقواميس

الخطوة الأولى التي يباشرُ بها المترجم حينما تعترضه كلمة لا يعرفُ معناها؛ هي: إمَّا الرّجوع إلى معجم معروف في اللغة الأجنبية (للتوثّق من معنى الكلمة) أو إلى معجم عربي (للتوثّق من معنى بديلها أو ترجمتها المقترحة)، كما يمكنه -ويجدرُ به- الرجوع إلى القواميس الثنائية المتخصّصة بالعلوم والتقنية لتعريب المصطلحات الصَّعبة، فهذا هو السياق الوحيد الذي تفيدُ فيها القواميس.[17] وأنصحُ -شخصيًا- بالبدء من معجم "ويكاموس" أو Wiktionary، وهو معجم يشبهُ موسوعة "ويكيبيديا" ويحتوي على ستة ملايين كلمة بمئات اللغات، ممَّا يجعله واحدًا من أوسع المعاجم المتوفرة في عصرنا.

لعلَّ أشمل القواميس الإنكليزية العربية هو "المورد"، إلا أنه قاموسٌ عامٌّ في محتواه ولا يهدف إلى تفصيل المصطلحات التقنية، ولأن أدب المعاجم العربيَّة ما يزال متأخّرًا وغير مواكبٍ لتطوّرات اللغة الحديثة؛ فسوف يحتاج المترجم في الموضوعات العلمية والتقنية إلى الرجوع لقواميس متفرّقة ومبعثرة حسب مجال الاختصاص، ومن المستحسن أن تكون صادرة عن مجامع اللغة العربية أو هيئاتٍ معتمدة أخرى.

تقتصر هذه القواميس عادةً على مجالٍ مُحدَّد، فتأتي عناوينها على شاكلة: "قاموس الفيزياء العربي" و"قاموس الأحياء المُيسَّر" مثلًا. ومن أهمّ القواميس العربية المُتخصِّصة والمرموقة "المعجم الطبي المُوحَّد"؛ الصادرُ عن "منظمة الصحة العالمية" و"اتحاد الأطباء العرب"، كما يتوفَّرُ في المكتبات كثيرُ من القواميس المُتخصّصة بمجالات مثل: التقنية والزراعة والهندسة وغيرها (مع تفاوتها في الجودة والموثوقية). وإذا كنت تترجمُ موضوعات في مجالات علمية مُحدَّدة فيفترض أن تشتري قواميس مُتخصِّصة تعينك على العملِ فيها، على أن تتوثَّق من مؤلّفيها أو ناشريها وتتأكد أنهم ضليعون باللغة العربية وأصولها.[18]

17 مشكلة القواميس ثنائية اللغة هي أنها تعطي معاني خاطئة لكلمات اللغة التي يتغيَّرُ معناها حسب سياقها، وأما الكلمات التقنية مثل: أسماء الآلات وأنواع الكائنات الحيَّة فلها معنى واحدٌ بغضّ النظر عن السياق، وهذه الأسماءُ يلزمها دومًا تعريبٌ لذا يجبُ الرجوع فيها إلى القواميس المتخصّصة، بينما يعتمد المترجم على المعجم في باقي السياقات.

18 من دور النشر المتميزة بقواميسها العربية المُحكَّمة مكتبة لبنان.

المعجم الطبي الموحد (صادر عن منظمة الصحة واتحاد الأطباء العرب). - منشورة تحت ترخيص الاستخدام العادل.

المصدر: موقع المعجم.

وخارج إطار القواميس والمعاجم العربية، يجبُ على المترجم إتقانُ استعمال **المعجم الإنكليزي** والأجنبي، وهذه مهارةٌ أساسية لا يمكنُ التغاضي عنها: فالمعجم هو رفيقك ومُعينك في استيعاب معاني المفردات وسياقاتها ووظائفها اللغوية. واستعمال المعجم يحتاجُ قدرًا من الممارسة والاطلاع لا يستهانُ به؛ فتُخصَّصُ لدراسته موادّ دراسية مكتملة في الجامعات، وفيما يلي شرحٌ سريعٌ لمدخلات المعجم وكيفية الاستفادة منها.

6.4 أجزاء المعجم

يحتوي المعجم مدخلًا مُفصَّلًا لكل كلمة في اللغة، ولا شكَّ في أن أهمّ قسمٍ في المدخلة هو تفسيرُ معنى الكلمة؛ أو معانيها المُتعدّدة، ولكن في المعجم كثير من المعلومات المفيدة الأخرى، والتي قد تكونُ لها قيمةٌ عظيمةٌ في الترجمة؛ وفي **التعريب على وجه** الخصوص.

6.4.1 أصل الكلمة

تتضمَّنُ المعاجم الإنكليزية الكبيرة تحقيقًا تاريخيًا في أصلِ كل كلمةٍ من كلمات اللغة، سواءٌ أكانت كلمة إنكليزية أصلية أم مستعارةً من لغة أخرى. فلو بحثتَ عن كلمة Sugar في معجم أكسفورد ستجدُ شرحًا لكل شكل تاريخي للكلمة وصولًا إلى أصلها العربي "سُكَّرْ"، ولو بحثتَ في كلمة Square ستجدُ أن أصلها يأتي من اللغة اللاتينية. وقد قضى علماء اللسانيات سنين طويلة في بحثِ أصول الكلمات وطرق استخدامها في الكتب القديمة لجمعِ هذه المعلومات، وللأسف فإنَّ تقصّيها العربي ما زال ضعيفًا ومقتصرًا على الجزء الأول من معجم الدوحة التاريخي. وقد يفيدُ تقصّي أصل الكلمة في تعريبها أو في تحديد خواصّها الصوتية.

6.4.2 المعنى والاستخدام

أهمُّ أجزاء المعجم هو شرح معاني الكلمة مع أمثلة واقتباسات على استعمالاتها، وقد تجدُ هذا الشرح في القاموس لكنه يأتي موجزًا تنقصهُ الدقة. فلو بحثتَ -مثلًا- عن كلمة energy في قاموس المورد تجدُ أن ترجمتها "طاقة"، ولو بحثتَ عن كلمة power ستجدُ أن ترجمتها "طاقة" أيضًا، إلا أن الكلمتين تختلفان في المعنى، والوسيلةُ الوحيدة لك لإدراك الفرق الدقيق بينهما هي في الرّجوع إلى معجمٍ إنكليزي.

ولمعظم الكلمات الشائعة في اللغات معانٍ دقيقة عِدَّة، وقد تصلُ أحيانًا إلى أكثر من عشرة معانٍ للكلمة الواحدة، ولا داعي للفزعِ إن رأيت مثل هذا العدد الكبير، لأن صانعي المعجم يرتّبون هذه المعاني بحسب كثرة استخدامها، وبالتالي ففي العادة فإنَّ المعنيين الأول والثاني منها يتضمَّنان ما تبحثُ عنه في الغالب، ولو كان المصطلح متخصصًا فستجدُ ملحوظة بمعناه في كل مجال من مجالات استخدامه.[19]

6.4.3 البحث في المعجم

معظم المعاجم الحديثة متاحةٌ حاليًا على الإنترنت، فلم يعد من اللازم تعلّم مهارات البحث في المعجم لاستخدامها. ويمكنُ البحث في المعاجم الإنكليزية المطبوعة بسهولة لأن كلَ الكلماتِ فيها مُرتَّبةٌ أبجديًا، والصيغة الرئيسية التي قد لا تجدُها في المعجم الإنكليزي هي تصريفات الأفعال المضارعة (مثل إضافة ing- في كلمة taking، التي تجدها في مدخل "take").

وأما المعاجم العربية فيختلفُ أمرها قليلًا، والسبب هو أن للأفعال العربية اشتقاقاتٍ كثيرة جدًا نسبةً إلى غيرها، حيثُ إن تخصيص مدخلة مستقلَّة لكل فعلٍ منها قد يكون صعبًا جدًا، ولهذا السبب يجبُ الرجوع إلى جذور الأفعال الثلاثية (وأحيانًا الرباعية أو الخماسية) للعثور عليها في المعجم، وقد يحتاجُ ذلك إلى شيء من الخبرة في الصرف.

6.4.4 الأبجدية الصوتية

في كل معجمٍ متكاملٍ كتابة للفظ كل كلمة بنظامٍ يُسمَّى "الأبجدية الصوتية العالمية"،[20] وهي أبجدية اخترعها علماءُ اللغة قبل مئة وثلاثين عامًا لإيجاد وسيلة لكتابة اللفظ الفعليّ (وليس التهجئة) لجميع الأصوات في شتّى لغاتِ العالم؛ ومن ثم تقصّي لفظها الدقيق دون الحاجة لسماعها. وقد لا تكون قراءة الأبجدية الصوتية سهلة في أول الأمر، غير أن تعلّمها يُعَدُّ مهارة عظيمة للمترجم، إذ لن يتطلَّبَ اكتسابُها سوى ساعات قليلة تنفعُكَ بعدها في قراءة أيّ كلمة بأي لغة.

19 قد تجد مثلًا ملحوظة [medical] بمعنى أن هذا مصطلح طبي، ولو كنتَ تترجمُ كتابًا في الطبّ فهذا -غالبًا- هو المعنى الذي تبحثُ عنه فتتجنَّبُ المعاني الأخرى البعيدة عن غايتك.

20 أو IPA، اختصاراً لـInternational Phonetic Alphabet

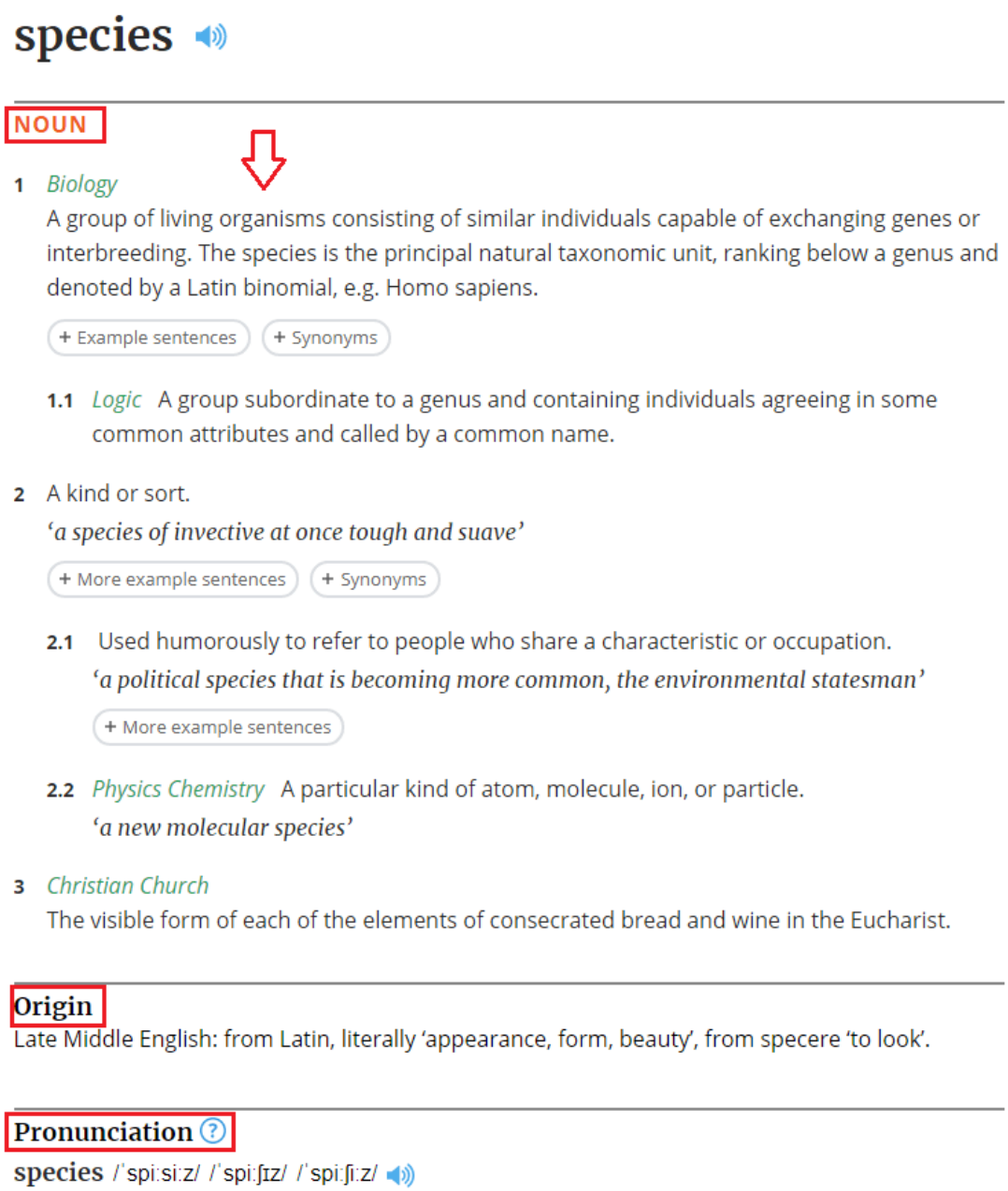

species

NOUN

1 *Biology*
A group of living organisms consisting of similar individuals capable of exchanging genes or interbreeding. The species is the principal natural taxonomic unit, ranking below a genus and denoted by a Latin binomial, e.g. Homo sapiens.

+ Example sentences + Synonyms

1.1 *Logic* A group subordinate to a genus and containing individuals agreeing in some common attributes and called by a common name.

2 A kind or sort.
'a species of invective at once tough and suave'

+ More example sentences + Synonyms

2.1 Used humorously to refer to people who share a characteristic or occupation.
'a political species that is becoming more common, the environmental statesman'

+ More example sentences

2.2 *Physics Chemistry* A particular kind of atom, molecule, ion, or particle.
'a new molecular species'

3 *Christian Church*
The visible form of each of the elements of consecrated bread and wine in the Eucharist.

Origin
Late Middle English: from Latin, literally 'appearance, form, beauty', from specere 'to look'.

Pronunciation
species /ˈspiːsiːz/ /ˈspiːʃɪz/ /ˈspiːʃiːz/

مثال على أقسام المعجم من مدخلة "species" (نوع حي) في قاموس أكسفورد، وتظهر فيها معاني الكلمة متبوعةً بأصلها التاريخي ثُمَّ بلفظها الصوتي. - منشورة تحت ترخيص الاستخدام العادل.

تتضّحُ فائدة الأبجدية الصوتية في الترجمة حين اقتباس الألفاظ الأجنبية **بالنقحرة**، أي بنقلِ لفظها الأجنبي إلى اللغة العربية (نقلًا حرفيًا)، وهو ما قد يصادفه المترجم كثيرًا في نقل أسماء الأعلام والشخصيات، التي قد تكون لها أصول من لغات عديدة وألفاظٌ غير مألوفة. وتختلفُ اللغة الإنكليزية عن العربية بأنها لا تُلفظُ دومًا مثل ما تُكتب، ففيها كثير من الحالات التي لا تتبعُ اللفظ القياسي، وتعينُكَ الأبجدية الصوتية على تجاوز المشكلة. وكثيرًا ما يكونُ سبب الشذوذ في اللفظ هو أن أصل هذه الكلمات من لغاتٍ أخرى، مثل "croissant" ذات الأصلِ الفرنسي التي تلفظُ في الإنكليزية: "كْرْوَاسَانْ" (بمدّ طويل، وتُحَاكي تهجئة الكلمات الفرنسية).

تحتوي الأبجدية الصوتية العالمية ما مجموعه 107 حروفٍ صائتة وصامتة و52 إضافةً لفظية، وربَّما يختلـفُ رسم هذه الحروف من معجمٍ إلى معجم بدرجة بسيطة لذا عليك التوثّق منهـا (ولـو أن معظمهـا تبقى مُوحَّدة بين المعاجم). وتُكتَب الأبجدية الصوتية بأحرفٍ لاتينية محصورة بين شـرطاتٍ مائلـة، ولفظهـا مقـاربٌ غالبًـا -وليس دائمًـا- للفـظِ هـذه الحـروف المـألوف لنـا في اللغـة الإنكليزيـة، فكلمـة knight تُكْتَب في الأبجديـة الصـوتية بصورة: /Na:lt/ (أي: "نَايْت")، وكلمة "بَيْت" باللغة العربيـة بصـورة: /balt/. وهـذه أمثلـةٌ بسـيطة قـد تنجحُ في قراءتها دون الحاجة لأيّ تدريب، إلا أن قراءة الأبجدية قد تحتاج تدريبًا أكثر كحال اللفظ البريطـاني للـ"كرواسـان"، فهو: /k(ɹ)wæsɒ̃'/.

رسم يوضّح رسم كثيرٍ من حروف العلّة بالأبجدية العالمية بحسب مخارج لفظها (ليست كل هذه الحروف شائعةً ولا ضروريةً للمترجم بالضرورة). - منشورة تحت ترخيص CC-BY. المصدر: ويكيبيديا.

من الصَّعب تخصيصُ مساحةٍ من هذا الكتاب لتلقين كيفية قراءة الأبجدية الصوتية (ولو أن مراجعهـا كثـيرة على الإنترنت)، لذلك يقتصرُ هـذا القسـم على جـدول فيـه مُقدِّمـة متواضـعة لأهم الحـروفِ الصـوتية في اللغـة الإنكليزية. ومعظم الحروف الصامتة تكتبُ بتهجئةٍ مماثلةٍ للفظها المألوف باللغات الأوروبية، فثلا حرفُ /n/ لفظهُ مثل النون بالعربية، و/m/ يماثل الميم، وهلمَّ جرًا. لكن في الأبجدية العالمية حروفًا إضافية ربَّما لا تـألف شـكلها، ومن أهمّها:

الشكل (في الأبجدية الصوتية العالمية)	مثال بالإنكليزية	اللفظُ العربي
ɸ	Focus	ف
θ	Thin	ث
ð	This	ذ
ʃ	She	ش
ʒ	Joy	ج
x	Loch	خ
q	-	ق
ɣ	-	غ

وأما الصَّوائت (أي حروف العلّة) فهي أكثرُ تعقيدًا بقليل، لأنها تختلفُ كثيرًا من لغة إلى لغة، والصوائت الإنكليزية أكثرُ من العربية، لذا يستصعب البعضُ تعلّمها. ومن أهمِّ الصوائت في قراءة الكلمات ما يأتي:

الشكل (في الأبجدية الصوتية العالمية)	اللفظُ العربي
i	كسرة
u	ضمة
a	فتحة

خمسات

لبيع وشراء الخدمات المصغرة

أكبر سوق عربي لبيع وشراء الخدمات المصغرة
اعرض خدماتك أو احصل على ما تريد بأسعار تبدأ من $5 فقط

تصفح الخدمات

7. تعريب المفردة والمصطلح

"والأدب العربي قاصرٌ في بيانِه، لأنه مقطوعُ الصلة بحضارة العصر، فلا يستطيع أَقْدَرُ كتّابنا أن يتحدَّث عمَّا يستعملُ من ماعونٍ وأثاث، ولا أن يِصِفَ ما يركَبُ من باخرةٍ أو طائرة، ومجمعُنا اللغوي -على ما نرى من نشاطِهِ- لن يُقدّم إلى الناس معجمَه المنتظرَ إلا بعد جيلٍ أو جيلين،[1] حين يكون كلُّ شيءٍ في العالم قد تغيّر أو تطوَّر، فيصبح معجمهُ في الجِدَّةِ يومئذٍ كمعجم «لسان العرب» اليوم! والزمان يُسْرع، والعالم كلّه يَجِدّ، والساري على مركب العجز لا يلحق، والبيانُ القاصر نصفُ الخَرَس، واللغة الناقصة ثلاثة أرباعِ الجهل".

— محمد هيثم الخياط في كتابه: "في سبيل العربيّة"[2]

رجع حنين بن إسحاق من القسطنطينية إلى بغداد في القرن التاسع الميلادي؛ حاملًا معه عشرات الكتب اليونانية[3] ليتولَّى -هو وتلامذته- نقلها إلى العربية في بيت الحكمة. وكان ما دفعه لهم الخليفة العباسي من رواتب مجزية (وهي "وزن كتبهم ذهبًا"؛ كما يُقَال)[4] مبرَّرًا إلى حد ما، إذ حقَّت وظيفة حنين ورفاقه المشقّات: فقد كانوا أول من عرَّب علومًا لم يعرفها العرب قبل زمانهم ولم يعرفوا من فحواها ومفرداتها شيئًا يُـذْكَر، فوقع على عاتقهم الاجتهاد والإبداع بنقل تلك الكلمات إلى اللسان العربي؛ كي يتوارثها فلاسفة المسلمين وعلماؤهم لمئات السنين من بعدهم.[5]

---

1 والمقصود هنا هو "المعجم الكبير" الصادر عن معجم اللغة العربية بالقاهرة، والحقيقة أنه لم يكتمل إلى اليوم: إذ بدأ إصداره في سنة 1970 ولم يصل بعدُ (حين كتابة هذا الفصل) إلا نهاية حرف الراء، ولعل ذلك يرجع إلى نقص الاهتمام بمجامع اللغة من دعم ضروري لعملها.

2 مخاطباً وزير المعارف المصريّة

3 مريم سلامة كار (1998): ص 19 .

4 علي النملة (1992): ص 34.

5 مريم سلامة كار (1998): ص 48 وص 90.

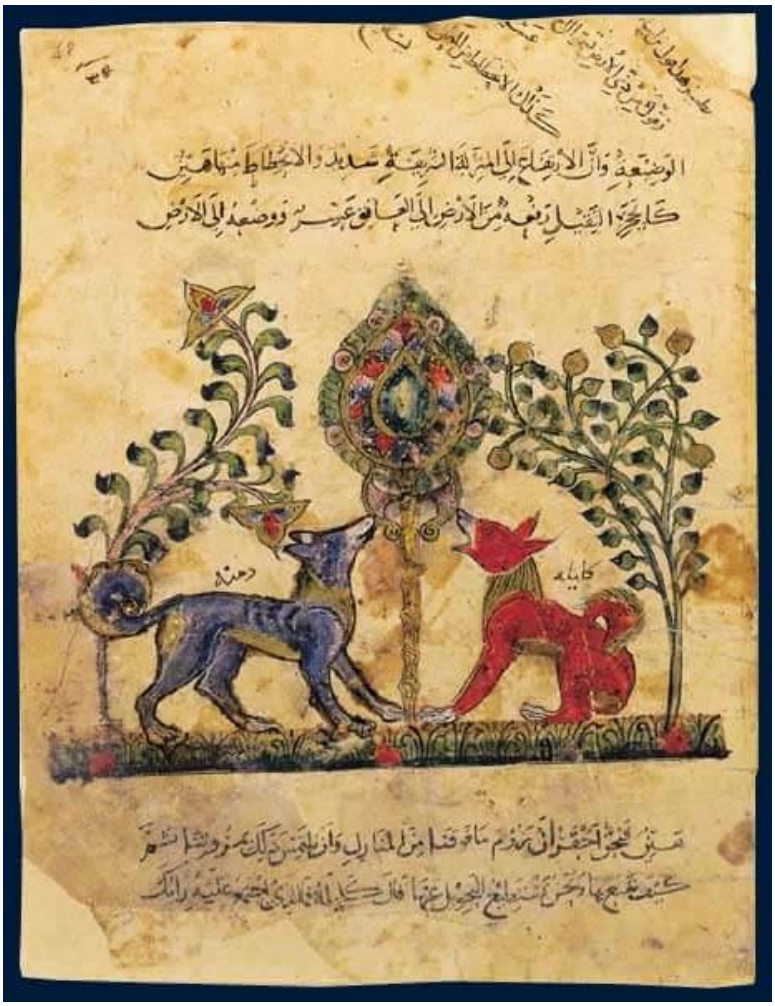

اسما الشخصيتين الرئيستين في "كليلة ودمنة" هما تعريبٌ للاسمين الهنديَّين الأصليَّيْن: "كاراتاكا" و"داماناكا". - منشورة ضمن الملكية العامة. المصدر: ويكيميديا كومنز.

وكان الحلّ الأسهل لهذه المشكلة نقحرة الكلمات اليونانية؛[6] ثُمَّ تكييف لفظها ليتناسب مع اللغة العربية،[7] وهكذا عُرِّبَت أسماء يونانية كثيرةٌ نألفها، منها: "أفلاطون" و"أرسطو" و"المجسطي". على أن هذا العمل ليس هيِّنًا، فمن أوّل المشكلات التي تقفُ في وجه المترجم العربيّ، وتعيقهُ عن المضيّ في عمله؛ المصطلحات التي ينقصُها تعريب، وهي مسألة تتفاقمُ مرات كثيرة جدًا عندَ الخوض في غمار أي تخصّص أكاديمي، وخصوصًا المجالات التقنية والعلمية المُعقَّدة والمطلوبة في عصرنا.

7.1 المصطلحات الصعبة

إحدى أهمّ وأولى المعضلات التي تواجهُ المترجم مع المصطلحات الصعبة هي أن يُقرِّر طريقة التصرّف بها؛ سواء أكان ذلك بترجمتها أم بتعريبها أم بنقحرتها. فهل الصحيح أن نقول "ترانزيستور" أم "مقاوم النقل"؟ وهل نقولُ "بيجنغ" أم "بكين"؟ وهل الأنسبُ هو "اليونسكو" أم "منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة"؟

6 أو باشتقاق وإدخال كلمات جديدة (مريم سلامة كار، 1998: ص 76).

7 مريم سلامة كار (1998): ص 90.

وهذه الأسئلة كلّها فيها معضلاتٌ مُطوَّلة على المترجم أن يُقرِّر كيف يتعاملُ معها بناءً على علمه وخبرته، لكنْ، لخبراء اللغة فيها قولٌ مفيدٌ لا غنى عنه.

بسبب خواصّ اللغة العربية وبُعْدها عن اللغات الأوروبية؛[8] فليس من اليسير إدخال كلمات من هذه اللغات عليها إلا لو عُدِّلت وكُيِّفت لتتناسب مع اللفظ العربيّ، ولذا فإنَّ نقل المصطلحات اللاتينية إليها صعبٌ جدًا إن قورِنَ باليابانية مثلاً[9] (والتي تكثرُ فيها استعارة الكلمات الإنكليزية في الإنتاجات الحديثة، مثلما قد يلاحظُ من يتابع الأنمي وغيره من المرئيات اليابانية). ويميلُ كثير من المترجمين -إن لم يكُن معظمهم- للجوء إلى الخيار الأسهل؛ حينما يقعُ بين أيديهم مصطلح صعب: وهو اقتباسه من لغته الأجنبية مباشرةً، إما بصورته الأصلية ("Transistor") أو بنقحرته لحروفٍ عربية ("ترانزيستور")، ولعلَّ حُجَّتهم هي الهربُ من الاجتهاد في التعريب، أو توفيرًا لعناء البحث في المعاجم. ولكن لهذا القرار نتائج تُخِلُّ بوظيفة المترجم كلّها.

فمهمة المترجم النموذجية هي إيصالُ المعنى للقارئ من لغة لا يفهمها، وإذا خرجَ مترجم فذّ بعد عمله الشاق والطويل بنصّ "عربي" محشوّ بكلمات مثل:

- chain-growth polymerization
- Number average molecular weight

وإذا لم يتعب نفسه بأكثر من أن يربط بين هذه الكلمات الرنّانة بحروف جرّ عربية، فعمله لا يرقى إلى أن يكون نصًا عربيًا، وذلك لأن محاولة استخراج معاني النص الخفيَّة -إن وُجِدت- تمسي أصعب على القارئ من حلّ لغز كلمات متقاطعة.

هل يعني هذا الانتقاد أن الاستشهاد بالكلمات الأجنبية ممنوعٌ بتاتًا في الترجمة؟ قد تختلفُ الإجابة حسب السّياق، ويدخلُ فيها -مرَّة أخرى- حُكْم المترجم، لكنه حكمٌ يصدرهُ حسب الحقائق المعلومة. فلنقُل أننا صادفنا كلمة تقنية معروفة مثل: Computer، فمعناها يبقى واضحًا للقارئ سواء أقرَّر المترجم نقحرتها إلى "كمبيوتر" أم ترجمتها إلى "حاسُوب" أو "حاسِبْ" أو "مِحْساب"، والسَّببُ في ذلك أن كل هذه المفردات دارجة في اللغة العربية الحديثة، ممَّا يعني أنها كلّها **صحيحة**[10] بالنتيجة، وأن للمترجم حرية الاختيار بينها كما يشاء.

ومثلما يمكننا التسامح مع نقحرة كلمة "كمبيوتر" من الإنكليزية؛ بناءً على شهرتها، فيمكننا أن نتغاضى عن النقحرة في حالاتٍ أخرى، منها: "الواي فاي" و"البلوتوث" و"السيلفي" و"النانو" و"التوربين"، والسبب أن هذه

8 نقصد هنا لغات العائلة الهندو-أوروبية بعامّتها، ولكن معظم ما يقال عنه أنه "لغاتٌ أوروبية" هو اللغات الجرمانية (مثل الإنكليزية والألمانية) والرومانسية (مثل اللاتينية والإيطالية والفرنسية والإسبانية)، وهذه كلّها لغاتٌ بعيدة جدًا عنَّا لأن العربية من العائلة السامية.

9 Baker (1992): p. 36

10 في هذا الموضوع منهجان كبيران ينقسم بينهما اللغويون، وهم المنهج المعياري (Prescriptive grammar)، والذي يدعو للعودة إلى أصول اللغة وفصاحتها في كلّ مسألة، والمنهج الوصفي (Descriptive) والذي يُشجّع على قبول كل ما درج على ألسنة الناس من منطلق أن "وظيفة اللغة هي أن تستعمل وينطقَ بها". والمنهج الثاني هو السائد بين معظم اللغويين في عصرنا، وهو يؤكد على صحَّة كل ما سلف من تهجئات لكلمة "حاسوب".

المفردات كلّها مفهومة عند عُموم الناس دون الحاجة لتكييف لفظها ولا لترجمتها، وبالتالي فهي لا تُفْسِدُ عمل المترجم في إخراج نصٍّ يفهمه الناس. لكن الأمر يختلفُ جذريًا في الكلمات غير المعروفة، فلو كتبتَ في مقال مترجمٍ كلمة مثل: "موليكيولار غاسترونومي"، ثُمّ فسرتَها باقتباس بأصلها بين قوسَيْن (وهي عادةُ مترجمين كُثُر) على شاكلة: "موليكيولار غاسترونومي (Molecular gastronomy)"، فهذا التصرّف ليسَ دليلًا على أمانة المترجم ولا على حرصه الأكاديمي؛ وإنَّما على فشلِه الذريع بنقل أي معنى مفيد للقارئ العربي، فهو لم يُقدّم فيما سبقَ أي إضافة جديدة للقارئ تختلفُ عن قراءة الكتاب أو المقال بلغته الأصلية. والمثال الواردُ هنا ليس بحالة متطرّفة، فكتب علوم الطب والأحياء والتقنية العربية تغصّ بمفردات أجنبية مقتبسةٍ بهذا الأسلوب. ويعدُّ بعض الباحثين في الترجمة هذه النقحرة (مثلها مثل الترجمة الحرفية) علامةً من علامات إهمال القارئ؛[11] في سبيل راحة المترجم وتيسير وظيفته.

وتوثيق الأصل الأجنبي للمصطلحات المُعرَّبة ليس مذمومًا من حيثُ المبدأ، بل هو إجراءٌ ضروريّ ويساعدُ القارئ على الرجوع إلى المصطلح والتوثّق منه؛ أو التوسّع فيه، لكن مكان هذه الاستشهادات -في معظم المواضع- يُفضَّلُ أن يكون في حواشي الكتاب، أو مَسرَد بخاتمته وليس في متنِ النصّ. والسَّبب في هذا؛ هو أن القارئ الطبيعي لا يرغبُ -عادةً- بتشتيت انتباهه بمئاتٍ من الكلمات الأجنبية التي لم يسمع بها قط، فلو كان يعرفُ معاني هذه الكلمات لذهب وقرأ النصّ بلغته الأصلية، ولكنَّ ما دفعهُ للتوجّه نحو الترجمة هو أن يقرأ معنى مفهومًا بلغته الأمّ. ولهذا يجب للمترجم أن يعرف أن النقحرة ليست **نقلاً للمعنى**، بل للفظ صوتي ليست له أي دلالة في اللغة العربية ولا للقارئ العربي إن لم يكُن على اطّلاع مسبقٍ بالموضوع الذي يقرأ فيه.

وقد يصعب -في بعض الحالات- حصْرُ المصطلحات الأجنبية بالهوامش وحدها، وذلك بسبب كثرة هذه المصطلحات وكثافة ورودها في النصّ، ومن أمثلة ذلك الموضوعات التقنية والبرمجية، التي قد يَلْزمُ فيها إقران المصطلح الأجنبي بتعريبه؛ إذ إن البرمجة بأساسها تكون باللغة الإنكليزية. ويمكن في هذه الحالة جمعُ المصطلحات الأجنبية (التي من الضروري معرفتها للمبرمج، رغم صعوبة فهمها)، مع تعريب يُفسِّرُ معناها أو يربطه بأصل عربي. على سبيل المثال، قد يبدو مصطلح "Salt" في تقنيات التشفير عسيرًا على الترجمة، إذ الترجمة الحرفية له "ملح" ولكن استعماله في سياق التشفير والتعمية يشير في الحقيقة إلى قيمة عشوائية تُضَاف إلى الكلمات السرية للمستخدمين أثناء التشفير (إذ تُجْرَى عملية التعمية على عدة مراحل بهدف تعمية كلمات المرور قبل تخزينها)، على أن الرجوع إلى مصادر عربية تراثية في هذا المجال، مثل كتاب "علم التعمية واستخراج المُعمَّى عند العرب"، يُثْبِتُ وجود مصطلح عربي أصيل لها باسم "الغُفْل".[12] وهذه طريقة في التعريب تُطبَّق في "أكاديمية حسوب" و"موسوعة حسوب"، كوَّنت مع الوقت معجمًا كاملًا من نحو ألف كلمة.

ونقلُ جوهر معنى الكلمة (أو "تعريبها") ليس مسعى سهلًا، إذ طال اشتغال أساتذة اللغة ومجامعها به؛ ولم يتفقوا إلا على قليل، لكنَّه يبقى -للأسف- ضرورةً لا مفرَّ منها إن أراد المترجمُ نقل المعنى للقارئ. ويخشى كثيرون تعريب أي مفردةٍ تقابله دون الرجوع إلى مصدرٍ أو دون استشارة أستاذ متخصّص، بل قد يظنّون أن أي

11 Hatim & Munday (2004): p. 311

12 محمد مرياتي وآخرون (2003): ص93.

محاولة أو اجتهاد بهذا الصّدد فاحشةٌ مرعبةٌ، لكن الواقع هو أن المترجم يجدُ نفسه مضطرًا لترجمة كلّ (أو جُلّ) ما يقابلهُ من مصطلحات في النص الأجنبي؛ مهما كانت صعبة، وحينما يُكلَّف المترجم بنقل مقال متخصّص قد يصطدم بعشراتٍ من هذه المفردات في كلّ صفحة، وإن لم يُسعِفْه في تعريبها أي قاموس بين يديه، فقد يصبح مُلْزَمًا بالاستعانة بقدراته اللغوية (وأساليب التعريب المتعارفِ عليها) في تعريبها بوسيلةٍ أو بأخرى، حتى ولو خشي من إفساد السليقة العربية أو تجاوز أحكام مجامع اللغة.

7.2 سبل التعريب السبعة

وُلِدَ المترجم أحمد عيسى بك في مدينة رشيد (وهي موقع اكتشاف "حجر رشيد" المشهور) على ضفاف النيل؛ قبل نحو مئة وخمسين عامًا، ودرسَ الطب في "المدرسة الخديوية" المرموقة، وتخصَّص بأمراض النساء والطب الباطني، على أن شغفه الحقيقي كان باللغة والأدب، فتعلّم لغاتٍ سامية ولاتينية شتّى[13] والتحق بـ"مَجْمَع اللغة العربية بدمشق" و"الأكاديمية الدولية لتاريخ العلوم" في باريس، واشتُهِرَ بشغفه في الترجمة؛ فكان من أهمّ آثاره فيها كتاب "التهذيب في أصول التعريب"،[14] الذي ترك بصمته على كثير من المترجمين في زمن النهضة العربية، وعلى التعريب خصوصًا.

يقترحُ أحمد عيسى بك في هذا الكتاب خمس سُبُلٍ لنقل المصطلحات الأعجمية الجديدة إلى اللغة العربية، والتي اقتبسها عنه كثير من الكتاب والمترجمين العرب. وقد رتَّب عيسى بك هذه الطرق بحسب أولويتها في لجوء المترجم إليها، فإذا لم تصلُح الأولى ينتقلُ المترجم إلى الثانية فالثالثة؛ حتى ينتهي إلى آخرها.[15]

وسوف أقتبسُ هنا قائمته نفسها مع شرح كلّ بندٍ فيها وبعض سياقاته، على أني زدتُ عليها طريقتين في آخرها لتصير سبعة، واجتهدتُ بأني أدخلتُ تعديلًا واحدًا في ترتيبها فنقلتُ "التعريب" من المركز الخامس إلى الثاني في أولويته، وذلك لأني أظنُّ أن التعريب[16] أصبح ضرورةً في عصرنا أكثر ممَّا كان حين نشر الكتاب المذكور، والذي قد مضى عليه نحو مئة عام أو أكثر، فتغيَّر الزمن والأحوال.

7.2.1 الترجمة

الترجمة هي أسهلُ طريقة في تعريب الكلمات الأجنبية، فالمقصود بها -ببساطةٍ- هو ترجمة معنى المصطلح الأجنبي إلى معنى قريبٍ في العربية. والمصطلحات التقنية التي تغيب من القواميس العربية كثيرةٌ، ولا تحتاج كُلُّها لاختصاصيّ لترجمتها، فعلى سبيل المثال: من الواضح أن عبارة "Cognitive Revolution" معناها التقريبي هو "الثورة الإدراكية" أو "الثورة المعرفية"، وللمترجم أن يجتهد في نقلها هكذا لو لم يجِدْها في قاموس أو مرجعٍ لغويّ معتمد، وينطبقُ المثل على كثيرٍ من الكلمات التي ليس لها تعريبٌ معتمد.

13 نبيل أبو القاسم (2018): ص203

14 نبيل أبو القاسم (2018): ص204

15 أحمد عيسى بك (1923): ص113

16 في كلام أحمد عيسى بك خلطٌ بين التعريب بمعنى نقحرة الصوت وتكييفه عربيًا وبين الترجمة والنقل، وفُصِلا هنا لأنهما مختلفان لغويًا، فأحدهما استعارةٌ مع تكييف والآخر ترجمةٌ قياسيةٌ على مستوى الكلمة.

وللترجمة المباشرة خطرٌ؛ هو أنها قد تبدو سهلةً في عين المبتدئ، ولكنها تتأثر -في الواقع- بتفكير المترجم وميوله، ولهذا قد تُؤدّي إلى ظهور ترجمات عربيَّة عديدة لِمَا كان مصطلحًا واحدًا في اللغة الأجنبية. فكلماتُ "حاسب" و"حاسوب" و"محساب" و"حاسبة" جاءت وليدة ترجماتٍ عديدة؛ تُوَافِقُ كلٌّ منها ميولًا شخصية أو مجتمعية لمترجمٍ أو لمؤسسة لغويّة، ومعظم القُرَّاء يفهمون أن هذه الكلمات مترادفة لأنها كُلَّها مشهورة، لكن من يقرأ كلمة "الحَاضُوْن" لأول مرَّة قد لا يعرفُ أن المقصود بها هو "الحاسوب المحمول" أو "اللابتوب"، وقد يضيعُ القارئ بسهولة بين هذه الترجمات المتفرّقة، التي قد يضيفُ إليها كل مترجم إضافةً جديدةً حسب هواه.

ولا تخرجُ أي من وسائل التعريب التي سوف نأتي عليها خارج نطاق التأثير الشخصي للمترجم، لكن الترجمة تبقى وسيلةً محدودة، وقد لا تكفي دومًا (على سرعتها، وبساطتها) لتلبية الحاجة، فينتقلُ المترجم منها إلى الوسيلة التالية أدناه -على الترتيب- حتى يَجِدَ الطريقة الأنسب.

7.2.2 التعريب

لكلمة "التعريب" عدّة معانٍ دارجةٌ ربَّما يختلطُ بعضها ببعض، فمنها الترجمة والنقل إلى اللغة العربية عامَّة، ومن معانيها -كذلك- ترجمة الكلمة المنفردة من لغةٍ أجنبية إلى العربية (وهو موضوع هذا الفصل بعمومه)، ومنها (وهو المقصود هنا) نقحرة المفردة الأجنبية باللسان العربي مع تكييفها وأيضًا «[صبغها] بصبغة عربية».[17] ومعنى "المُعرَّبُ" هو ما استعمله العرب من ألفاظ لمعانٍ من غير لغتهم،[18] وتعريبها من أنفع الوسائل في نقل الألفاظ بين اللغات؛ ومن أقدمها كذلك.

يقولُ أبو هلال العسكريّ،[19] وهو أديب ولغويّ من الأهواز عاش في عصر الدولة العباسية: «والكلمة الأعجميَّة إذا عُرِّبَتْ فهي عربية، لأن العربيَّ إذا تَكَلَّمَ بها مُعَرَّبة لم يُقَلْ إنه يتكلم بالعجميَّة». فالتعريب -إذًا- هو استعارة مفردةٍ من لغة أجنبية مع تعديلٍ في لفظها وشكلها؛ ليتّفق مع الصوت والصرف العربي، فتلحقُ بكلام العرب وتعامَلُ بأحكامه، وأحيانًا تتركُ على أصلها فتعاملُ مثل اللفظ الأجنبي (كما سيأتي في "النقحرة").[20]

ويقول في المُعرَّبات الأميرُ مصطفى الشهابي،[21] وهو رئيسُ "مجمع اللغة العربية في دمشق" -سابقًا- وأحدُ روَّاد الترجمة في النهضة العربية: «ولا ضير في التعريب كُلَّما مسَّتِ الحاجة إليه، وكُلَّما تعذر العثور على كلمة عربية تقابل الكلمة الأجنبية، أو تعذَّر إيجاد كلمة عربية تفيد معناها بوسائل الاشتقاق المعروفة». ويُضيف لكلامه رائدُ مشروع المعجم الطبيّ المُوحَّد محمّد هيثم الخياط: «وكذلك حين تكون الكلمة العربية المقترحة أشد عُجْمَةً من الكلمة الدخيلة».[22]

17 عز الدين محمد نجيب (2005): ص7

18 أحمد عيسى بك (1923): ص120

19 عاش من 920 إلى 1005م

20 أحمد عيسى بك (1923): ص120

21 عاش من 1893 إلى 1968م

22 وبالتالي فإنَّ التعريب قد يكونُ مُفضَّلاً على النقل المجازي والاشتقاق إذا لم يؤدّيا غرضهما بما يُقرِّب المصطلح المُولَّد إلى ذهن القارئ (الخياط، 2004: ص127)، وهذا يُبرّر تقديمه في هذه القائمة عمَّا كان بقائمة أحمد عيسى بك.

والتعريبُ أو "الإدخال" موجود منذ القدم في اللغة العربية، وفي شتّى لغات العالم، فهو لا يكون مقصودًا بالضرورة بل قد يقعُ عفوًا؛ حينما تدخلُ لفظة أجنبية إلى اللغة ثُمّ تتغيَّر -مع الزَّمن- حتى تتماشى مع ألسنة الناس. ومن المُعرَّبات المألوفة:

- technology: التقنية
- music: الموسيقى
- democracy: الديمقراطية
- oxidation: الأكسدة
- magnet: المغناطيس

وقد شاع التعريب في اللغة العربية منذ بداية تاريخها، فدخلت عليها آلافُ الكلمات المُعرَّبة قبل الإسلام، بل وفي القرآن من لغات الفرس والروم والحبشة والسريان،[23] كما دخلت عليها كلمات في العصر العباسي من اللاتينية واليونانية،[24] وفي العصر العثماني والاستعماري من التركية والفرنسية والإيطالية والإنكليزية. ومن الأمثلة الحديثة المنتشرة على التعريب "تلفاز" الناتجة عن تحوير اللفظة الإنكليزية Television و"أكاديمية" المُحوَّرة عن Academy، وقد يحدثُ التعريب في اللهجات (أيضًا)، مثل كلمة "أصنصير" في بعض اللهجات العربية، وهي تعريب الكلمة الفرنسية ascenseur (ولفظها الأصلي: آسينسوغ، أي مصعد كهربائي).

والتعريب مفيدٌ جدًا لأنه سهلٌ بالنسبة لعموم الناس وقريبٌ لأذهانهم، لكنَّه يبقى غير مُحبَّذٍ في بعض السياقات؛ لأنه يخلقُ ألفاظًا جديدةً قد لا يألفهُا القارئ دون تكرارها وانتشارها، وفيه اجتهادٌ باللغة ربَّما لا يحقّ للمترجم الإقدامُ عليه؛[25] فالتعريب يكسبُ قوَّته من انتشاره العفويّ على ألسنة الناس، كالأمثلة أعلاه ولكنه يخسرُ هذه المنفعة إن أتى مبتدعًا ومقصودًا.

ولعلَّ إحدى اكبر فوائد التعريب هي في ترجمة الأدب، إذ تعجّ كثير من الروايات والأشعار بمصطلحاتٍ مختلقةٍ أو نادرة تصعب ترجمتها، وليست لها مكافِئَاتٌ بالعربية، فقد تكونُ من اختراع المؤلّف أو الأديب نفسه (كما في الروايات الفانتازية التي تكثرُ فيها المدن والشعوب واللغات المصطنعة)، وفي هذه الحالة قد يحظى المترجم بحُريَّة التلاعب باللغة، لأنه لا يُعرِّبُ لفظةً دارجةً في لغةٍ حقيقية، وإنَّما كلمة مختلقة ينحصرُ استخدامُها في كتابٍ أو سلسلة من الكتب.

23 أحمد عيسى بك (1923): ص120

24 جمع أبو منصور الجواليقي الكثير من هذه الألفاظ المعربة في زمانه (بالقرن الخامس الهجري) ورتبها أبجدياً في كتاب "المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم"، وله طبعة جيدة بتحقيق محمد شاكر (1966).

25 أحمد عيسى بك (1923): ص125

7.2.3 الاشتقاق

يعد الاشتقاق من أكثر ما يُشَادُ به من مزايا اللغة العربية، فهي تتميَّز بقدرتها على اشتقاق الألفاظ وتنويعها وتسهيلها. وللغة العربية قياسٌ؛ حيث يشتقّ كلامها من بعضه، وذلك بأن يؤخذَ عن الأصل فرعٌ يوافقه في حروفه ويدلّ عليه، ومنها أن يشتقّ من الفعل اسمٌ وصفة وغير ذلك. فمن سَرَعَ" يُقَال: "السرعة" و"التسارع" و"الإسراع" "و"المُسَارَعَة" و"المُسْرِع" و"السَّريع".[26]

تكثر المشتقّات في اللغة العربية، ومن أهمّها سبع فئات من المشتقّات (هي: اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المُشبَّهة، وأفعل التفضيل، واسم الزمان، واسم المكان، واسم الآلة). وتظهر فائدة طرق الاشتقاقِ هذه بسياقات كثيرة في التعريب نُقِلَت بها كلماتٌ مألوفة لنا،[27] مثل: أسماء المكان ومنها: "محطَّة" من حطَّ وكلمة "مُخْتَبر" من "اخْتَبَرَ" وكلمة "مَوْقِف" من "وَقَفَ"، وأسماء المفعول مثل "مُنْطَاد" من "انطاد" أي "صعد في الهواء، وأسماء الآلة مثل "مِصْعَد" من "صَعَدَ" و"غوَّاصة" من "غَوَصَ"، وهذه كلها مُسمَّيات لأماكن أو أشياء حديثة اشتُقَّت من جذور عربية.

وبعض الأسماء المُعرَّبة عن اللغات الأخرى تقبلُ الاشتقاق،[28] مثل: "مَغْنَط" و"مِغْنَاطيسيَّة" (وأصلُها مَاچِنِتْ)[29] وكلمة "التقنيين" وكلمة "التقانة" من تقنية (وأصلُها تِكْنُولوجي)، وهذه من أفضل الوسائل في إثراء اللغة بمصطلحات جديدة وتنويعها ممَّا عُرِّبَ واقتبس عن لغاتٍ أخرى من الكلمات الحديثة.[30]

7.2.4 المجاز

وهو تقريبُ المعنى أو **النقل المجازي** من وسائل الترجمة الشائعة، وخصوصًا منذ بدء النهضة العربية في القرن العشرين: وهذا ليس بالأمر المستغرب، فمتى ما تعوَّد القارئ العربيّ على المجاز؛ قد يصبحُ أَيْسَرَ المُعرَّبات وأجملها ربما. وأساسُ هذه الطريقة هو أخذُ مفردةٍ عربيَّة في أصلها، وإضفاء معنى جديدٍ عليها -إما عمدًا أو عفوًا- يتسقُ مع معناها الأول و"يجوزُ مجازَه"، إمَّا لأن بينهما شبهًا؛ أو لاتصال العامّ للبعض؛ أو بالإضافة؛ أو بغير ذلك،[31] ويقالُ في تعريف المجاز أنهُ: "كُلُّ كلمةٍ أُرِيدَ بها ما وقعت لهُ في وَضْعِ واضِعٍ وُقوعًا لا يستَنَدُ فيه إلى غيره".[32]

وللمجاز أمثلة مألوفةٌ كثيرةٌ منها كلمة "قطار"، ومعناها التراثي "قافلة الإبل" ثُمَّ وُسِّعَ بالمجاز ليشمل القطارات الحديثة، ومثلها "السيارة" التي كانت تصفُ جماعات المسافرين، فأمست لفظةً للمركبات الحديثة،

26 أحمد عيسى بك (1923): ص114
27 عباس حسن (1971): ص252
28 أحمد عيسى بك (1923): ص116
29 أحمد عيسى بك (1923): ص117
30 عباس حسن (1971): ص234
31 أحمد عيسى بك (1923): ص118
32 الجرجاني (2012): ص303

وكذلك الطائرة والدبابة والشاحنة والغواصة والهاتف والجوال والخلاط والغسالة والثلاجة وغيرها من أسماء الاختراعات والآلات.[33]

والفرقُ بين النقل المجازي، والترجمة المألوفة؛ أن المجاز لا يبتدعُ لفظًا جديدًا، بل "يعيدُ تدوير" ألفاظٍ عربية أصلًا وقريبةٍ في معناها السابق من معناها الجديد. فالقطار والسيارة مفردتان متداولتان منذ القدم؛ إذ كانت تعني الأولى صفًا متواليًا من الإبل والثانية قافلةً، ولمعنيَيْهما القديمين صلةٌ وشبهٌ واضحان بالمعنَيْين المستحدثَيْن. وليست كل أسماء الاختراعات العربية مجازًا، فكلمة "المُحرِّك" جديدة لم يستخدمها العرب بمثل هذا السياق -أو ما يُشْبِهُه- قبلَ اختراع المركبات؛ وقبل استحداث كلمة **Motor** في اللغات اللاتينية، ولكن بعد ظهور هذا الاختراع اشتُقَّت لها ترجمة من فعل " حَرَكَ" (وذلك اهتداءً بأصل الكلمة اللاتينية moto ومعناهُ "تحريك")، وهذا يعني أنها ليست مجازًا حتى ولو بدت عربية الأصل.

ولا بُدّ للمُعرِّب (إن أراد اتّباع طريقة المجاز) من إحاطة هائلة باللغة العربية ومفرداتها الواسعة، فدون ذلك لن يعثرَ على الكلمات المناسبة في معناها وسياقها التاريخيّ. وللمجاز مشكلةٌ أخرى؛ وهي أنهُ يختلقُ معاني جديدة للكلمات، ولذا قد لا يختلفُ كثيرًا عن اختلاق مفردةٍ جديدةٍ من العدم، ويبقى دون فائدةٍ تذكر إن لم يتعوَّد عُموم الناس على المجاز، وإن لم يدوّروه على ألسنتهم، فعلى سبيل المثال: لم يكُن لقرار أحد مجامع اللغة بتعريب كلمة "الحاسوب المحمول" (Laptop) إلى "الحاضون" أيّ قيمة تذكر، لأن هذا قرارٌ لم يكترث به عددٌ ذا قيمة من الناطقين باللغة العربية، ومن المستبعد أن يكترثوا باتّباعه لأنه لا يتّفق في شيءٍ مع الاستعمال المألوف والجاري للغة حاليًا.

7.2.5 النحت والتركيب

النَّحْتُ أو "التركيبُ المزجيّ" في اللغة هو مزجُ كلمتين أو أكثر في كلمةٍ واحدةٍ اختصارًا وتسهيلًا، مثلما ينحتُ النجَّار خشبتين يجعلهما خشبةً واحدة، ومن أمثلة النحت "الحَوْقَلَة" (وأصلها "لا حول ولا قوّة إلا بالله")،[34] وشبيهٌ بها اللّفظ المُركَّب؛ وهو إلحاقُ كلمتين معًا (أصلهما مضافٌ ومضاف إليه) بحيثُ تدلاّن على **معنى جديدٍ واحِدٍ**، مثل: "لاإرادي"، فهيَ تدلّ على معنى يمكنُ إيجازه بلفظٍ واحد؛ ولكنَّه رُكِّبَ بكلمتين متداولتين في اللغة.

كان مشروع "المعجم الطبيّ المُوحَّد" من أهمِّ المساهمات في نشر النحت والترويج لهُ في تعويض النقص بالمصطلح العربي، ويساعدُ النحت على اختصار الألفاظ المُركَّبة وتسهيل اشتقاقها واستعمالها في اللغة، ويعاملُ اللفظُ المنحوت على أنه مفردة واحدة، فيُقَال "الاثناعشريّ" لعضو في جسم الإنسان، ولا تستبدلُ الألف فيها ياءً عند جرِّها (على عكسِ الحال عندَ جرِّ رقمِ "الاثني عشر" مثلا). كما أن النحت يقع بصورة طبيعية غير

33 أحمد عيسى بك (1923): ص118
34 أحمد عيسى بك (1923): ص 119

مقصودة، فكثيرٌ من اللهجات العامية نحتت الكلمات بمرور الوقت، مثل: كلمة "إيش" أو "ليش" من "لـ/أي شيء هو"،[35] و"هسَّع" أو "لسَّة" من "لـ/هذه الساعة"،[36] و"فذلكة" من "فذلك العدد كذا" وهكذا.[37]

النحتُ طريقة لها أنصارها وخصومها، ويدعُو كثيرٌ من اللغويِّين العرب إلى عدم الإكثار منهِ لغرابته على اللّغة، بينما يعتقدُ آخرون أنه قد يكونُ الوسيلة المناسبة للتعويضِ عن القصور الكبير في المصطلحات التقنية والعلمية في العربية الحديثة. ويُولِّد النحتُ ألفاظًا غير مألوفة وربما تبدو منفّرة لذوق القارئ؛ مثل "الركمجة"،[38] ولذا يُستعاضُ عنه كثيرًا باللفظ المُركَّب؛ فيُقَال: "ركوب الأمواج"، والتركيب من أسهل وسائل التعريب، ولكنه قد يُفْسِدُ بلاغة اللغة، ويلجئ لاستخدام كلماتٍ كثيرة في التعبير عن معنى واحد.

7.2.6 التأثيل

لو كُلِّفتَ بالترجمة في علم الفلك ذات يومٍ، فقد تصادفُ أسماء أعلامٍ تصعبُ ترجمتها مثل Betelgeuse، وهو اسم نجمٍ مشهور، ومن المحتمل أن ينحو المترجم العربي -إن لم يرَ سبيلًا آخر- إلى نقحرة هذه الكلمة كما صنع مترجم مقالة لموقع "سي إن إن" عنوانه: «لغز فلكي جديد: نجم "بيتيلجوس" العملاق يتقلص».[39] وربَّما تظهرُ هذه ترجمةً مقبولةً لمن لا يعرف أصل الكلمة، على أن البحث عنها في أي معجم سوف يبعثُ في نفس القارئ مشاعر لا يستهانُ بها من الحزن والأسى، لأن كلمة **Betelgeuse** العجيبة ليست إلا تحريفًا لاتينيًا لاسم "يد الجوزاء"،[40] وهو مأخوذٌ في اللغات اللاتينية عن العربيَّة مثلهُ في ذلك مثل معظم أسماء النجوم المشهورة، وكان على مترجم المقال أن يكتشفَ هذه المعلومة لو أمضى بضع دقائق في تقصّيها.

لهذا السَّبب أضيفُ التأثيل إلى سُبُل التعريب الخمسة التي اقترحها أحمد عيسى بك. ومعنى التأثيل هو تقصّي أصل الكلمة التاريخي، فجُلُّ مفردات اللغات -كافة- هي عبارةٌ عن اقتباسٍ وتحريف واشتقاق واستحداثٍ للمفردات من أصولٍ ما، وتحفظُ لنا المعاجم تاريخ هذه الأصول، وحينما نرجعُ لها قد نفهمُ معاني كثير من الكلمات العلميَّة والأكاديميَّة؛ التي يستعصي تعريبها بأيّ وسيلة أخرى، مثل كثير من أسماء الحيوانات والنباتات والأمراض وأعضاء جسمِ الإنسان؛ المأخوذة أصلًا عن اللاتينية.

35 جرجي زيدان (1904): ص30

36 جرجي زيدان (1904): ص31

37 عباس حسن (1971): ص258

38 "قرر مجمع اللغة العربية بالقاهرة (سنة 1948) جواز النحت في العلوم والفنون للحاجة الملحَّة إلى التعبير عن معانيها بألفاظ عربية موجزة بشرط انسجام الحروف عند تأليفها في الكلمة المنحوتة وتنزيل هذه الكلمة على أحكام العربية وصياغتها على وزن من أوزانها"

39 سي إن إن بالعربية (نسخةٌ مؤرشفةٌ في موقع "وي باك ماشين"): لغز فلكي جديد: نجم "بيتيلجوس" العملاق يتقلص. تاريخ النشر: 11 يوليو 2009 (مصدر رقمي). متوفر عبر الرابط: http://archive.arabic.cnn.com/2009/scitech/6/11/star.shrinking [تاريخ الوصول 26 أغسطس 2020].

40 أصل الكلمة كان -على ما يغلبُ الظنّ- "يد الجوزاء"، وقد أخطأ أحدُ النسَّاخين باللاتينية فاستبدل بنقطتي الياء نقطةً واحدةً، فتحوَّلت من "Yad al-Jauza" إلى "Bedalgeuze"، ثُمَّ أخطأ من بعده فحسبَ أصلها "إبط الجوزاء" فزادَ بالتحريف حتى غَدَت بصورتها: Betelgeuse

على سبيل المثال، كلمة "Acanthopterygii" هي اسمٌ لمجموعة من الأسماك، ولعلَّه يبدو اسمًا عجيبًا أو دون معنى للوهلة الأولى، لكنْ وبالرجوع إلى معجم ميريام ويبستر المعروف يتضح أنه مزجٌ بين كلمتين من اللغة الإغريقية القديمة: وهُمَا "acanth" (أي "شوك") وكلمة "pterygii" (أي "زعنفة" أو "جناح"، وبما أن ما يُشَار إليه في هذا السياق هو نوع من الأسماك، فمن الواضح أن المعنى المقصود الزعنفة وليس الجناح). وعندَ مراجعة بعض المعلومات عن هذه الفصيلة في موسوعة مثل "ويكيبيديا"، يتبيَّن أنها تمتازُ بأن زعانفها تتخلَّلُها عظام رفعيةٌ أقربُ إلى الأشواك، ومن هُنا يكتملُ تعريب الاسم معنى وسياقًا وهو: طائفة "شوكيَّات الزعانف"، أي الأسماك ذات الزعانف الشوكيَّة.

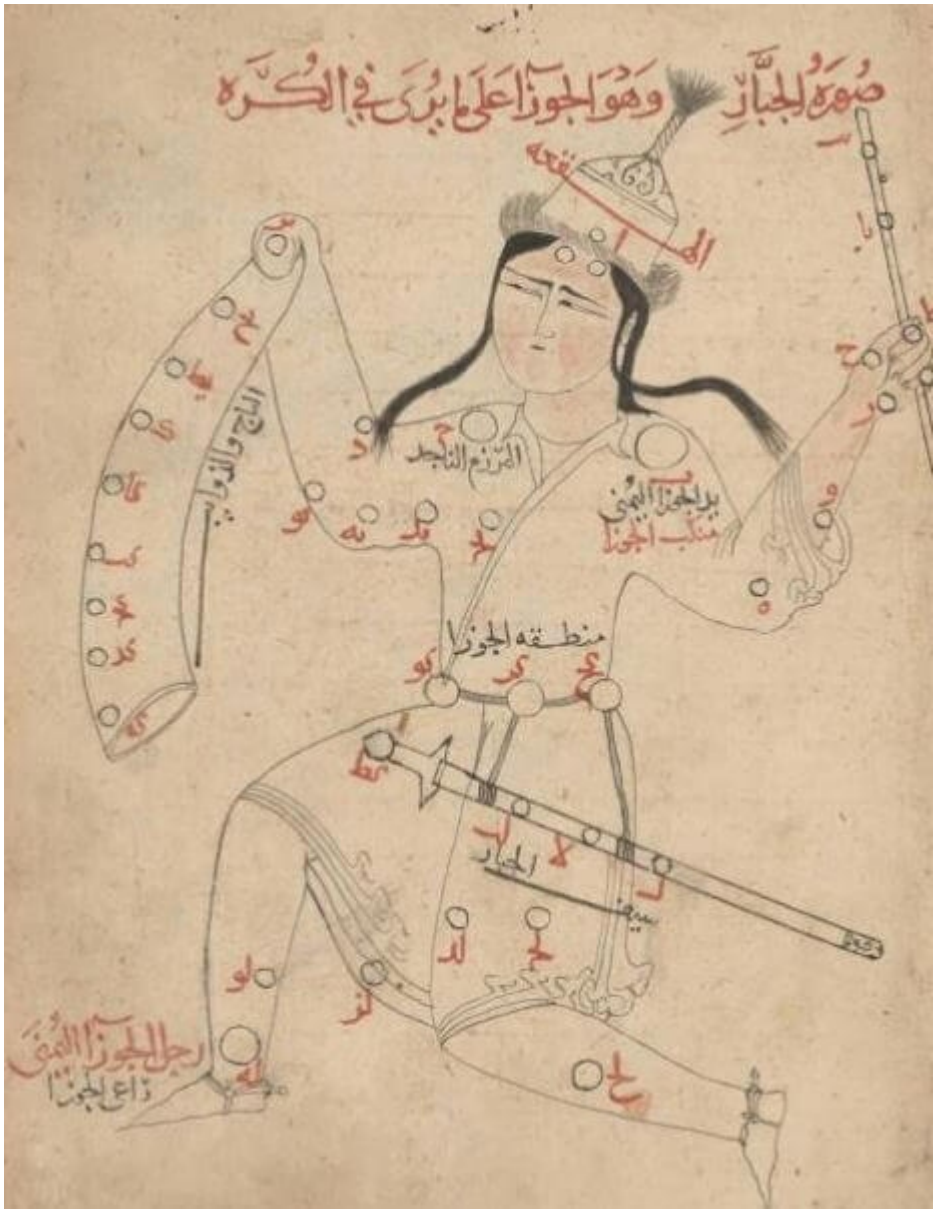

خريطة للنجوم من كتاب "صور الكواكب الثمانية والأربعين" لعبد الرحمن الصوفي، ويظهر فيها نجم "يد الجوزاء" باسمه العربي الأصيل. - منشورة تحت ترخيص الملكية العامة. المصدر: ويكيميديا كومنز.

ولنا أن نسير على النهج ذاته في تفسير آلاف المصطلحات الغريبة والمستعصية التي تواجهُ المترجم، والتي قد يكونُ من الصعب -بل المستحيل- الاستعانة بالمصادر العربيَّة لترجمتها. وهذا حلٌّ فيه قدرٌ كبيرٌ من الاجتهاد، لكنه يبقى ملجأً عظيم النَّفْع في التعريب إن لم يصلُحْ ما سَلَف.

7.2.7 النقحرة

من أكثر الأخطاء التي يرتكبها المترجمون الجُدد (والكُتّاب إجمالًا)؛ هي ابتداعُ تهجئات جديدة للكلمات المُستعارةِ من لغاتٍ أجنبية حين "نقلها حرفيًا". فمن السهل حين ترجمة كتابٍ أو مقالٍ طويلٍ فيه أسماءٌ صعبة، أن يخترعَ الكاتب ثلاث أو أربع تهجئات لاسمٍ واحد بسبب السَّهو والنسيان، وتعودُ هذه المشكلة إلى الغموض الكبير في تهجئة الألفاظ اللاتينية بالعربية، وتُسمَّى هذه "النقحرة"[41] (بالإنكليزية: Transliteration وهي كلمة مُعرَّبة بطريقة النحت التي تناولناها أعلاه من: "النقل الحرفي")، وتعني نقلَ صوتٍ **غير عربي** إلى اللغة العربية مع الحِفَاظ على شكله الأصليّ، وهو -للأسف- أمرٌ غير سهلٍ أبدًا.

تفتقرُ اللغة العربية الحديثة إلى قواعد قياسية للنقحرة، ولذلك لا بُدَّ لنا -في كثير من الأحيان- من الاعتماد على شيوع الكلمة أو اتّفاق مجامع اللغة عليها، وليسَ على "صحَّتها". على سبيل المثال، من أكبر المعضلات في النقحرة العربيَّة صوت الـG اللاتيني (والمعروف -أيضًا- بالـ"الجيم المصرية" أو "القاف الحجازية")، فيجوزُ نقلهُ إلى اللغة العربية بما لا يقلّ عن ست أو سبع صورٍ نراها في التهجئات الشائعة لاسم شركة Google، ومنها "جوجل" و"غوغل" و"قوقل" و"گوگل"،[42] ولا بُدَّ هنا أن نعدَّ **جميع** صور الكتابة المتعارفِ عليها **صحيحةً** لأنها جميعًا أو معظمها تحظى بتأييد أساتذة ضليعين باللغة العربيَّة، وبالتالي فلا أفضلية لواحدةٍ منها على سواها إلا بذَوْق الجمهور المستهدف أو ذَوْق المترجم.

يجدرُ بالمترجم المتقن أن يبحثَ عن تهجئة معروفةٍ للكلمة المعنيَّة؛ إن كانت معروفة، فاختراع النقحرة الجديدة غير مُحبَّذ إلا حين الضرورة، ومن السهل أن ينقحر المترجم اسمًا مثل Samuel إلى "ساموِيل"

41 للتوسّع أكثرَ في موضوع النقحرة، بإمكانك الرّجوع إلى كتبٍ مثل "التهذيب في أصول التعريب" لأحمد عيسى، والذي يُفصِّل عددًا كبيرًا من النظريات والأفكار في تهجئة الكلمات الأجنبية باللغة العربية الحديثة، وكذلك إلى كتاب "في سبيل العربيّة" لمُحمّد هيثم الخياط، والذي يتحدَّثُ فيه عن أُسسِ تعريب وتهجئة الكلمات الأجنبية في المعجم الطبيّ المُوحَّد الشهير.

42 يمكنُ لأيّ أستاذٍ في اللغة العربية أن يكتبَ لك مقالًا طويلًا يحاولُ فيه إثبات صحَّة كلّ واحدة من تهجئاتها الواردة أعلاه وخطأً كلّ تهجئة سواها، ولكن هذا -في الواقع- ليس أمرًا ذا معنى. فمثلما أن الباحث العربيَّ المصريَّ يستطيع بذل الجهد لإثباتِ صحَّة لفظة "جوجل" على غيرها (بسبب شيوعها مثلاً)، فيمكنُ للباحثِ الشاميّ -أيضًا- إيجادُ حججٍ مقابلة لدعم تهجئة "غوغل" أو "گوگل" (بسبب قربِ شكلهما للفظ الفعليّ لحرف G)، وفيما يلي صور كتاباتها الدارجة بحسب البلد:

- جوجل (في مصر والمغرب العربي وبعضِ بلاد المشرق).
- غوغل (في بلاد الشام).
- قوقل (في الخليج العربي والعراق).
- كوكل (في العراق).
- چوچل (في بعض الترجمات وجهات الإعلام).
- گوگل (في بعض الترجمات الحداثية).

أو "صَمْويل" أو "صامْوِل" أو "سمْوِيل" أو غير ذلك. ولا وسيلة -مرة أخرى- للاحتكام إلى واحدة من هذه النقحرات بناءً على "صحتها"، إذ لا توجد قواعد واضحة أو ثابتة بهذا الخصوص، لكن من الأفضل الاعتماد على نقحرة مستخدمة -مسبقًا- في مصادر معتبرة باللغة العربية، وذلك اهتداءً بالسائد في كتابة الاسم.

نقحرة لاسم محلّ McDonald's من الإنكليزية للعربية. - منشورة تحت ترخيص CC-BY. المصدر: ويكيميديا كومنز.

والقاعدة السائدة في أسماءِ الأعلام هي أنها **لا تُتَرْجَم** أبدًا؛ وإنما تَجِبُ نقحرتها في كل سياق، ولكنَّنا ربَّما نُغيِّر لفظها لتكييفه وتعريبه. ومن الأعلام جميع أسماء الأشخاص والأماكن والبلدان والشركات والعوالم التخيلية وكثير غير ذلك، فاسم شركة Caterpillar لصناعة الأحذية لا يُتَرجَم بل يُنَقْحَر إلى "كاتَربيلار"، واسم Wikipedia هو "ويكيبيديا" (وليس "موسوعة الويكي").

وبعضُ أسماء الأعلام مُعرَّبة؛ فهي لا تكتبُ بنقحرةٍ كاملةٍ، بل بلفظٍ حوَّره اللسان العربي بمرور الوقت، فيُقال: "النرويج" بدلًا من "نُورْواي"، و"بكين" بدلًا من "بيجنغ"، وفي هذه الحالات يُرْجَعُ إلى التهجئة المُعرَّبة. وبعضُ أسماء الأعلام لها مقابلاتٌ عربية تختلفُ في اللفظ (وربَّما في المعنى) عن أسمائها الأجنبية، وفي هذه الحالة يُرْجَعُ للتسمية الأكثر شيوعًا بين الاثنين، مثل: دولة "مونتينجيرو" في شرق أوروبا التي يقالُ لها -بالعربية-: "الجبلَ الأسود"، ودولة "كُوْتْ دِيْفْوَار" التي قد يقالُ لها "ساحل العاج" (حسب جمهور الترجمة[43])، وهلم جرًا.

7.3 أسماء الأعلام

إحدى الحالات الأكثر تعقيدًا في التعريب؛ هي أسماءُ الإنتاجات الفنية والأدبية (الحديثة منها والقديمة)، مثلَ: عناوين القصص والروايات والمسرحيات والأفلام والمسلسلات التلفزيونية وألعاب الفيديو، وهذه تحتاجُ

43 يشيع اسم "كوت ديفوار" أكثر من "ساحل العاج" في كثير من دول المغرب العربي أو معظمها، وذلك بسبب تأثّرها باللغة الفرنسية (والتي يأتي منها اسم الدولة الأصلي). ومن المنطقي أن يُعرَّب اسم الدولة إلى "كوت ديفوار" إن كان التعريب موجَّهًا نحو قُرَّاء معظمهم من بلاد المغرب، وأما إن كان عامًا فقد يكون الأنسب اختيار "ساحل العاج" لأنها عربية المعنى.

إلى تأمّل ومناقشة لأن أسماءها طويلة ومُعقّدة؛ إذ تُمْسِي قراءتها صعبة عند تهجئتها بحروفٍ عربية، كما أن أسماءها غالبًا ما تهدفُ لإيصال معانٍ ودلالاتٍ واضحة تضيعُ عند نقحرتها.

ومن الشائع في لغات العالم تعريبُ أسماء الأعمال الأدبية (مثل: الكتب والروايات) بالترجمة، فنقول "الجريمة والعِقَاب" و"كبرياء وهوى"، على أن الأمر يصبحُ عسيرًا جدًا في الإنتاجات الحديثة، (مثل: ألعاب الفيديو والأفلام) ، والسَّبب هو أن أسماء هذه الإنتاجات كثيرًا ما تستمدُّ أصلها من مصطلحات ثقافية يصعبُ نقلها بين اللغات، ولأن لكثير منها مجتمعاتٍ كبيرة من المعجبين والمتابعين، الذين يعرفُونها بأسمائها الأصلية؛ ولكنهم لا يتقبّلون تغيير اسمها ولا ترجمته. فومن أمثلة الأسماء ذات الخصوصية الثقافية عنوان رواية "Hickory Dickory Dock" -الحديثة نسبيًا- لأغاثا كريستي، وفلم "Eternal Sunshine of the Spotless Mind" (إنتاج 2004)، ولعبة "Counter-Strike: Global Offensive": فضلًا عن أسماء جميع ألعاب الفيديو تقريبًا. فلو عرَّبنا اسم اللعبة الأخيرة -مثلًا- إلى: "الضربة المضادة: الهجوم العالمي"، فهل سوف يتقبَّل أي من اللاعبين العرب الحديث عنها بهذا الاسم؟

وأما أسماء الناس، سواء كانوا حقيقيِّين أم شخصيات خيالية تظهرُ في رواية أو لعبة أو فلم، فليسَ من المقبول -إجمالًا- أن يعبثَ بها المترجمُ ولا يُغيّرها.[44] وتستثنى حالة واحدة عامَّة من هذا: هي ترجمة أدب وإنتاجات الأطفال، لأن الأسماء الأجنبية قد تبدو غريبة على مسامعهم وصعبة اللفظ والفهم لديهم، ومن أمثلة ذلك تعريب الأسماء في دبلجات قناة "سبيستون" للأطفال (مثل: "سابق" بدلًا: من "Seiba Go"، و"لاحق" بدلًا من: "Seiba Retsu"). وربّما تضافُ إلى ذلك حالات قليلةٌ، منها: أن يكون للاسم أصل أو مكافئ عربي كأسماء الأنبياء، فيجوزُ أن نترجمَ اسم David إلى "داوُد" إن ورد في سياقٍ ديني.

7.4 توحيد المفردات

إحدى أهمِّ المسائل في الترجمة الأدبية؛ هي الحِرْصُ على توحيد المصطلح الواحد في كُلِّ موضعٍ يَرِدُ فيه ذكره بالمقال أو الكتاب الواحد. وقد أمست في اللغة العربية كثيرُ من المصطلحات المتضاربة التي استُحدِثَت لتعريب العلوم والآداب، ومنها أسماء الأجهزة الإلكترونية والمفردات العلمية الاختصاصية، ومثل هذه التعريبات لم يأتِ بصورة طبيعية على ألسنة الناس؛ بل ابتدعها كُلّ مترجم وهيئة حسب الحاجة فضلَّلت القراء. ومنها أن يقال: "التقنية" و"التقانة" و"التكنولوجيا" و"التقنولوجية"، وهي تعريباتٌ لأصلٍ واحد.

ولا شكَّ بأن المترجم لا يستطيعُ توحيد أيٍّ من هذه المصطلحات في البلاد العربية جمعاء (فمجامعُ اللغة لم تستطع)، ولكنه قادرٌ على توحيدها في ما يترجمه. فلدى تعريب بعضٍ من هذه الكلمات في مقال أو كتاب، فلا بُدَّ من تسجيل أيِّ تعريبٍ يجتهد المترجم فيه ضمن قائمة أو مسردٍ يعودُ إليه فيما بعد، وتساعدُ هذه القائمةُ على تثبيت المصطلحات في ذهن المترجم وإيجاد تصاريف واشتقاقات عربيَّة مناسبةٍ لها في بعضِ الأحيان، كما تجبرُه على التفكير بتعمُّقٍ قبلَ تعريب أيِّ مصطلح.

44 Sulaibi (2014): p. 82

7.5 هاري بوتر مثالا

سلسلة هاري بوتر هي أكثر سلاسل الكتب مبيعًا في التاريخ، فقد بيع منها أكثر من 500 مليون نسخةٍ منذ نشرها، ولهذه الروايات جانبان جعلاها محطَّ اهتمام باحثي الترجمة: الأول هو أنها تُرْجِمَت إلى نحو ثمانين لغة؛ فأصبحت من أكثر الكتب ترجمةً ونقلًا بين اللغات، والثاني هو أنها روايةٌ خياليَّةٌ تعجُّ بأسماء شخصيات وأماكن ومخلوقات ترهقُ المترجم وتستلزمُ إبداعًا وخيالًا خلَّاقًا؛ فأصبحت موضوعًا للمقارنة بين الترجمات الكثيرة.

في روايات هاري بوتر رمزيَّة كبيرةٌ لكلّ المسميات، فهي تستشهدُ بأماكن معروفةٍ كثيرةٍ لُقرَّاء اللغة الإنكليزية (مثل محطة "كينغز كروس" بمدينة لندن)، كما تأتي بأسماء مخلوقات أسطورية من ثقافات أوروبية (كالتنين و"الترول") وبأسماءٍ كثيرةٍ لها معانٍ رمزية (كاسم "ألبوس دمبلدور"؛ ومعنى اسمه الأول "البياض" باللاتينية، فيرمزُ اسمه إلى خصاله الخيّرة، وبعكسه "دراكو مالفوي" فمعنى اسمه الأول التنّين)،[45] بل واسم صحيفة "Daily Prophet"؛ وهي محاكاةٌ لصحيفة "Daily Mail" البريطانية المعروفة.

ومن اللغات التي تُرْجِمَت إليها هذه الروايات: الإسبانية والإيطالية، وكلاهما تألفانِ التكييف والتعديل في الترجمة ليتناسبَ مع ثقافتيهما. وتحتفظُ هاتان الترجمتان بمعظم أسماء الشخصيات والأماكن في الرواية على حالها، ولكنهما تتلاعبان ببعض الألفاظ الهامشية أملًا في نقل بعضٍ من إيحائها الثقافي، ومن أمثلة ذلك: أسماء الكتب التي يدرسُها طلاّب المدرسة ومنها كتابُ "Magical Theory by Adalbert Wafflin"، وعدّلت النسخة الإيطالية اسم المؤلّف إلى "Adalbert Incant" أي "أدالبرت المشعوذ".[46]

ومن غير المناسب في هذه الحالة ترجمة أسماء الشخصيات الرئيسة في القصة (مثل "هاري بوتر" و"دمبلدور") على الرغم من رمزيَّتها الثقافية، وذلك لأنها مألوفة لقارئ القصّة العربي، ولن يكون من المفيد ولا الممتع لهُ أن يرى أسماء شخصياته المفضّلة وقد عُدِّلَت وأفسدت في الترجمة (إلا لو كانت أسماءً ألفها القارئ العربي بترجمتها قبل أن يعرف أصلها الأجنبي، كحال شخصيات بعضٍ من القصص المصورة المترجمة التي سوف نتحدث عنها لاحقًا).

وقد يختلف الأمر مع عنصرٍ هامشيّ بالقصة، مثل: أسماء الكتب، فالقارئُ لن ينزعج من تغيير أسمائها غالبًا، وبالعودة للمثال أعلاه، فما من بأسٍ بتعريب عنوان الكتاب إلى ما يشبهُ الكتب العربيَّة التراثية (وهي نظيرةُ التراث اللاتيني الذي تغصّ به القصة) فنقول: "فنّ الأسحار لأدالبرت المِغْوَار" أو ما شابه. وتلتزم الترجمة العربيَّة لهاري بوتر -عمومًا- بتعريبٍ متّزن، لكنَّ فيها أخطاءً منهجيَّة ممَّا ذكرناه أعلاه، مثل: كونها تُعدِّدُ في ترجمات الأسماء نفسها ، فتعريبُ "Prefect" يأتي تارةً "رئيس التلاميذ" وتارةً "رائد الفصل"، و"Poltergeist" يصبحُ حينًا "الشبح الشرير" وحينًا "الشبح المشاغب"، وفيها أمثلة أخرى تناولها الباحثون.[47]

45 Sulaibi (2014): p. 81

46 Munday (2008): p. 121

47 Sulaibi (2014): p. 84

إجمالًا، على المترجم أن يحاول أن يكون مبدعًا وخلاّقًا، باستغلال جمال العربية وإمكاناتهـا في تجديـدها بمـا ينقصُها. ولكن مهما كانت الوسيلة التي تلجأ إليها حينما تنخرط بنفسك في التعريب، فعليك أن تتـذكَّر أن اللغـة ظاهرة اجتماعية، وأن كُلَّ كلمةٍ ومصطلحٍ يُضَافُ إليها باجتهاد شخصي، لن يكونَ له معنى يُذكرُ ما لم ينـدرج على ألسنة الناس في حديثهم اليومي، وهذه -دومًا- هي العقبة الأولى والكبرى للمعرّب.

دورة تطوير واجهات المستخدم

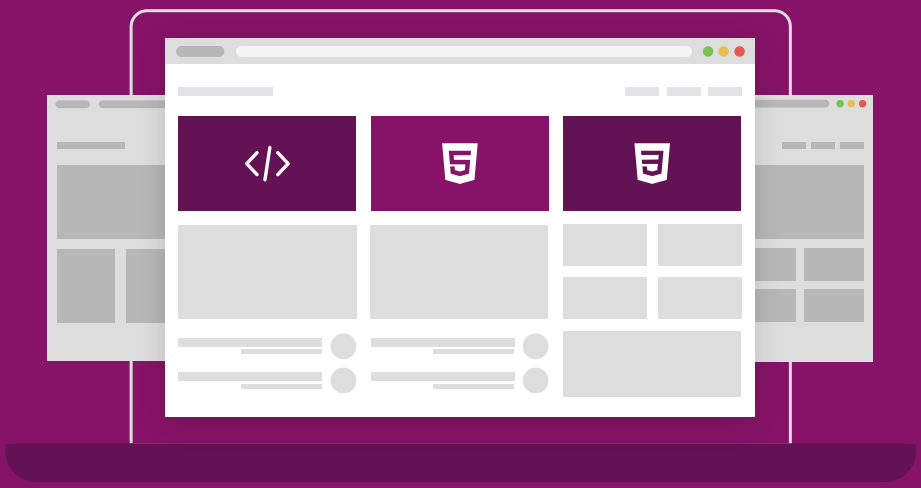

مميزات الدورة

- بناء معرض أعمال قوي بمشاريع حقيقية
- وصول مدى الحياة لمحتويات الدورة
- تحديثات مستمرة على الدورة مجانًا
- شهادة معتمدة من أكاديمية حسوب
- إرشادات من المدربين على مدار الساعة
- من الصفر دون الحاجة لخبرة مسبقة

اشترك الآن

8. تعريب تراكيب اللغة

الحلّ الواضح والسهل نادرٌ في الترجمة، وإنَّما الغالبُ فيها أن يبحث المترجم في عددٍ من الحلـول، فيُوظّف رأيه وخبرته في الاختيار بينها مرَّات متوالية خلال عمله اليوم.[1] وتصعبُ هذه الاختيارات -خصوصًا- في الـتراكيب اللغوية، حتى ولو كانت تراكيب عادية وطبيعية جدًا في اللغة، ذلك لأن عقل الإنسـان الـذي يتقنُ لغـتين؛ يعتـادُ على ترجمة هذه التراكيب إلى مكافئٍ عربيّ لها دون تفكير، فتأتي بصيغة حرفية جدًا دون إدراكٍ ولا إحساسٍ منه، وهذه آفةٌ تلزمُ -لتجاوزها- كثيرٌ من الممارسة.

8.1 معنى الكلام وأسلوبه

ربّما يجدُ المترجم نفسهُ شارد الذهن -أحيانًا- فينقلُ ما أمامه من كلماتٍ دون تفكيرٍ أو تمعُّنٍ كافٍ بمعانيهـا، إذ اعتاد كلّ مترجمٍ من تجربته في اللغة على مزاوجة كثير من الكلمات والتعابير الإنكليزيـة؛ مـع كلمـات تشـبهها بالمعنى -الحرفيّ غالبًا- باللغة العربية، ولو فقدَ تركيزهُ فقد يقفزُ إلى هذه المكافِئات الحرفية دون وعيٍ منه، فيظنُّ أنه احترفَ الترجمة سرعةً وإتقانًا[2] بينما يكون نتاجُ يديْهِ أقربُ لعمل برنامج آلي.

قد نجدُ مثالًا جيدًا في كلمة Individual الإنكليزية، التي تُحيّر المترجم الجيِّد، بينما يستسهلها المـترجم غـير المتمكن: فهي كلمةٌ لا مرادفَ لها في وَقْعِهـا ولا في معناهـا باللغـة العربيـة، ومن ثَمّ تختلـفُ ترجمتهـا -حسـبَ السياق- اختلافًا جمًا. وقد يختارُ المترجمون العرب في أغلب الأحوال ترجمة هذه الكلمـة حرفيًـا إلى "فَـرْد"، دون بذل أيّ جهدٍ إضافي بالتفكير في دلالتها، ولكن هذه ترجمة تتناسى أن كلمة "فَرْدٍ" باللغة العربية نادرة الاستخدام

1 Hatim & Munday (2004): p. 52

2 Levý (2011): p. 54

وتُعطِي انطباعًا مختلفًا عن مقابلها الإنكليزي، فلنَنْظُر إلى المثال الآتي، وهو قولٌ مأثورٌ من العالمة الأمريكية "جين غودول":

- Every **individual** matters. Every **individual** has a role to play. Every **individual** makes a difference.
    - [حرفيًا] كلّ **فردٍ** له أهميته. كلّ **فردٍ** له دور ليلعبه. كلّ **فردٍ** يصنعُ فرقًا.
    - [بتصرّف] كل **إنسانٍ** له قيمته. كلّ **إنسانٍ** له دور يؤدِّيه. كلّ **إنسانٍ** لهُ قيمة.

نُقِلَت في الترجمة الأولى الكلمات الإنكليزية واحدة تلو الأخرى إلى العربية دون تغييرٍ في ترتيبها ولا هيئتها، فكلمة individual ترجمتها الحرفيَّة "فرد"، وplay a role "يلعبُ دورًا"، وmakes a difference "يصنع فرقًا". وأما في الترجمة الثانية فقد غُيِّرَتْ الكلمات لتناسب السياق: فمن الواضح أن هذا الاقتباس لا يتحدث عن أي "فردٍ" مُحدَّد، بل هو يصف كلّ شخص يعيشُ على الأرض؛ سواء أكانَ رجلًا أو امرأة أو طفلًا ومن أي بلد أو انتماء، والمفردة المألوفة في اللسان العربي لهذا المعنى هي "الإنسان". وأما كلمتا "يصنعُ فرقًا" فهما ترجمة حرفية لتعبير تقصدُ به أن للشيء أهمية (إذ ثمَّة " فرقٌ" بين وجوده أو عدمه)، وهذه الدلالة واضحةٌ في كلمة "القيمة" أكثر من "الأهمية"، فنحنُ لا نتحدث عن "أهمية" الإنسان لغرضٍ بعينه، وإنما عن قيمة وجوده بذاته. وأخيرًا فإنَّ عبارة "يلعبُ دورًا" هي صيغة إنكليزية يقصدُ بها التشبيه بأداء دورٍ على المسرح، فاستبدلنا بكلمة "اللعب" كلمة "الأداء"،وهذه مشكلةٌ سنتناولها من جذورها فيما بعد.

8.1.1 المفاضلة والإبداع

تقودنا المقاربة بين الترجمات التي يدخل فيها التصرّف أو الحرفية (مثل "فَـرْد" و"إنسان") إلى مشكلة جوهرية من مشاكل الترجمة. إذ لا تنحصرُ معضلات ترجمة المصطلحات والتراكيب في المفردات الأكاديمية الصعبة (والتي تناولناها في الفصل السابق)، وإنَّما يصطدم المترجم -كثيرًا- بمصطلحاتٍ لها في الحياة اليومية معانٍ وإيحاءاتٌ متشابكةٌ، فتصعبُ ترجمتها سواءٌ بكلمةٍ أم بجملة كاملة. وهذه مشكلةٌ عالمية تقعُ لجميع المترجمين[3] ولها عدة حلولٌ مُتبَّعة.

الحل الأسهل في هذه الحالات هو التعريب إلى كلمة أوسعَ في معناها،[4] مثل قولنا: "حشرة" ترجمةً لكلمة "bug" (وهي كلمةٌ لا ترجمة لها، فتقصدُ بها مجموعة مُحدَّدة من أنواع الحشرات غير الطيَّارة)،[5] فيُستعاضُ عنها بكلمة "الحشرة" الأعمّ في معناها لافتقار مرادفٍ عربي لها. وتشبهُ هذه طريقة ثانية، هي لجوء

3 Baker (1992): p. 26

4 Baker (1992): p. 26

5 Merriam-Webster Dictionary. 2020. Definition Of BUG. [online] Available at: <https://www.merriam-webster.com/dictionary/bug> [Accessed 25 June 2020].

المترجم إلى كلمة أقلَّ دقَّة في معناها من الأصل،[6] مثل تعريب "relatable" إلى "مألوف" (ويقصدُ بها شيء أو تجربة يألفُها الإنسان، فيشعرُ وكأنهُ ربما مرَّ أو قد يمرُّ بما يماثلها،[7] وهو معنى دقيقٌ تستعصي ترجمته).

على أن هذه الحلول لها نقطة ضعفٍ واضحة؛ هي أنها تُضيِّعُ جُلَّ المعاني الدقيقة للكلمات التي يختارُها الأديب بعناية، فيقصدُ بكلّ كلمةٍ فكرةً واضحةً في ذهنه، على أن مفرداته الدقيقة تنمسخُ بالتعريب إلى تعابير فضفاضة، حتى تختفي منها صبغة الأديب وقلمه.[8] ولهذا يبحثُ بعض المترجمين عن حلولٍ أصعبَ منها "الإبدال ثقافيًا"، وهو أن يأتي المترجمُ بمعنى جديدٍ أقرب إلى ثقافة القارئ فيألفهُ ويفهمه، ولو أن هذا التصرّف يستلزم تصرُّفًا كبيرًا -من جهته- بالنصّ.[9]

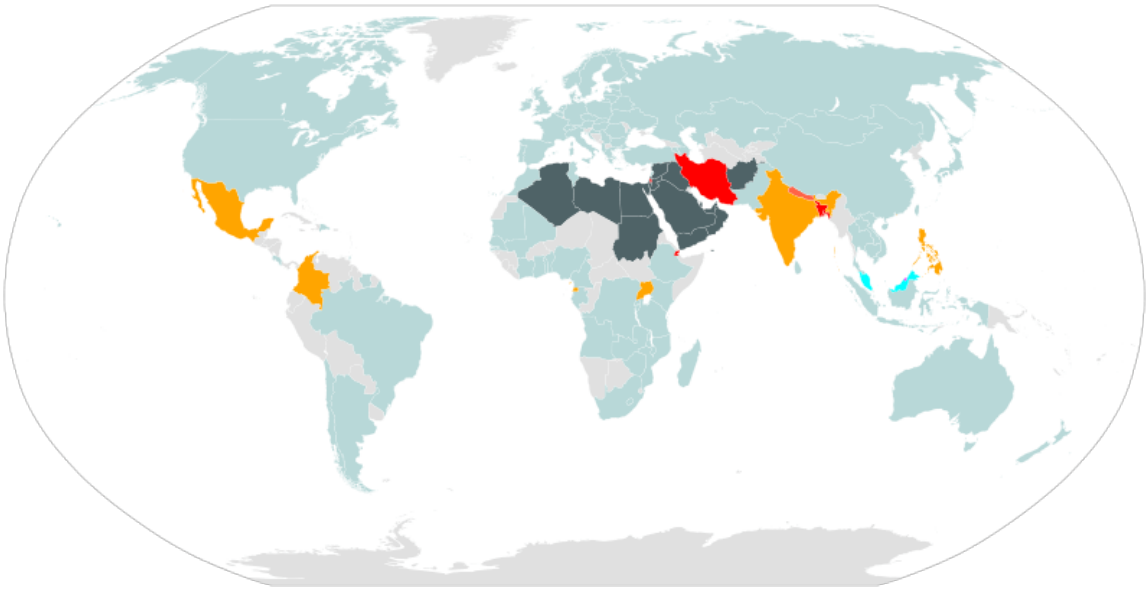

خريطة لبلدان العالم بحسب مواعيد العطلة الأسبوعية فيها. يظهرُ من الخريطة أن للعطلة الأسبوعية بُعْدًا ثقافيًا دينيًا، إذ يُخصَّص لها يوما الجمعة والسبت في كثير من البلدان الإسلامية (ومعظم البلدان العربية)، ويوما السبت والأحد في معظم البلدان المسيحية. - منشورة تحت ترخيص المشاع الإبداعي CC-BY. المصدر: ويكيميديا كومنز.

فمن الجائز -مثلًا- ترجمة كلمة "Friday" إلى يوم "الخميس" بدلًا من "الجمعة"، وذلك إن جاءت في سياق الخروج مساءً للاحتفال بنهاية الأسبوع، وهي في معظم البلاد العربية يوما الجمعة والسبت، بينما هي يوما السبت والأحد في البلاد الغربية، ممَّا يعني أن المقصود هنا باسم اليوم هو معنى يختلفُ حسب البلد والثقافة، وليس معنى "اليوم" بالمُطْلق. ومن الجائز -أيضًا- التلاعب بترجمة أصناف الطعام (مثل القمح والدخن) إن كان

6 Baker (1992): p. 28

7 Merriam-Webster Dictionary. 2020. Definition Of RELATABLE. [online] Available at: <https://www.merriam-webster.com/dictionary/relatable> [Accessed 25 June 2020].

8 كلّما تلاعب المترجم بأسلوب الترجمة أكثر، فقد النصّ الأصلي طابعه، وأصبحت رسالته أكثر عمومية وأقلَّ خصوصية، إذ يمكن لكتابين مختلفين عن الكيمياء أن يكونا متطابقين تمامًا في محتواهما إذا فقدا أسلوب الكاتب الأصليّ، ومن السّمات الرئيسة في الموازنة بين هاتين الفئتين؛ أن الترجمة الدلالية تكونُ دومًا أقلّ قيمةً من النص الأصلي، لأنها تحاولُ تقليده، وأما الترجمة النقليَّة فقد تكونُ أفضل من النص الأصلي، لأنها قادرةٌ على تغييره وتطويره (Newmark, 1991; p. 10-11).

9 Baker (1992): p. 31

ذلك ضروريًا للفهم ومن أصناف الكلام التي يرى بعض أساتذة الترجمة نفعًا في إبدالها بما هو أقرب للقارئ؛ الكلمات الدالَّة على سماتٍ ثقافية (مث: nerd أو geek بالإنكليزية العامية)، والمصطلحات التي تختلف إيحاءاتها بين الشعوب (مثل: "يساري" و"يميني"، فربَّما لا يفهمها كثير من القُرَّاء العرب)، والتراكيب الغريبة نحويًا، والتشبيهات والاستعارات، والأمثال، والأقوال الشعبية، وألاعيب الكلمات، والموسيقى والشعر.[10]

ويأتي إبراهيم زكي خورشيد في كتاب "الترجمة ومشكلاتها" بمثالٍ على الإبدال الثقافي من جملة أعطاها لطُلاّبه لترجمتها:

- Writers are passionate about the jam of fiction.
- الكُتّاب شغوفون بمُربَّى الخيال.

ويشكو إبراهيم زكي من أن على طلاّبه أن يتمعّنوا أكثر بالمعنى المقصود من هذه الجملة وليس بكلماتها، إذ كان من الأجدر بهم تعريبُها إلى: "الكُتّاب شغوفون بحُلْو الخيال" أو "بحلاوة الخيال"، فذلك أبلَغُ وأوْضَحْ.

وهذه المعادلات الثقافية مفيدةٌ للمتلقّي؛ لأنها تأتي سهلةً وطبيعية على لسانه وتُحفّز استجابة عاطفيَّة منه (عكس الترجمة الحرفية)، ولهذا فإن لها أفضلية على التعميم[11] الذي ورد أعلاه، لكنَّها تظل قليلة الدقة؛ لأنها تستعيضُ عن رمزٍ أو مصطلحٍ ثقافي، لهُ جذورٌ عريقة من ثقافة أجنبية؛ ببديلٍ عربي تختلفُ أصوله تمامًا، وهذه تضحيةٌ كبيرةٌ بقسمٍ من المعنى.

8.1.2 حتمية التضحيات

"ليس من المستطاع ولا من المرغوب أن ينقل المترجم كُلَّ معنى لُكلّ كلمةٍ من لغةٍ إلى لغة".

— منى بيكر، في كتابها In Other Words.

تعودُ بنا هذه الحكمة الخالدة من منى بيكر إلى مسألة "المساومة" في الترجمة (من الفصل الثاني): فكل مفردةٍ في كلّ لغةٍ تغصّ بمعانٍ كثيرة كما رأينا مرارًا، وربَّما تحتفظُ مفردة عربية واحدة بمعظم هذه المعاني، وربما يحتاجُ بعضُها إلى جملةٍ أو جملٍ لتفسيرها، وما نسأله هنا هو: متى تستحقّ هذه المعاني عناء ترجمتها؟

على المترجم أن يَصُبَّ اهتمامه دومًا على نقل معنى الكلمة الجوهري؛ والذي يحتاج إليه القارئ لفهم النصّ، بينما عليه أن يُضحّي بكثيرٍ من المعاني الهامشيَّة التي يصحّ الفهم دونها،[12] بل ومن المسموح والمقبول للمترجم أن يحذف كلماتٍ وجملًا كاملة إن خمَّن أنها لا تنفعُ القُرَّاء.[13] وقد يعود في الحذف إلى أحد تبريرَيْن:

10 Newmark (1991): p. 8
11 Newmark (1991): p. 3
12 Baker (1992): p. 26
13 Baker (1992): p. 40

1. أن يختزلَ الكلامُ المحذوفُ فكرةً ثقافيةً لا تعني جمهور القُرَّاء ولا تضيفُ قيمة للنصّ بنظرهم.
2. أن ترجمة أو تفسير هذا الكلام يستوقف النصّ ويعترضُ تدفّقه فيعرقلُ القراءة[14] (ولا يعني هذا أن يكون نقل الكلام صعبًا أو مُتعِبًا للمترجم، وإنَّما المهم هو الصّعوبة على القارئ).

على سبيل المثال، تُميِّز اللغة الإنكليزية بين كلمتي "sound" (وهو أي صوتٍ من الأصوات) و"voice" (وهو الصوتُ الذي يخرج من الفم حصرًا، وخصوصًا صوت وكلام الإنسان)، والأصل أن معنى كلا هاتين الكلمتين في العربية هو "صوت"، لكن يحدثُ -أحيانًا- أن تأتي الكلمتان في سياقٍ واحد. فعنوان إحدى حلقات سلسلة "ستار ترك" الشهيرة للفضاء عنوانها: "The Sound of Her Voice"، وهي جملة ليست نادرةً جدًا في الإنكليزية، وقد يجاهدُ المترجم في البحث عن تعريب لها بالمعاجم، فيأتي بشيءٍ مثل: "صوت عقيرتها"، على أنه يكفي -تبسيطًا- أن يُقَال: "صوتها" مع إسقاط المعنى الزائد، فلو كان هذا المعنى ضروريًا في اللغة العربية لوُجِدَ فيها من المفردات ما يصفه.

ويورد محمد عناني في كتابه "فن الترجمة" مثالًا على ظاهرة التعميم التي ذكرناها أعلاه، فيتحدَّثُ عن ثلاث كلمات أجنبيَّة لها معنى واحدٌ عامٌّ بالعربيَّة هي: hides وskins وleather، وجميعها تعني جلد الحيوان.[15] وهو يستشهد هنا بجملةٍ صادفها في تقرير كان يترجمه لليونسكو:

«Some developing countries trade hides and skins for leather».

وفي هذه الجملة حيرة شديدة، لأنها تحتاج للتمييز بين ثلاث كلمات لها معان متماثلة في لساننا، ويقول محمد عناني في ذلك:

«وردت هذه العبارة في سياق نص اقتصادي وبالذات في الاقتصاد الزراعي كنت أترجمه لمنظمة الأغذية والزراعة بالأمم المتحدة، فسألت أحد الزملاء المتخصصين فشرح لي أنهم يقولون: الجلود الكبيرة والجلود الصغيرة؛ للكلمتين الأوليين، والجلود المصنعة للكلمة الثالثة. وسرَّني هذا التصرف أو التحايل لأن فيه اختصارًا للمعنى وهو "جلود الحيوانات الكبيرة" (hides) و"جلود الحيوانات الصغيرة" (skins) وتبيانًا للمعنى الكامن في كلمة leather، إذ إنها تشير إلى الجلد بعد إعداده لصناعة الأشياء الجلدية».[16]

وبهذا، تصير ترجمة الجملة:

«إنَّ بعض البلدان النامية تستبدل بالجلود الكبيرة والصَّغيرة الجلودَ المصنَّعة».

14 Baker (1992): p. 41

15 محمّد عناني (2000): ص32

16 محمّد عناني (2000): ص33

جلود للعجل في المغرب، وهي تُسمَّى بالإنكليزية "Calfskins" أو "جلود العجل الصغيرة" حرفيًا، على أن المألوف في العربية هو أن يقال لها "جلود" بغض النظر عن حجمها. - منشورة تحت ترخيص المشاع الإبداعي CC-BY. المصدر: ويكيميديا كومنز.

ولكن السؤال الذي تجاوزهُ محمد عناني هو: هل نحن بحاجة للتمييز بين هذه الكلمات الثلاث؟ في الإنكليزية ثلاث مفرداتٍ تختصّ بالجلود لأن قراء التقرير الإنكليزيِّ -المتخصّصين بالمجال- يعرفون بدقَّة مصطلحات جلـود الحيوان في لغتهم، ولذلك يرون اختلافًا (بفضل خلفيتهم الثقافية **واللغوية**) بين جلود الحيوانـات الكبـيرة، مثـل النمر أو التمساح، والصغيرة مثل الفئران والسناجب. ولكن هذا الأمر سيانٌ عند القارئ العربي لا لأنه غير مختصّ بالضرورة، وإنَّما لأن جلود الحيوانات -بكبيرها وصغيرها- لهـا اسـمٌ واحـدٌ في لغتـه؛ هـو "الجلـود"، وأمـا "الجلـود الكبيرة" و"الجلود الصغيرة" فهُمَا تركيبتان مبتدعتان لا تضيفان معنى ضـروريًا.[17] وبنـاءً على هـذا نُعـدِّلُ الجملـة نفسها إلى صيغة أوجز فنقول:

«بعض البلدان النامية تستبدلُ بالجلودِ الخام الجلودَ المصنعة».

وفي مثال من كتاب متخصّص عن تاريخ الأدب الإنكليزي:[18]

17 أُلْزِمَ الكاتب الإنكليزي بذِكْر هذين النوعين من الجلود لأن لكليهما لفظًا مُميَّزًا عن الآخر، فضلًا عن أن في جَمْع اللفظتين قوَّة بلاغية (مثل قول: "الجوامع والمساجد" بالعربية بدلًا من "المساجد" وهي الكلمة الجامعة لهما دلالياً)، وأما في العربية فإنّ أيًا من هذين التأثيرَيْن لم يقع.

18 Greenblatt (2015): p.40

> Major innovations in staging resulted principally from **continental influences** on the English artists, who accompanied the court of Charles II into exile in France.

ويمكننا هنا أن نلتزم بتقديم المعنى كاملًا للقارئ فنقول عن "continental influences" أنها "التأثيرات القارية من أوروبا" (أي من بلدان أوروبا المتّصلة برًا بها، والتي يُسْتَثنَى منها هنا الكتاب الإنكليز لأنهم يسكنون الجزر البريطانية)، لكننا نبتدع في ذلك مصطلحًا جديدًا يجهله القارئ العربي ويدخله في حيرة مريرة، يمكن تجاوزها إن تغاضينا عن شيءٍ من الأمانة وحوَّلنا المصطلح إلى "التأثير الفرنسي"؛ وهو المعنى المقصود غالبًا، أو "التأثير الأوروبي" التزامًا بعموميَّة المصطلح الأصلي.

وكما يقول "بيتر نيومارك"، فإنَّ الترجمة الجيّدة (مثلها في ذلك مثل الكتابة الجيّدة) تسيرُ على نهج **الإيجاز والاختصار**، فالفقرة التي تُفسّر الفكرة أبلغُ من الفقرتين، والكلمة أبلغُ من الكلمتين إذا لم يختلفا في الفائدة والمعلومة.[19] وهذا ما عبرت عنه القاعدة العربية القديمة: "البلاغةُ الإيجاز".

8.2 حذف وزيادة

يقول الباحث "نيومارك" -أيضًا- أن العامل الأهمّ في الإتقان بالترجمة هو أن تؤدّي غرضها الضروري. فلنأخُذ -مثلًا- جملة: "يتكون الماء من الهيدروجين والأكسجين"، فهدف هذه الجملة -كما يبدو- هو إيصال معلومة؛ وليس إيصال جمال أو بديع لغوي كما في الشعر وغيره، وبناءً عليه فليست كلّ عناصرها ضرورية، إذ لنا أن نستعيضَ -مثلًا- عن كلمة "يتكون" فيها ببدائل كثيرة دون أن يُخِلَّ ذلك بمقصد الجملة، منها: "يتركب" أو "يتألف" أو "يحتوي" وغير ذلك.[20] وقد تعجزُ الترجمة عن نقلِ معنى الكلام غير الضروري؛ أو قد تتجنَّبهُ عمدًا في أحيانٍ كثيرة.

قد تقول فتاة بالفرنسية حين دخولها إلى المنزل: "Je suis arrivee"، وهي جملة بسيطة تعني: "وَصَلْتُ"، لكن هذه الجملة تُخْبِرُنا كذلك -بالفرنسية- أن الذي وصل هو امرأة، لأن تصريف الفعل مؤنَث. ويضيعُ هذا المعنى في الترجمة العربية. فهل هو معنى ضروري للترجمة؟[21]

تختلفُ عناصر الصرف والنحو اختلافًا جمًا بين اللغات، وهذه مشكلةٌ تبدو جذورها لغوية، لكنَّها جزءٌ من هُويَة الأمم وميولها. ومن أمثلة ذلك: العدد (كما رأينا في الفصل الأول) فالعربيَّة واحدة من لغاتٍ نادرةٍ تميّز في المعدود بين المثنّى وما زاد عن اثنين (وهي سمةٌ سقطت في صيغ الأفعال عن اللهجات العامية)، بل إن بعض اللغات النادرة[22] تُميّز بين المثنّى والثلاثة وما زاد عليهما.[23] وبعض اللغات لا تلزمُ العدّ أصلًا مثل: الصينية واليابانية، فلك أن تقول أن لك "أخ" دون أن تحدّد ما لو كان أخًا أم أخوين أم إخوة. ولنا أن نستنتج من هذا

19 Newmark (1991): p. 28

20 Newmark (1991): p. 2

21 Newmark (1991): p. 28

22 منها لغة فيجي

23 Baker (1992): p. 88

الاختلاف أمرًا مهمًا، وهو أن من يتحدَّثون لغةً ليس فيها تصريفٌ للعدد **لا يكترثون** -عادةً- بمعرفة عدد الأشياء؛ إلا إن كان ضروريًا في سياقه.

ليس من السهل على العربي تقبّل هذه الفكرة الغريبة؛ لأنه معتادٌ على تصريف الكلمات مفردًا أو مثنى أو جماعة. لكن يمكننا القول -من جهةٍ أخرى- أن العربيَّ لا يُهِمُّه أن يعرفَ في تصريف الفعل إن كان المقصود به ثلاثة أم أربعة أشخاص؛ فكلاهما "جماعة" (أو "أشخاص") في لغته، وهذا اختلافٌ بين لغتنا وبين لغة فيجي التي فيها مُثنَّى ومُثلَّث؛ وهو يُوضّح حدود اهتمام القارئ العربي. وفي هذه الحالة، لا يجب أن نستغرب من أن الصيني لا يهتمُّ لأن يعرف إن كان عدد الأشخاص المقصودين واحدًا أم اثنين أم أكثر؛ إن لم يتطلَّب السياق ذلك، مثلما أن الإنكليزي لا يهمّه أن يعرف إن كان المقصود اثنين أم ثلاثة.

إذًا، ما تُهْمِلُهُ قواعد الصرف في اللغة قد يكون نتيجةً لا سببًا. فالعدد هنا هو خاصية من خصائص البناء الصرفي والنحوي في اللغة،[24] وعلى المترجم أن يُفرِّق بين ما يقالُ إلزامًا في اللغة لأن قواعدها تفرضهُ (مثل العدد)، وما يختار الكاتب قوله بمشيئته: لأن الأولى هي سمةٌ لغويةٌ يسهلُ التغاضي عنها؛ وأما الثانية فهي أساس كُلّ ترجمة.

تختلفُ درجة التفصيل المعجمي في كل مجال بين اللغات، مثلما مرَّ علينا من كلام الجاحظ؛ الذي يرى صعوبة الترجمة من لغةٍ أجنبية في موضوعٍ غير مطروق، فيقول:

> «وكلما كان الباب من العلم أعسر وأضيق، والعلماء به أقل، كان أشد على المترجم، وأجدر أن يخطئ فيه»

ونرى ذلك في كثير من المصطلحات الحداثية التي تحرصُ اللغة الإنكليزية على الدقّة والتحديد في معانيها، إذ إن "الهيئة" غير "اللجنة" و"اللجنة" غير "المؤسسة" و"المؤسسة" غير "الدائرة"، وأما الكلمات العربية التي تقابلها فقد تحملُ معانٍ فضفاضةً غير واضحة (وتُسمَّى هذه: "المظلاّت الدلالية") فتميلُ إلى قلَّة التحديد وزيادة المقاصد المحتملة، وذلك أنها اقتبست هذه المصطلحات بالنقل فجاءت مُجرَّدة من الأفكار الثقافية التي وراءها.[25] ومن الحريّ بالمُعرِّب أن يُهْمِلَ هذه التراكيب الإنكليزية المتيمة بالدقَّة؛ إن لم يرَ ضرورةً لها، فهناك سببٌ لأن تصريف العربية مختلفٌ عن تصريف اللغات الأوروبية؛ وما يهتمّ المؤلف الأجنبي بتحديده ليس مهمًا دومًا للقارئ العربي.[26]

تميل اللغة الإنكليزية إلى أن تَصِفَ الأفعال بأسلوب غير مألوف بالعربية، فهو وصفٌ يَفْرِضُ على المتكلّم تمييز فرصة "حدوث الأشياء" أو "عدم حدوثها" وهو ما يُسمَّى في علم اللغة: Modality،[27] فيقول إن هذا الفعل:

- أكيد: certainly, definitely

24 Baker (1992): p. 89-90

25 محمّد عناني (2005): ص32

26 Baker (1992): p. 90

27 Munday (2008): p. 91

- راجح: probably
- محتمل: likely, maybe
- ممكن: possibly, potentially
- مستبعد: unlikely
- مستحيل: impossibly

وتدلّ درجات التفرقة الكثيرة هذه على تحرّز الشعب الإنكليزي من الجزم بالأمور، وعلى اهتمامه بالتدرج بين كلمتي "الأكيد" و"المستحيل". وقد لا يتّفق هذا تمامًا مع ما جرت عليه العادة في التعبير العربيّ، فهو لا يستوجب مثل هذه الدقة وقد يتساهل المُتحدِّثون فيه بالتعظيم من الأشياء والإكثار من الألفاظ الجازمة والحاسمة، ولنا -لذلك- أن ننصحَ بإسقاط بعض هذه الكلمات أو معظمها في الترجمة،[28] فهي لا -غالبًا- تهمّ القارئ العربي؛ مثلما أن التفصيل في وصف المفرد والمثنى والجمع لا يعني القارئ الآسيوي في شيء.[29]

يمكن أن يمتدَّ الحذف والأقلمة إلى أيّ مكون في الكلام إن لم يلزم، فمن مكوّنات اللغة التي يغفلُ المترجم عن إسقاطها في العربية الضمائر، وهي تكثرُ في اللغة الإنكليزية لأن أفعالها لا تعبّر عن جنس وعدد الفاعل،[30] فيُقَالُ "I went home" لأن ضمير الفاعل لا يتّضح بالإنكليزية إلا إن جاء مستقلًا، وترجمتها "ذهبتُ إلى المنزل" (وليس: "أنا ذهبتُ إلى المنزل")، لأن ضمير المفرد المتكلّم مُقدَّر على التاء في "ذهبتُ".[31]

تتطلّب الترجمة -إلزامًا، لا اختيارًا- محاكاة[32] للنصّ الأصلي إلى ثقافة القارئ، وقد تضيعُ في ذلك بعض التفاصيل "المهمَّة" في ثقافة أخرى على صعيد المعنى والمفردات. فليس من الضروري -على سبيل المثال- ترجمة أسماء الأحزاب السياسية في البلدان الأخرى أو الإشارات الضمنيَّة إليها؛ إلا إذا كانت جوهريَّة للفهم، فقارئ الترجمة لن يعرفها في معظم الحالات،[33] ولو قال شخصٌ في رواية "إن جاري ديمقراطيٌّ جدًا" (أي يشبهُ في آرائه الحزب الديمقراطي) فمن المستبعد جدًا أن يفهم القارئ العربي معنى ذلك أو يستنتج شيئًا مفيدًا منه. ومن أمثلة الزيادات الثقافية التمييز بين "المنزل" و"الشقة" أو "الغرفة" في مُجمَّع سكني فيُقَال: "ذهبتُ إلى شقّتي" أو "عدتُ إلى غرفتي"، لكن الناطق العربي قد يُفضِّلُ أن يقول "عدتُ إلى منزلي" لأن المعتاد هو أن يكون "المنزل" شقة.

28 وهذا تعميم على الترجمة بعمومها، وقد لا ينطبق في كثير من السياقات التي تستدعي الدقة في الوصف، مثل الكتب العلمية والوثائق القانونية وغير ذلك.

29 Baker (1992): p. 88

30 Baker (1992): p. 94

31 Baker (1992): p. 127

32 Adaptation

33 Nord (1991): p. 29

والحالة المعاكسة للحذف (أي الأمثلة السابقة) هي الزيادة، أي أن تجبرك اللغة العربية على إضافة تركيب نحويّ غير موجودٍ باللغة الإنكليزية، مثل التذكير والتأنيث ومُسمَّيات الأقارب، ومثال على ذلك من رواية North and South الشهيرة للكاتبة "إليزابيث غاسكيل":

- "With my aunt," replied Margaret, turning towards Mrs. Shaw.
- "My niece will reside with me in Harley Street.

ولا سبيل هنا لمعرفة ما إذا كان المقصود "عمَّة" أم "خالة" و"ابنة أخ" أم "ابنة أخت" -لسوء الحظّ- إلا بقراءة باقي النص حتى يتوثَّق المترجم من هوية الشخصية المقصودة. والدِّقة في الألفاظ أفضل دومًا، لكن من المُبرَّر (وربما من الحكمة) أن يختار المترجم -هنا- عشوائيًا بين كلمة "عمَّة" أو "خالة"، وذلك لأن النصَّ الإنكليزي لم يُعنَ بالتفريق بينهما، ممَّا يعني أن اختلاف هذين اللَّفظَين ليس مهمًا في هذه الرواية ولا في اللغة التي كُتِبَت بها؛ ومن ثَمّ يجوزُ التغاضي عن فروقاتها.

وتسهل الزيادة والاستعاضة عن أي تراكيب نحوية ناقصة في اللغة بإضافة مفردات إضافيَّة إليها، فمن ذلك جملة: "**This word is** translatable"؛ وفيها تصريفٌ ناقصٌ من اللغة العربية، لكننا نعوّضه بزيادة مفردةٍ فنقول: "**ترجمة** هذه المفردة **ممكنة**"، ولو أن في هذا تصريحًا عن معنى زائدٍ لأن تحويل لاحقةٍ نحوية (-able) من الإنكليزية إلى كلمة عربية قائمةٍ بذاتها ("ممكنة") قد يضيفُ توكيدًا لم يقصده الكاتب الإنكليزي.[34] ويأتي علينا التساهل بالحذف والزيادة بمشكلة أخرى: فبما أن المترجم هو من يُقرِّر أي معنى يُسْقِطُ وأيّ معنى يَصُون، فهل يَجِب عليه أن ينقل المعنى الواضح للنصّ، أم المعنى الذي يفهمهُ بناءً على استيعابه وتحليله وخبرته باللغة؟ وسنعودُ للإجابة عن هذه المعضلة لاحقًا.[35]

8.3 التصاحب اللفظي

لو صادفت (في رواية رومنسية صفراء، ربما) جملةً تقول: "وقعت فتاة وسيمة في حب فتى جميل"، فقد تشعر بمشكلة فيها ولو لم تستطع وصف هذه المشكلة ضمن إطار قواعد اللغة، فهي صحيحةٌ نحوًا وصرفًا ودلالةً (أي في ثلاثة من أقسام علم اللسانيات الخمسة)؛ على أنها تفشلُ في ما يسمى "التواصل الخطابي" أو تحليل الخطاب. فكلمتا "الجمال" و"الوسامة" تكادان تترادفان في المعنى، لكنهما تأتيان -عادةً- مع الجنس الأنثوي للفظ الأول والذكوري للثاني،[36] وتُسمَّى هذه الظاهرة "الضَّميمة" أو "التصاحب اللفظي"، ولها أهميةٌ كبيرةٌ في شتى تطبيقات اللغة؛ بما فيها الترجمة.

تُسمَّى -على سبيل المثال- المطاعم المُتخصِّصة ببيع الوجبات السريعة بالإنكليزية: "Fast food outlets"، أي -حرفيًا-: "محلات الطعام السريع". ولمعنى المقصود هنا هو "السرعة" في إعداد الطعام، ولذا قد يبدو من

34 Baker (1992): p. 87

35 Newmark (1991): p. 28

36 Hatim & Munday (2004): p. 249

المنطقي أننا نستطيعُ استبدال كلمة "fast" بكلماتٍ شبيهة بها بدون إخلالٍ بالمعنى، فقد نقول: "Quick food" أو "Rapid food"، ولكن الناطق بالإنكليزية -كلغة أم- يَعْرِف أن هذه التراكيب غير صحيحة، مع أنها تخلو من أيّ خطأ نحوي أو دلالي، فالسَّبب الوحيد في خطئها هو أن **العُرْف السائد** يقتضي الحديث عن "المأكولات السريعة" بكلمة "fast" دونًا عن غيرها، وبالتالي فإن كلمتي "fast food" متصاحبتان لفظًا.

لو نظرنا إلى اللغة بعمومها، فسوف نجد أن أساس كلُّ لغةٍ هو كلمات نُرتِّبُها في جمل مختلفة: فلنا أن نمزج هذه الكلمات ونُركّبها بجملٍ لا معدودة لوصفِ معانٍ وأفكارٍ معدودة، على أننا -فعليًا- لا نصوغ كلامنا بحُريَّة مطلقة؛ بل نُكرِّرُ عددًا محدودًا من تسلسلات الكلمات والتراكيب المألوفة. وقد تسمحُ لنا اللغة بابتداع تراكيب جديدةٍ كثيرةٍ تدلّ على المعاني التي نريدها بدقَّة تامة، إلا أن التراكيب غير المألوفة تصبح ركيكة بسهولة؛ لأن لها وقعًا مزعجًا ومخالفًا للسليقة، ومن أكثر المشكلات عند المترجمين المبتدئين؛ عجزُهُمْ عن إدراكِ وقعِ ترجمتهم الركيكة في نفس القارئ أو المستمع، وهي مشكلة يواجهونها كثيرًا مع الضميمة.

فالضميمة -إذًا- ليست مجرّد كلمتين صدف أنهما جاءتا معًا، بل هما كلمتان قصد المؤلّف والكاتب أن يأتيا معًا لأن لتصاحبهما وقعًا ومعنى خاصًا في نفوس قُرَّائه. ولهذا السبب، وربما يجدُ المترجم نفسه في حيرة بين أمرين أمام ترجمة الضَّميمة: فإمَّا أن يستعيضَ عنها بضميمةٍ عربية يعرفُها القارئ العربي وتثير وقعًا قريبًا في نفسه؛ ولو أخلَّت بشيءٍ من المعنى، أو أن يستعيض عنها بضميمةٍ ركيكةٍ في وقعها ودقيقة بمعناها. ويتعارضُ هذان الأمران -غالبًا- لأن الضمائم العربية غيرُ الإنكليزية، ونرى مثالًا في جملة: "There's a good law and a bad law"، فترجمتها الحرفيَّة هي: "ثمَّة قانون جيّد وقانون سيّئ"، على أن ترجمتها إلى ضميمة عربية مألوفة سوف تكون: "ثمَّة قانون عادلٌ وقانون غير عادل"؛ والجملتان تدلّان على معنى قريب أو متماثل، لكن الأولى اقتبست الضميمة الأجنبية والثانية جاءت عربية.[37]

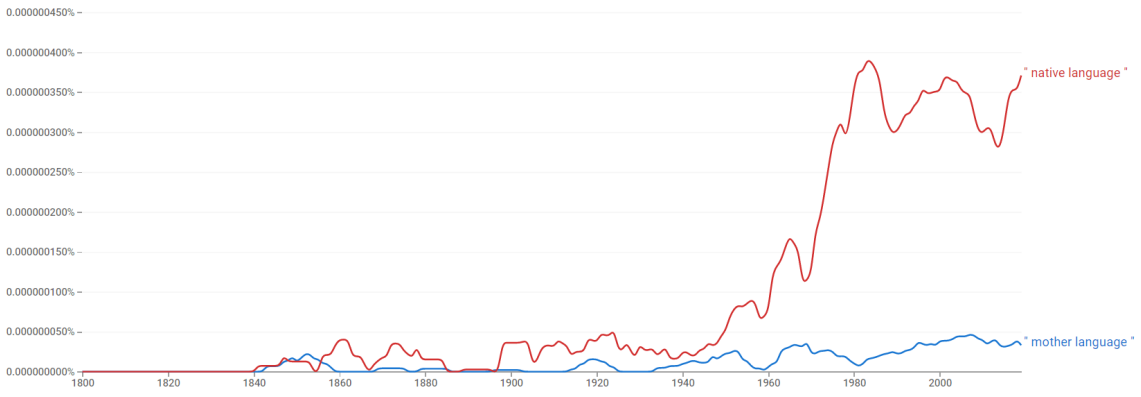

موازنةٌ تاريخية لكثرة استعمال كلمتي "native language" موازنةً مع "mother language"، والتي تظهرُ منها غلبة الأولى على الثانية (الرسم مستخرجٌ من قاعدة بيانات "كتب غوغل") - منشورة تحت ترخيص المشاع الإبداعي CC-BY.

المصدر: Google Books Ngram Viewer.

37 Baker (1992): p. 56

وتكثرُ الأخطاء في ترجمة التصاحبات اللفظية،[38] وخصوصًا إذا كان المترجم قليل الاطّلاع في اللغة التي ينقلُ إليها فمثلًا: من الأسئلة المعتادة التي يسألها من يتعرف إلى شخص أجنبي سؤاله عن لغته بقوله: "What is your **native language?**"، ويكثرُ أن تترجمَ هذه الضميمة إلى العربية فيُقَال: "ما هي **لغتك الأصلية**؟". قد يبدو معنى هذه الجملة واضحًا، لكنها غريبة لأن جملة "اللغة الأصلية" جاءت مكان اللفظ المألوف في العربية وهو "اللغة الأم" وضميمة "اللغة الأصلية" صحيحة نحوًا ودلالةً، لكنها تُخَالف العُرْف السائد.

وتتّضح مشكلة الركاكة بالضميمة في ترجمة المبتدئين من العربية إلى الإنكليزية، إذ قد يلمسُ المترجم المختصّ الركاكة بالعربية لأنها لغته الأم التي يعي دقائقها وتفاصيلها، لكن الإلمام بلغة -بهذا القدرِ- ليس ممكنًا إلا عندما يستخدمها المرء في حياته اليومية لسنين: والسبب هو أن استعمالنا للغة -كما سلف- لا يقتصرُ على وصف المعاني الصحيحة؛ وإنَّما على اختيار الكلمات الصحيحة في وصف هذه المعاني، وذلك بناءً على خبرة طويلة تراكمية. ونعودُ هنا إلى المثال السابق؛ فنلاحظُ أن من يترجمُ من العربية كثيرًا ما يقول عن اللغة الأم "mother language"؛ مع أن ترجمتها الصحيحة إلى الإنكليزية هي إما "mother tongue" أو "native language"، فالأخيرتان ضميمتان مألوفتان للمتحدث بالإنكليزية؛ والأولى نادرة (كما يظهر في الرسوم البيانية)، رغم تساويهم جميعًا في المعنى.

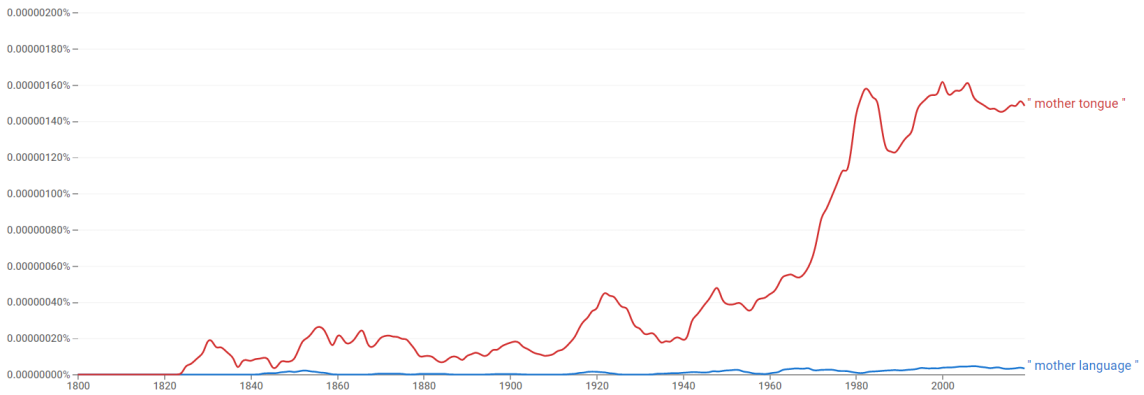

موازنةٌ تاريخية لكثرة استعمال كلمتي "mother tongue" موازنةً مع "mother language" (الرسم مستخرجٌ من قاعدة بيانات "كتب غوغل") - منشورة تحت ترخيص المشاع الإبداعي CC-BY. المصدر: Google Books Ngram Viewer.

كما قد تتغير معاني بعض الكلمات جذريًا بحسبِ تصاحبها اللفظيّ دون أن يعي المترجم ذلك، فعليه أن يحرصَ على مراجعتها والتدقيق فيها، مثال ذلك أن كلمة dry (ومعناها المعتاد "جافّ" أي "ليس فيه ماء") يتغير معناها تمامًا إن جُمِعَت مع لفظٍ آخر فيُقَال:[39]

- Dry voice: صوتٌ بارد (خالٍ من المشاعر)

38 Hatim & Munday (2004): p. 250

39 Baker (1992): p. 53

- Dry country: بلدٌ يحظرُ بيع الخمور
- Dry run: اختبارٌ للأخطاء أو المشاكل

من الأصحّ -عمومًا- ألا يكتبَ المترجم بأسلوب لا يألفهُ قُرَّاء اللغة، إن لم يقصِد بذلك غايةً واضحة، فالتراكيب الجديدة أو غير المعتادة تلفتُ النظر وتُعَطِّل تدفق النصّ، بل وقد تضيفُ هذه العرقلة وقعًا جديدًا في الترجمة لم يُرِدْه المؤلف فليس من الأمانة زيادته.[40] ولو احتجتَ للتأكد من استعمالك لكلمتين معًا بتصاحبهما الصحيح أو للتوثّق من معنى ضميمةٍ، فلكَ أن تراجعَ معاجم إنكليزية مُتخصِّصة بالتصاحبات اللفظية، ومُرتَّبة بحسبِ ما يتصاحبُ مع كُلّ مفردةٍ في اللغة، وهي أدوات مفيدة جدًا للكاتب والمترجم.[41]

8.4 الاستعارة

لعلَّك سمعت في فلم إنكليزي جملة تقول: إن عمل كذا مثل "تناول قطعةٍ من الحلوى" أو "خطفِ حلوى من طفل"، وهذا نوعٌ من المجاز أو الاستعارات المعروفة، ومعناها بالأساس أن هذا "أمرٌ يسير" أو "سهل المنال"، لكن الأدباء وكُتَّاب المسرح والسينما يحبون التفنّن بهذه الأمثال (وهو ما يُسمَّى إحياء "المجاز الميّت")،[42] ومن أمثلتها قول ألفريد هتشكوك:

- For me, the cinema is not a slice of life, but a piece of cake.
- حرفيًا: بالنسبة لي، السينما ليست قطعةً من الحياة [لصعوبة الانخراط بها] بل قطعة من الكعك [لسهولتها].

وهذه الأقوال عسيرة لأن وقع الاستعارة بالعربية يأتي غريبًا إن تُرْجِمَت بمعناها الحرفي، فعلى المترجم أن يختار بين: 1. ترجمتها حرفيًا، أو 2. الاستعاضة عنها بمثلٍ عربيّ قريبٍ في معناه،[43] أو 3. الإبداع في تعريبها (مثلما أبدَعَ الكاتبُ في سبكها). الطريقة الأولى ظاهرةٌ أعلاه، والثانية غير مُحبَّذة لأنها تذهبُ بجمال الاستعارة وتأتي بما ليس لهُ صلةٌ بالأصل، والثالثة قد تكون الأنسب و-كذلك- الأصعب في تطبيقها. وفيما يأتي أمثلةٌ متواضعةٌ على الطريقة الثالثة- والتي فيها دومًا مجال للإبداع من المترجم:

- السينما بنظري مثل طريقٍ مُعبَّدٍ لا طريقٍ وعر.
- السينما بنظري ليست طريقًا مُعبَّدًا بالحصى وإنما بالحلوى.

40 Hatim & Munday (2004): p. 60

41 Oxford Collocations Dictionary، وهو متوفر إلكترونيًا بالمجّان.

42 محمد عناني (2000): ص120

43 محمد عناني (2000): ص120

يرى بعض أساتذة الترجمة أن من الجائز نقل الاستعارات والتشبيهات بصورتها الحرفية؛ إن كان النصّ المعنيُّ أدبيًا أو شعريًا أو جماليًا في طابعه، وأما لو كان نصًا علميًا أو معرفيًا فإنَّ الأرجح هو ترجمة الاستعارة إلى بديلٍ متعارفٍ عليه في لغة القارئ، وهو معيارٌ يمكن الاحتكام إليه في الاختيار من طرف الترجمة أعلاه.[44]

8.5 الإحالة[45]

بطلُ فلم "شْريك" (Shrek، صدر سنة 2001) هو غول مرعبٌ يخشاهُ الجميع؛ يرافقهُ حمارٌ قصيرٌ ومحطُّ سخريةٍ في مهمَّة لإنقاذ أميرة حبسها تنينٌ في قلعته، وتنتمي قصة هذا الفلم إلى فئة تُسمَّى "المحاكاة الساخرة"،[46] وهي مثالٌ ممتاز على الإحالة التي تتوقَّع من القارئ (أو المشاهد؛ في هذه الحالة) اطلاعًا سابقًا على قصصٍ أو نصوص أخرى؛ "فيحالُ إليها" لفَهْم المعنى المقصود، فحبكة فلم شريك ليست مضحكةً إلا لو عرفَ المشاهد شيئًا من الحكايات المشهورة الكثيرة من العصور الوسطى؛ التي ينقذُ فيها فارسٌ مغوارٌ فتاةً أو أميرةً في مأزق،[47] ومكمن السخرية هو أن غولًا حلَّ -في هذا الفلم- مكان الفارس وحمارًا مكان فَرَسِه. ومن المستبعد جدًا وربمَّا المستحيل أن يُكْتَبَ نصّ أو قصة (سواء أكانت رواية أم مسرحية أم فلمًا أم كرتون أطفال) بمعزلٍ عن غيره، فكلّ الإنتاجات الثقافية بينها علاقاتٌ متشابكةٌ وثيقة بالإحالة والإشارة إلى بعضها.

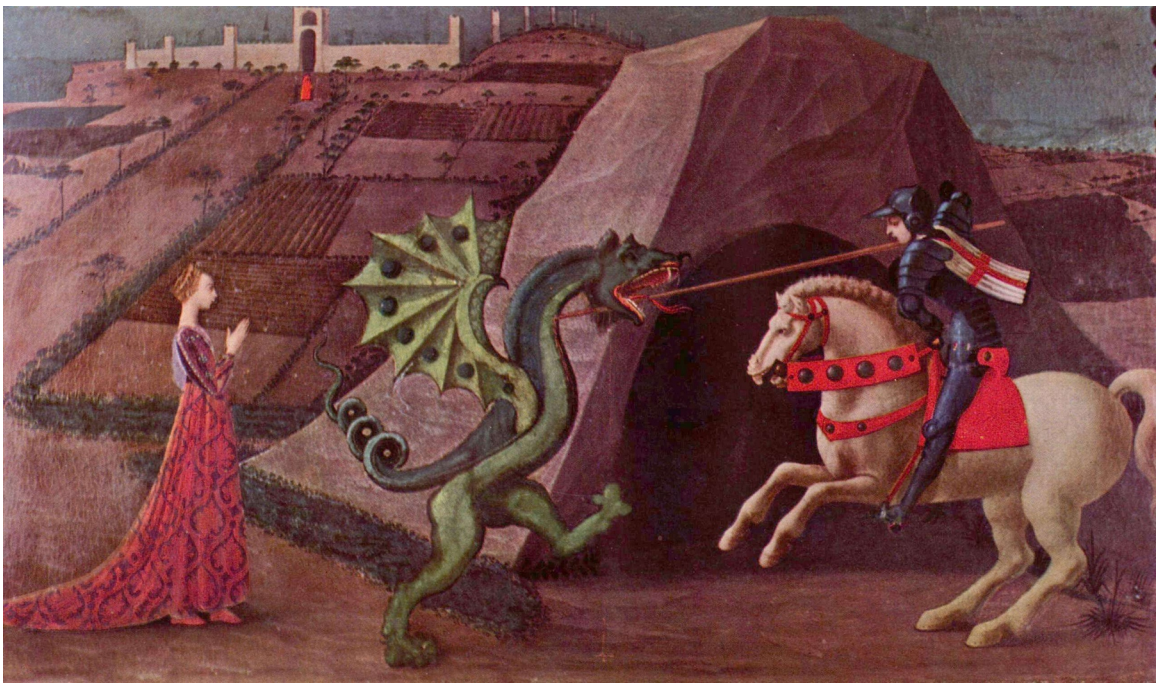

تُصوِّر هذه اللوحة مشهدًا نموذجيًا لفارس العصور الوسطى الذي يُنْقِذُ فتاة في خطر، ويحارب فيها القديس "جرجس" تنينًا يهاجم إحدى الأميرات (رُسِمَت سنة 1407م). - منشورة تحت ترخيص الملكية العامة. المصدر: ويكيميديا كومنز.

44 Munday (2008): p. 74

45 ويقالُ لها بعمومها references، وفي السياق الأدبي خصوصًا cultural references.

46 ويقال لها بالإنكليزية parody

47 "a damsel in distress"، كما يُقَال عن هذا الموقف في الأدب.

تأتي الإحالات الثقافية على صورتين، فإمَّا أن تكون: 1. اقتباسًا صرفًا من نصّ ما، مثل اقتباس آية من القرآن الكريم أو قول لشخص مشهور (وترجمة الإحالة يسيرةٌ في هذه الحالات)، أو 2. تلميحًا ضمنيًا لنصّ يألفهُ قارئ الأصل، وذلك بتقليد أسلوبه وهيئة النص الذي يريدُ الكاتب التلميح إليه (كحال المحاكاة الساخرة أعلاه)،[48] وهذه الإحالات عسيرةٌ على الترجمة جدًا، فهي تأتي خلال تلميحاتٍ مُبطَّنةٌ ربما يسهو عنها المترجم، أو لا يفهمها أساسًا إن لم يكُن لهُ اطّلاع واسعٌ على ثقافة الأصل. ثُمَّ إنه حتى لو فهمها فقد يجدُ ترجمتها شبه مستحيلة، فكيفَ يمكنهُ أن ينقل تلميحًا من الثقافة البريطانية -مثلًا- لقارئ عربي دون أن تضيع الفكرة؛ أو دون إفساد هذا التلميح الخفيّ بشرحٍ طويلٍ ومُفصَّل؟

كثيرًا ما يُحَالُ إلى قصة قابيل وهابيل في الأدب العربي (في أشعار بدر شاكر السياب مثالا) كمثالٍ على الخير والشر.

منشورة تحت ترخيص المشاع الإبداعي CC-BY. المصدر: ويكيميديا كومنز.

يفهمُ المرء ما يقرأه أو يسمعهُ بإسقاطه على معرفته واطّلاعه، فحينما يسمعُ مزْحةً يسقطُها على ما سمعهُ سابقًا من مَزحاتٍ أو ما يعرفهُ من أمورٍ؛ ليفهم مكمن الفكاهة فيها، لكن هذه المزحة لن تضحكه في شيءٍ إن

48 Hatim & Munday (2004): p. 87

كانت خارج إطار معرفته أصلًا.[49] ولذا يتعاملُ المترجم مع الإحالات الثقافية بحسب جمهوره، فلـو توقَّع أن معظم الجمهور عارفٌ بالإحالة؛ أمكنه أن يترجمها حرفيًا دون قلق، وأما لو توقَّع أن الجمهور لا يعرفُ الإحالة لخصوصيتها الثقافية فعليه أن يُفسّرها بطريقة أو بأخرى.[50] ومن الأصح أن يفترض أن القارئ أجهل منه، فإن لم يفهم المترجم الإحالة فمن الأرجح أن القارئ العربي العادي لن يفهمها كذلك، حتى ولو كانت إحالة مشهورةً بين الأدباء والمفكرين.[51]

ومن المسائل الشائكة هنا؛ إن كان من الأجدر بالمترجم أن يضيف تفسيرًا للإحالات في متن النصّ (ممَّا يعني أنه قد يتقوَّلها على لسان المؤلف، وهو غير مُحبّذ)، أو أن يكتبها في الحاشية لمن أراد الرّجوع إليها. وينصح اللغوي "ثومسون" بأن كل معلومةٍ لها ضرورةٌ في استيعاب النصّ يجبُ أن تكون في المتن، حتى ولو كانت زيادةً زادها المترجم، فهذه ضرورةٌ للحفاظ على تماسك وتتابُعِ الأفكار، وأما الحواشي فتُخصَّص للاستزادة فحسب، وينطبق ذلك على تعريب العناصر الغريبة عن القارئ كافة.[52]

8.6 الأفعال المركبة والأمثال

تمتدّ فائدة المعاجم لمراجعة معاني الأمثال والأقوال المأثورة، فربّما تقابلُ -أحيانًا- تعابير إنكليزية في سياقٍ غريبٍ لا يتوافقُ مع معناها المعتاد، فتَحَار في ترجمتها، وتكثرُ هذه المشكلة مع نوعين من التعابير الإنكليزية: هما الأفعال المُركَّبة (Phrasal verbs) والأمثال أو الأقوال الشائعة (Idioms).

الأفعال المُركّبة كثيرة في اللغة الإنكليزية وهي تتألف من فعلٍ معهُ حرف جرّ، فمن أمثلتها "Take off" و"Take on" و"Take out" و"Take down" وما شابهها، ومن الشائع أن يخطئ المترجمون المبتدئون في ترجمة هذه الأفعال؛ لأنهم لا يستوعبون أن الفعل المُركَّب -بعد ارتباطه بحرف الجرّ- يكتسبُ معنى جديدًا قد لا تكون له علاقةٌ واضحةٌ بمعناه الأصلي. فلنأخذ الفعل Put (بمعنى "يضع") وأشكال المُركّبة الآتية كمثال:

- Put on: بمعنى ارتداء الشيء، مثل: "Rami put on his shirt"، أي: "رامي ارتدى قميصه".
- Put off: بمعنى تأجيل الشيء، مثل "Sara put off her homework"، أي: "سارة أجّلت إنجاز فروضها المنزلية".
- Put out: بمعنى إطفاء الحريق، مثل: "Hala put out the fire"، أي: "أطفأت هالة الحريق".

49 Baker (1992): p. 244
50 Baker (1992): p. 245
51 Baker (1992): p. 246
52 Thomson (1982): p. 30

ومن الواضح أن معاني هذه الأفعال لم تعُد ذاتَ صلةٍ بعضها ببعض بعد تعريبها، ولذلك يقول محمّد عناني: إن المترجم إذا وجد معنى الكلمة غريبًا فهذا يعني أنها جاءت في معنى جديدٍ على المترجم،[53] وفيما يلي مثال ترفيهي من بداية عهدي بالترجمة، وهو بالأصل عنوان فصلٍ من فصول موسوعة أطفال:[54]

- Did Dinosaurs **Baby-sitt**?

- [ترجمتي الحرفية] هل كانت **تجلسُ** الديناصورات **الصغيرة**؟
- [ترجمة سليمة] هل **اعتنت** الديناصورات **بأطفالها**؟

وتأتي الأقوال المأثورة[55] -على عكس الفعل المُركَّب- واضحةً في النصّ لأنها ذات وقعٍ غريب عادة، والمهم هو أن يحرصَ المترجم على مراجعة معنى القول المأثورة في معجم، وليس أن يقفز إلى استنتاجٍ متسرّع أو تخمين لمعنى هذا القول، فمن المُرجَّح أن يخطئ تخمينه تمامًا. وفيما يلي أمثلةٌ على عددٍ من الأقوال الإنكليزية المعروفة، التي قد لا يكونُ معناها واضحًا لمن لم يألفها:

- "It's raining cats and dogs". الترجمة الحرفية: "إنَّها تمطرُ قططًا وكلابًا"، المعنى المقصود: "المطرُ غزير".
- "To feel a bit under the weather": الترجمة الحرفية: "الإحساسُ بأنك تحتَ الطقس بعض الشيء"، المعنى المقصود: "شعورٌ بالمرض".
- "To give the benefit of the doubt": الترجمة الحرفية: "إعطاءُ منفعة الشك"، المعنى المقصود: "قبول حُجَّة أو فكرةٍ دون دليلٍ قاطع على صحّتها".
- "Every cloud has a silver lining": الترجمة الحرفية: "لكلّ غيمة بطانة فضيَّة"، المعنى المقصود: "في كُلّ مصيبةٍ خَيْر".
- "Diamonds cut diamonds": الترجمة الحرفية: "الألماس يقطع الألماس"، المعنى المقصود: "لا يفل الحديد إلا الحديد".

وفي الأقوال المأثورة مذهبان: 1. إما نقل فحواها ومعناها (كالأمثلة الثلاثة الأولى أعلاه)، أو 2. تقريبها إلى قولٍ مأثورٍ معروفٍ في لغة الترجمة (كالمثالين الأخيرَيْن). ويُحذّر المترجمون المحترفون من المبالغة في البحث عن قول مأثور في الترجمة يقابلُ كلّ قول أجنبي، فهذه الأقوال ليست ضرورية دائمًا، بل غرضها جمالي في كثير

53 محمد عناني (2005): ص7

54 الاقتباس من موسوعة Ask Me لدار نشر Southwestern، وقد ترجمتُ بعضًا من أجزائها وأنا في آخر المرحلة الابتدائية، فكان عمري نحو 12 عامًا، وهذا اقتباسٌ منها (بالتأكيد فإنَّ هذه الترجمة لم تُنْشَر قطّ، ولكنها كانت درسًا جيدًا لي في التعريب).

55 يقصد بعبارة "القول المأثور" هنا أمران تُفرّق بينهما اللغة الإنكليزية، وهما القول الشعبي والمشهور بين الناس (proverb) وتكون لهُ صيغة مشهورة كأن يقال "من زرعَ حصد"، وهناك كذلك "التعبير الاصطلاحي" (idiom) وهي أي مجموعة كلمات لها -حينما تجتمعُ معًا- معنى غير معانيها المنفردة المعهودة باللغة. ولم أُفرّق بينهما هنا لأني خلتُ المعنيين متقاربين بالعربية.

من الأحيان، وأما الحاجة إلى ترجمتها فتعودُ إلى كيفية توظيفها في النصّ وإذا ما كان الكاتب مهتمًا بالإحالة إليها في باقي كتابه.[56]

ومن الطرق المتبعة في التعويض عن هذه الخصائص الجمالية للأقوال المأثورة؛ الاستعاضة عن الأمثال الإنكليزية في الأصل بأمثالٍ عربية في مواضع جديدة (أي تبديل مكان الأقوال المأثورة في النصّ، كأن يحذف أحدها من الصفحة السادسة ويضيفَ غيرهُ إلى الصفحة العاشرة)، وذلك للحفاظ على الهوية الأدبية عامةً، ولو لم يَحفْظها بدقَّتها. وهذا حلٌّ مُتَّبع في استراتيجيات الترجمة، ومنه ما طبَّقه مترجمو قصص أستريكس المُصوَّرة من الفرنسية إلى الإنكليزية.[57]

والمبالغة في التركيز على ترجمة الأمثال والتشبيهات وغيرها من جماليات النصّ؛ ليست ذاتَ شأن إلا إذا جمعها المترجمُ بإخلاص وإتقان في صياغة النثر العاديّ، فهذه كماليات تُزيّن الترجمة، وأما الجوهر والأساس فهو معنى النصّ وما يصفهُ من أحداث القصة أو هدف المقال والكتاب. والمفارقة هي أن نقل المعنى ممكنٌ في معظم الأحوال، مع بعض الشرح والتفصيل والإبداع، وأما نقل الأسلوب وجماليات اللغة فهو مُحَالٌ لاختلاف اللغات في أسلوبها وبلاغتها،[58] وهذه أمر أساسي يجدر بالمترجم أن يتعايش معهُ حين يُحوِّلُ اهتمامه من ترجمة الكلمات والتراكيب -منفردةً- إلى جملٍ كاملة ومتناسقة في اللغة.

56 Baker (1992): p. 72

57 Baker (1992): p. 78

58 Hatim & Munday (2004): p. 64-65

دورة تطوير تطبيقات الويب
باستخدام لغة PHP

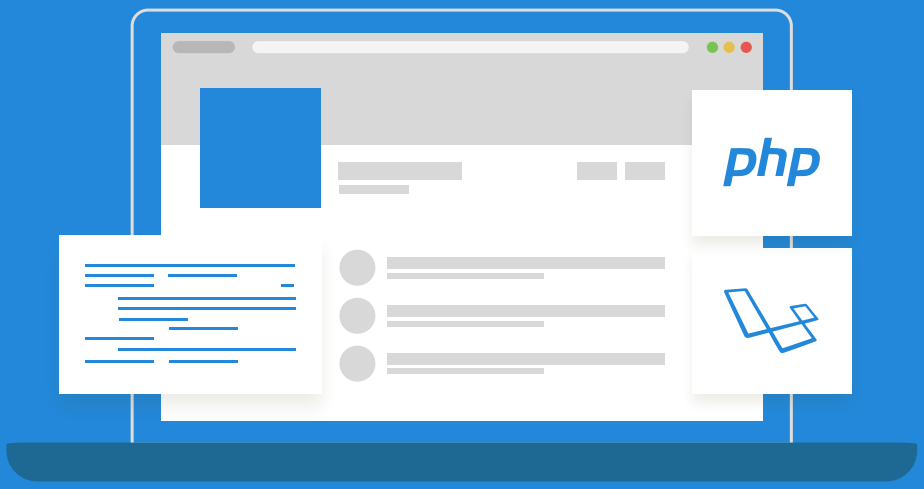

احترف تطوير النظم الخلفية وتطبيقات الويب
من الألف إلى الياء دون الحاجة لخبرة برمجية مسبقة

التحق بالدورة الآن

9. تعريب الجملة وأقلمتها

ذُكِرَ في مقدمة هذا الكتاب أن كثيرين قد يُسيئون فهمَ الترجمة فيظنون أنها تسيرُ في اتجاهٍ واحد، إذ يخالون أن كلّ ما على المترجم هو إتقان لغة أجنبية ليترجم منها إلى لغته، وأما الواقعُ فهو أن الترجمة شطران: فالأول هو إتقان لغة جديدة والقدرة على قراءتها واستيعابها بعُمْق ودقّة، وأما الشطر الثاني (الذي لا **يقـلّ أهمية** عن الأول) فهو إعادة صياغة هذا النص بلغة المترجم الأم، وهي العربية في حالتنا هذه، وهذا يعني أن المترجم هو -بدرجة أو بأخرى- كاتب أو أديب، وتستلزمُ مهنته استيعابًا دقيقًا لقواعد الكتابة واللغة والبلاغة.

ربَّما أدت حركة الترجمة والعولمة والاحتكاك باللغات الأخرى؛ إلى تغيير طريقة تفكيرنا بلغتنـا وصـياغة الكلام فيها من جملٍ وكلمات، وترى هذا التغيير بسهولة لو وازنتَ أي كتاب عربي صادر في سنة 2020 بكتاب شبيهٍ به من القرن التاسع عشر أو الثامن عشر؛ أو أيّ زمن أسبق، والفرقُ الشديد الذي ستراه بينهما في اللغة والمفـردات ليس سوى نتيجة لتراكم كثيرٍ من المؤثّرات التي تغيَّرت لغتنا (كما ورد في الفصل الخامس)، والتي تتجلَّى كثـير منها في الترجمة على مستوى الجملة.

9.1 الفهم قبل الفعل

من أول وأهمّ التزامات المترجم؛ أن لا يكتب كلامًا قبل أن يفهمه، إذ كيف يتوقَّع من القارئ أن يفهم كلامه، والمترجم نفسه يفتقر إلى فهم ما كتب؟ وقد يبدو هـذا مبـدأ بـديهيًا جـدًا، لكنـه من أكـثر المشـكلات وقوعًـا في الترجمة، حتى ولو كانت من دار نشر معروفة، أو مترجمٍ صاحب خبرة وسمعة. والسَّـببُ في شـيوع ذلـك هـو أن اطلاع المترجم ومعرفته محدودان؛ مثله في ذلك مثل أيّ شخصٍ سواه، إذ يغلب أن لا يكـون متعمقًـا بمجـالات اختصاصية كثيرة خارج مهنته، على أن الترجمة تجبره -بالضرورة- على التعامل مع نصـوصٍ من شـتى المجـالات والاختصاصات، فيقابل عددًا لا يستهانُ به من الكلمات والجمل؛ التي يعجزُ عن فهمها تمامًا، والمشكلة أن تلـك ليست حُجَّة جائزة له في الإخلال بتعريبها.

لا سبيل لتوفير الوقت في هذه السياقات الصعبة، فعلى المترجم أن يُكَرِّس جهدًا لا يستهان به للاطلاع على موضوع ترجمته واستيعابه؛ سواءٌ في معجم لفهم الكلمات الجديدة عليه، أو في مرجع علمي[1] لفهم موضوعها جملةً تفصيلًا، وقد يضطرُّ المُعرِّبُ هنا إلى استغراق وقتٍ أطول ممَّا يستغرقهُ في الترجمة ليتعمَّق في الموضوع الذي يترجمُ عنه ويفهمه، فيتبحَّرُ في علم الفلك أو الهندسة أو الأحياء أو القانون؛ حتى يشعرَ أنه مُلِمٌّ بالنصّ، كما أنه قد يجدُ ضرورة -في حالات كثيرة- لإعلام القارئ ببعضِ ما تعلَّمه خلال الحواشي والملاحظات، فلو استغرق ساعة في مراجعة الموضوع والتوسّع فيه، فمن الأولى أن يحتاج القارئ لذلك أيضًا.

وتزدادُ تداعيات هذه المشكلة سوءًا في الكتب والروايات الطويلة، ففي مثل هذه الحالات يُقدِّمُ الكاتب عبرَ النصّ أفكارًا، ومفاهيم تأسيسيَّة يبني عليها باستمرار طبقة فوق طبقة، فمثلًا: لو كان موضوعه يتعلق بنظرية فيزيائية لآينشتاين؛ فسوف يبدأ بأفكارٍ تأسيسية عن النظرية، كمجال الجاذبية والقصور الذاتي للأجسام، ومن ثَمّ سينتقلُ منها إلى نسيج الفضاء والزمان، وامتزاجهما في الزمكان، وهَلُمَّ جرًا، حتى تتَّضِحَ كل فكرةٍ في ذهن القارئ. ولو عجزَ المترجم نفسهُ عن فهم أفكار الكتاب الأساسية بعُمقٍ ووضوحٍ شديد، فقد يسيء ترجمة تسلسل أفكار المؤلِّفِ كاملةً، والنتيجة أن القارئ يفقدُ استيعابهُ من الصفحات الأولى في الكتاب ولا يستطيع أن يسترجعه أبدًا.

ويحلّ كثير من المترجمين هذه المشكلة (رغبةً منهُم بتوفير وقتهم وجهدهم) بأن ينقلوا كُلَّ ما لا يفهمونه كلمةً بكلمةٍ من اللغة الإنكليزية إلى العربية، ويقي هذا الإجراءُ المترجمَ من الاضطرار لاقتطاع أيّ جزءٍ من النص الأصلي، فيتفادى إظهار قصور فهمه أمام صاحب العمل، ويضمنُ حصوله على أجره كاملًا (إذا كانت الجهة الناشرة متساهلة بما يكفي، وهذه هي الحال غالبًا)، إلا أنه لا يعني أيَّ شيء بالنسبة للقارئ: لأن هذا الكلام الحرفيّ لن يضيف أيَّ معلومة جديدة للقارئ، ولن يعينهُ على متابعة النصّ.

وفيما يلي مثالٌ بسيط من ترجمة قصة "الأولاد السود" (The Black Boys)، وهي قصة أطفالٍ ألمانية مشهورة، وتحولت لاحقًا إلى مسلسل أنمي يعرفهُ بعض المشاهدين العرب باسم "عهد الأصدقاء"، وأقتبسُ من ترجمتها العربية الحوار الآتي من لقاء روميو بصديقه ألفريدو:

- "مرحبًا بك. أنا ألفريدو. من أنت؟".
- "أنا جوليان. من **أين أنتَ قادم** يا ألفريدو؟".
- "**أنا قادمٌ** من وادي ميسوكو. وماذا عنك؟".

1 ليس من الضروري دومًا الرجوع إلى مصدر متخصّص إن كان الهدف استيعاب الفكرة العامة أو الاطلاع على موضوع علمي يلزم استيعابه قبل الترجمة، فيكفي عادة الرجوع إلى مصدر في متناول اليد على الإنترنت مثلًا (كموسوعة ويكيبيديا).

لم يفهم المترجم المبتدئ هنا معنى جملة أساسيَّة هي "Where do you come from"[2] (ومعناها: "من أي بلد أنت؟") أو أن كتابته العربية ضعيفةٌ جدًا فلم يُفْلِح إلا بنقل الجملة إلى اللغة العربية كلمة بكلمة، فصارَ وقعها وكأن السؤال هو: "من أين أتيت إلى هنا؟" لا "من أي بلدٍ أصلك؟". وهذا مثالٌ متألقٌ على الترجمة الحرفية التي يتجنَّبُ فيها المترجم إرهاقَ نفسه باستيعاب المعنى الحقيقي الكامن وراء الكلام، فيأتي بترجمة آلية لا معنى لها.

والنقطة الجوهرية هنا هي: أن الترجمة لا تعني نقلَ نصّ من لغة إلى أخرى، فهذا لا يفي بأيّ غرض، ولكن الترجمة الحقيقية هي في **فهم المعنى** ثُمَّ **إعادة صياغته** للقارئ بلغته الأمّ، بحيثُ تصله الرسالة بأسلوب المترجم، وليس بأسلوبها الأصليّ. وسنعودُ لمناقشة هذه النقطة من خلال زوايا أخرى لاحقًا، وخصوصًا فيما يتعلَّقُ بتغيير الأسلوب؛ الذي قد يتردَّدُ بعض المترجمين في الإقدام عليه.

9.2 ترتيب مكونات الجملة

مما يلفتُ النظر، أن المكونات الرئيسة للجملة هي نفسها في معظم لغات العالم، وهي الفعل والفاعل والمفعول به (التي تقابلها بالإنكليزية **V**erb، و**S**ubject، و**O**bject، على الترتيب)، لكن الأهم من ذلك هو أن ترتيب هذه المكونات ليس عشوائيًا: ففي كل لغة تسلسلٌ سائدٌ لمكوّنات الجملة قد لا يتغير أبدًا (أو قد يتغيَّر في حالات مُحدَّدة معروفة)،[3] وترتيب الجملة العربية السَّائد؛ يختلفُ عنه في معظم اللغات اللاتينية، ولهذا الاختلاف أثر لا يستهانُ به في الترجمة.

تعتمد اللغة الإنكليزية على ترتيب SVO في بناء الجملة، ممَّا يعني أن كل جملة إنكليزية تبدأ دائمًا بالفاعل، ثم الفعل فالمفعول به، أما الجملة الفعلية العربية فتبدأ عادةً بالفعل، ومن ثم يكون ترتيبها الصَّحيح هو VSO. وتقبلُ اللغة العربية البدء بالفاعل (بأن تسبق الجملة الفعلية أخرى اسمية) لأنها مرنةٌ إعرابيًا،[4] على أنها ليست الحال المألوفة.

ولعلَّ البدء بالفعل أصبح يندرُ بالفعل في اللغة العربية الفُصحى بسبب تداعيات الترجمة؛ والاختلاط باللغات الأجنبية، فقد أصبح من المعتاد أن تبدأ بالفاعل كثير من الجمل العربية المترجمة أو الحداثية، على أن المترجم لو انجرف مع هذا التيار فإنه يؤثر على لغته وكيفية استخدامها بين الناس،[5] إذ إن الترتيب الجملة وقعًا كبيرًا في النحو والخطاب، وهو موضوع نالَ بحثًا معمقًا في دراسات الترجمة.[6]

2 لعلَّ المترجم نقل النص عن لغته الأصلية الألمانية، ولكن هذه الحالة لن تصنعَ فرقًا، لأن اللغة الألمانية تستعملُ نفس التعبير الإنكليزي "من أين تأتي أنت؟"، حيث يتحوَّل إلى: ?Woher kommen Sie أيضًا، نظرًا لرداءة الترجمة الشديدة، فمن المحتمل أن يكون شكلُ العبارة الأصلية ليسَ Where do you come from، وإنما ?Where are you coming from في هذه الحالة، تكونُ الترجمة العربية الصحيحة هي: "من أين جئت/أتيت؟" (بصيغة الماضي)، بمعنى ما هو الطريق أو المكان الذي أتيتَ منه إلى هنا؟

3 Baker (1992): p. 110

4 Baker (1992): p. 110

5 يجنح معظم المترجمين إلى تقديم ترتيب مكوّنات الجملة باللغة المنقول إليها وليس لغة المصدر (Baker, 1992; p. 171).

6 Baker (1992): p. 166

وعلى الرغم من مرونة اللغة العربية إجمالًا، إلا أن المترجمين قد ينقلون إليها (تأثُّرًا باللغة التي يترجمون عنا) تراكيب ليس من الطبيعي أو المألوف استخدامها فيها بكثرة. ومن أمثلة ذلك ضمير الغائب، الذي يعتادُ الكتاب عمومًا (والصحفيون خصوصًا) في اللغة الأجنبية تقديمه على صاحبه بقصد التشويق أو التغيير، فيبدؤون كثيرًا من الجمل قبل الإفصاح عمَّن يرجعُ عليه الكلام فيها، مثل الآتي:

- In **His** speech, president **Barack Obama** promised to raise the salaries.

إذ جاء هنا الضمير الذي يعودُ على "باراك أوباما" قبل صاحب الضمير، وأصبح هذا الأسلوب شائعًا في الصحافة العربية كذلك (سواء كانت مترجمةً أو مكتوبةً بالعربية أصلاً)، فيأتي على شاكلة:

- في خطابه، وعد الرئيس **باراك أوباما** بزيادة الرواتب.

وعلى الرغم من الخلاف على جواز هذا التقديم[7] فإنَّه بلا شك يخالف المألوف، وكان من الأنسب تقديم الفاعل على ضمير الغائب، أو أن نحذف الضمير كُلّه لأنه لا يضيفُ قيمةً للجملة العربية فنقول:

- وعد الرئيس **باراك أوباما** في خطابِهِ بزيادة الرواتبِ.
- وعد الرئيس **باراك أوباما** في خطابٍ بزيادة الرواتب.

9.3 أنواع الجملة الإنكليزية

تناولنا سابقًا مثال كلمة مشهور من الآية: «وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ» (سورة الحجر، الآية 22): تأتي كلمة "فأسقيناكموهُ" في هذه الآية بالمعنى التقريبي: "أنزلنا لكم [أو أسقيناكُم إياه] ماءً عذبًا"،[8] ولو درسنا إعرابها نجدُ فيها حرف العطف (الفاء) والفعل (أسقى) والضمير المتصل في محل رفع فاعل (نا الفاعلين) والضمير المتصل في محل نصب مفعول به (كُم) وضمير الغائب في محل نصب مفعول به ثانٍ (الهاء).[9] ولو تُرْجِمَت هذه الكلمة إلى أي لغةٍ لاتينية لأمست جملةً كاملة من أربع أو خمس كلمات على الأقل، لكن يجوز في اللغة العربية جمعها كلها في كلمة واحدة: وهذا لأن أنواع الجملة وتراكيبها، تختلفُ بين اللغات، ومن المهارات الضرورية في الترجمة استيعاب أنواع الجمل في كلّ لغة.

تختلفُ اللغة الإنكليزية عن العربية؛ بأن الجملة فيها مُقسَّمة إلى مجموعات من الكلمات، واسم كل مجموعة منها "clause" أو "الإسناد"، وربما من الأدقّ القول: إن "clause" يماثلُ الجملة الفعلية باللغة العربيَّة: فهو كُلّ جملةٍ فيها فعلٌ، وأما ما يُسمِّيه أهل اللغة الإنكليزية "الجملة" (sentence) فيماثلُ باللغة العربية عدة جُمَلٍ ملحقة بعضها ببعض. والقاعدة السائدة دائمًا وأبدًا في اللغة الإنكليزية هي أن كُلَّ جملةٍ تبدأ بحرفٍ

7 في "دليل السالك شرح ألفية ابن مالك" قولٌ بأن هذا التقديم "ممنوع في النثر، جائز في الشعر" (عبد الله الفوزان، 1999: ج1، ص337)، وفيه وفي مراجع مثل "النحو الوافي" تفصيلٌ بمكامن الخلاف وبالحالات التي يغلبُ أن يُجَاز فيها هذا التقديم حسب نوعه: لفظًا ورتبة (عباس حسن، 2007: ج2، ص257 فصاعدًا).

8 أحمد الشاكر (2005): ص360

9 محيي الدين الدرويش (1999): ص186

كبير (CAPITAL) وتنتهي بنقطة، **فالنقطة** علامةٌ مؤكَّدة وحاسمةٌ فيها على نهاية الجملة،[10] وترتبطُ الجملة الإنكليزية بجُمَلٍ بعدها وقبلها لتُكوِّنَ فقرة، وفي كُلِّ فقرةٍ (أي كُلِّ مجموعةٍ من السطور المتصلة) فكرةٌ واحدةٌ يعرضُها الكاتب لا تقلّ أو تزيد؛ وهذه كلّها معلوماتٌ جوهريَّة في عمل المترجم كما سنرى.

من الصعب أن نتعمَّق في شرح الجملة الإنكليزية بهذا السياق، لكن لنا أن نتطرَّق -باختصار- إلى جوانبها التي تتعلق بوظيفة المترجم. في اللغة الإنكليزية ثلاثة أنواعٍ للجملة، تختلفُ في بنائها النحوي؛ وهي الجملة البسيطة (Simple) والمُركَّبة (Compound) والمُعقَّدة (Complex).[11] وفيما يلي أمثلةٌ توضيحية على هذه الأنواع بالترتيب، وهي مقتبسةٌ من أحد فصول رواية "جزيرة الكَنْز":[12]

- [Simple] He is called Long John Silver
- [Compound] He is called Long John Silver, and has lost a leg
- [Complex] He is called Long John Silver, and has lost a leg; but that I regarded as a recommendation, since he lost it in his country's service.

ولتفسير ما في هذه الأمثلة، قد يلحظُ القارئ أن الجملة البسيطة هي جملةٌ عادية من فعل وفاعل ومفعول به، وهي أساس الكلام وأبسطه في اللغة الإنكليزية،[13] وأما النوعان الآخران ففي كُلّ منهما مزجٌ لجملتين بسيطتين معًا، لكنْ بينهما اختلافٌ واضحٌ:

- تجمعُ الجملة المُركَّبة بين جملتين بسيطتين دون تغيير شيءٍ فيهما، ما عدا أن تضعَ بينهما حرف عطفٍ[14] يجمعهما، كحال المثال الثاني ففيه جملتان قائمتان بذاتهما، ومن أمثلة حروف العطف: and, or, but وغيرها.[15]
- تمزجُ الجملة المُعقَّدة بين جملتين بسيطتين فترتبطان -معًا- ارتباطًا لازمًا، إذ لا يكتملُ معنى الواحدة منهما إلا بالأخرى، ولو فُصِلَت واحدةٌ منهما عن الأخرى فستصبح جملة غير مفهومة. فلو أخذنا شطرًا من الجملة الثالثة دون الآخر؛ لنقص المعنى، ويقع ذلك بسبب أدوات تدخلُ على الجملة فتعدِّلُ تركيبها منها: while, although, since وغيرها.[16]

10 Verspoor & Sauter(2000): p. 34

11 Verspoor & Sauter(2000): p. 35

12 مع تعديل بسيط في ترتيب الكلمات لتناسب السياق المقصود هنا وتسهيلًا للقارئ، فالجملة في الأصل: "Long John Silver, he is called".

13 Verspoor & Sauter(2000): p. 35

14 واسمه بالإنكليزية conjunction

15 Verspoor & Sauter(2000): p. 36

16 Verspoor & Sauter(2000): p. 37

وبما أن للغة الإنكليزية ثلاثة أنواعٍ من الجمل لا غير (ويضافُ إليها نوعٌ رابعٌ هو مزيجٌ بين جملة مُركَّبة وأخرى مُعقَّدة)، فإن من النافع للمترجم أن يدرسَ أسلوب ترجمة كُلّ نوعٍ من أنواعها في الظروف العامَّة؛ فالجملة البسيطة جملةٌ فعلية عادية نترجمها إلى جملةٍ اسمية أو فعلية قريبةٍ في معناها، وأما الجملة المُركَّبة فهي جملتان فعليتان أو اسميتان متواليتان، ولذا نستطيع ترجمة كُلٍّ منهما منفردةً ثم نجمعُهما بحرف عطفٍ عربي مثل الواو أو الفاء، وبذلك يبقى تركيبهما قريبًا من الأصلي الإنكليزي. لكن معضلة الترجمة العربية (كما يقول صفاء خلوصي) هي في **الجملة المعقدة**، لأنها تجلبُ إلى اللغة العربية تركيبًا نحويًا دخيلًا وغريبًا عليها، ولهذا فإن الجملة المُعقَّدة هي أصل معظم مشكلات الترجمة نحوًا،[17] ومن المهارات المتقدّمة للمترجم العربي أن يُتْقِنَ تعريبها.

جون سيلفر، من رواية جزيرة الكنز. منشورة ضمن الملكية العامة. المصدر: ويكيميديا كومنز.

17 صفاء خلوصي (1928)، ص139

لِنَعُدْ إلى المثال السابق: قد نحاولُ ترجمة الاقتباسات التي أخذناها من "جزيرة الكنز" إلى الصورة الآتية:

- اسمهُ جون سيلفر
- اسمهُ جون سيلفر، ولهُ ساق واحدة
- اسمهُ جون سيلفر، ولهُ ساق واحدة، على أنّه خسر ساقه الأخرى دفاعًا عن وطنه فرأيتُ هذه نقطةً في صالحه.

فتغدو -إذًا- الجملة الأولى جملة عربية اسمية (بدلًا من الجملة الإنكليزية البسيطة)، والثانية جملتين اسميتين جمعَ بينهما حرفُ عطفٍ (بدلًا من الجملة المُركَّبة)، ولو أننا عدلنا الثانية تعديلًا طفيفًا؛ لأن التعبير عن خسارة جزءٍ من الجسم في العربية لا يصح أن يأتي فعله بضمير المُتكلِّم، بعكس الإنكليزية (فلا نقولُ "قَطَعَ ساقهُ" بل "قُطِعَت ساقه").[18] وأما الثالثة فعرَّبناها إلى جملتين فعليَّتين وعكسنا ترتيبهما، وستتبيَّن أدناهُ الحاجة الماسَّة إلى تعديل ترتيب الجملة المُعقَّدة في حالاتٍ كثيرة أدعى من هذه.

يتعمَّد الكاتب الجيد التنويع في تراكيب الجمل وأنواعها، للتفنّن بالأسلوب ولتجنّب التكرار الممل الرتيب،[19] لكن هذه النعمة قد تنقلبُ نقمةً في الترجمة؛ لأن أنواع الجمل ليست متساويةً ومتماثلةً بين اللغات، فلا يستطيع المترجم أن ينقلَ تراكيبها وبُنَاهَا النحويةَ دون حذرٍ وتعديل، وبعضُ هذه الحالات تكونُ صعبةً جدًا لأنها تستدعي تفكيك الجملة وإعادة تركيبها جذريًا، ممَّا يقتضي من المترجم فهمًا دقيقًا لأنواع الجملة باللغتين.

9.3.1 أسلوب الخطاب

تُوثّق كثير من الدراسات -في علم الخطاب- التباين في تركيب الجمل بين اللغتين العربية والإنكليزية. وتشير هذه الدراسات إلى أن الإنكليزية تميلُ إلى تركيب جملٍ بسيطةٍ وقصيرة تيسيرًا للقراءة؛ وتفصلُ بينها بعلامات ترقيم دقيقة جدًا، بينما تعمدُ اللغة العربية إلى الإطالة في الجملة الواحدة، وصهر أفكارٍ كثيرة متتابعة فيها.[20] فمن الطبيعي أن تشغل الجملة العربية الواحدة فقرةً كاملةً، فيما تُعدُّ هذه زلّة مبتدئ للكاتب الإنكليزي. وقد يُعْزَى ذلك إلى أن علامات الترقيم جديدةٌ على اللغة العربية؛ إذ قلَّما استخدمت في تدوينها التراثي،[21]فلم تفرض ضوابط الترقيم فيها المُبَاعدة بين الجمل إلا بالفاصلة؛ فظلَّت فقراتها مُطوَّلة ومتتابعة. ولهذا الاختلاف بين اللغتين أبعادٌ كبيرةٌ قد لا يلحظها المترجمُ إن لم يكُن حسن الاطلاع على الأدب العربي.

رأينا أن اللغات تختلفُ في نحوها وتصريفها، فتعتمد كلٌّ منها على أسلوب في الكلام يتناسبُ معهما، وفي الإنكليزية سببٌ قويٌّ يجبرُ من يكتبُ فيها على أن لا يطيل في الجملة الواحدة: وهو أن اللغة الإنكليزية ليس فيها

18 يقالُ في الإنكليزية "I broke my arm"، أي: "كسرتُ يدي" بضمير المُتكلِّم، لكننا نقول بالعربية: "كُسِرَت يدي" بالفعل المبني للمجهول، وهذه من الفروق التي تتمايز بها اللغات في وصف بعض الأمور، وكان الاجتهاد هنا أن وصف "بتر الساق" بجملة اسمية (وهي: "لهُ ساقٌ واحدة") ألطفُ وأيسرُ من وصف فعل البتر "بُتِرَت ساقه".

19 صفاء خلوصي (1928)، ص 143

20 Baker (1992): p. 192

21 Baker (1992): p. 193

تصريفٌ للأفعال للجنس والعدد، ففعل "act" لهُ شكلان فقط (act أو acts) بينما لو ترجمناه إلى العربية قد يصبحُ: "يُمثِّلُ" أو "تُمثِّلُ" أو "يُمثّلان" أو "تُمثِّلان" أو "يمثِّلون" أو "يُمثِّلْنَ". ويترتَّب على نقص التصريف في اللغة الإنكليزية صعوبة التمييز بين الفاعل والمفعول به، ولهذا يفضّل أهل اللغة الإنكليزية كتابة جملٍ قصيرة منفصلة خشية الغموض اللغوي (وهو مسألةٌ سنأتي على بيانها فيما بعد).

وبسبب أهمية الوضوح والدقة من أوليات الكتابة الإنكليزية، نرى تكرارًا هائلًا للضمائر فيها للتوثّق من أن القارئ يستوعب الشخص المقصود بكلِّ فعل، ولا يَضِيعُ عليه معنى الكلام،[22] على أن هذا الأسلوب ليس ضروريًا في اللغة العربية لأن كثرة التصريف[23] تيُسّر على القارئ فهم الجملة ولو طالت وتفرَّعت، بينما يغدو تكرارُ الضمائر -في العربية- تكرارًا فارغًا لا مغزى له. وقد نرى ذلك في المثال الآتي (من رواية The Great Gatsby):

- "She didn't like it," he insisted. "She didn't have a good time."
  - [حرفيًا]: "هي لم تعجبها [حفلة الرقص]"، أصرّ هو "هي لم تحظَ بوقتٍ جيّد".
  - [بتصرّف]: قالَ مُصرًا:"لم تعجبها الحفلة ولم تستمتع بها".

على عكس اللغة الإنكليزية، يستصعبُ القارئ العربي التوقُّفَ باستمرارٍ أثناء القراءة؛ لأن تصريف الأفعال والأسماء في العربيَّة **يسمحُ بتدفّق الكلام** وبإطالة الجملة، وهذه سمةٌ من سماتِ اللغة التي يجبُ أن يستوعبها المترجم ويُحْسِنَ استعمالها، فيمكن لثلاث جمل أو أربع جملٍ إنكليزية أن تمتزج في جملة عربية واحدة (كالمثال أعلاه)، وينبغي على المترجم العربي أن يتعلم مزجها حينما يسمح السياق بذلك، إذ إن الضرورة اللغوية التي ألزمت فصلها بالإنكليزية تسقطُ حين تعريبها.

وقد يستوجب مزج الجمل -كذلك- أن يُعَاد ترتيب علامات الترقيم فيها، إذ إن للمترجم حرية تركيب الجمل وتغييرها بما يتلاءم مع احتياجات اللغة، فيمزجُ بين الجمل البسيطة ويزيلُ النقاط بينها[24] ويحذف الضمائر الزائدة ويربط الجملة مع ما بعدها بحرف عطف. ويحدث كثيرًا- لهذه الأسباب- أن يقلّ طول النص الإنكليزي حين تعريبه باحترافيةٍ وبإلمامٍ لغويّ صحيح، على أن بعض سياقات التعريب قد تستلتزم العكس، ومنها تعريب الصفات والحال.

9.3.2 الصفة والحال

يقول الروائي الشهير ستيفن كينغ: "the road to hell is paved with adverbs"، وهو تحذيرٌ للكتاب المبتدئين من الإسراف بإضافة ألفاظ "الحال" إلى كتابتهم،[25] إذ تملي مَلَكَة كثير من الكُتَّاب الجدد عليهم أن يكتبوا جملًا مُنَمَّقة بالحال مثل: "فتح شخصٌ الباب مسرعًا، ثم دخل الغرفة لاهثًا، وتوجه إلى الخزانة فزعًا" (ربّما

22 Baker (1992): p. 190
23 Baker (1992): p. 190
24 Baker (1992): p. 193
25 King (2000): p. 125

بدلًا من: "دخل الغرفة وفتح الخزانة"). لكن هؤلاء الكتاب الهواة لا يُلاَمُون تمامًا؛ لأنهم يقتدون بأصول الكتابة في اللغة الإنكليزية، وهي لغةٌ تُثْقِلُ جملها بالأحوال والصفات لتحشد كمًا هائلًا من المعلومات[26] في جملها القصيرة الكثيفة. وفيما يلي مثال متطرّف (ولو أنه حقيقيّ) اجتمعت فيه خمس عشرة صفةً في جملة واحدةٍ تتحدَّثُ عن فنون المسرح:[27]

> As broad farce surrendered to cloying melodrama, with its fitful bouts of frenzied shouting, wooden acting, and intermittent violence scenic effects, we were subjected to savage tickling, sentimental pleading, emotional blackmail, religious pandering, vehement exhortation and downright bullying.

ولعلَّك تلاحظُ في أي ترجمةٍ كم تأتي هذه الصفات والأحوال ثقيلةً على اللسان العربي؛ لأنها غير مألوفة فيه، فيحشرُها المترجمون في الكلام حشرًا ويضطرُّ القارئ لتفكيكها في ذهنه -بعضها عن بعض- إن أراد فهم النص، وهذا يجبرنا على البحث عن وسيلة لتكييف هذه السمة الصّعبة باللغة الأجنبية مع عادات الكتابة العربية. وفيما يلي أمثلةٌ واقعيَّة من عِدَّة روايات مُعرَّبة تُظْهِرُ الجمل الصعبة التي ينتجها تعريب الصفات والأحوال (وقد ميَزتُها بخطّ أسفلها، مع ملاحظة أن المقصود هنا هو الطريقة التي تظهرُ بها الصفات والأحوال الإنكليزية بعد تعريبها، ولا يعني هذا -بالضرورة- أنها تعد "صفة" لا " حالًا" بالعربية):

- كان البحر المتلألئُ يرتفع ويموج لأعلى، ويتحرك متفكّكًا إلى مستويات مسطحة صاخبة أما الشعاب المرجانية وأشجار النخيل القليلة المتشبّثة بالأجزاء المرتفعة فإنها كانت تطفو لأعلى في السماء (سيد الذباب، ص109).[28]
- وكان حين وجوده على سطح السفينة السفلي وسط زحام الأصوات المنبعثة من مائتين من أقرانه، ينسى نفسه ويسبق عمره بالعيش في خياله في حياة البحر (لورد جيم، ص6-7).[29]
- وكانت إحدى عابرات البحار من البواخر التي تحمل البريد، قد وصلت عصر ذلك اليوم (لورد جيم، ص121).
- لم تستطع السيدة بينيت -ولا حتى بمساعدة بناتها الخمس- أن تستدرج زوجها ليعطي أوصافًا وافية عن السيد بينغلي (كبرياء وهوى، ص17).[30]

وهذه الجملُ صعبة الفهم لأنها مثقلة بدفقٍ كبيرٍ من المعلومات التي اختصرتها بضع صفاتٍ وأحوال في النص الأصلي، وذلك لأن اللغة الإنكليزية تسمحُ بإلصاق سوابق ولواحق كثيرةٍ بالصفات تُضِيفُ إليها معانٍ

26 محمّد عناني (2000): ص. 137

27 محمدّ عناني (200): ص. 99

28 عبد الحميد جمال (2004): ص. 109

29 يونس شاهين (1966): ص. 6-7

30 تغريد فياض (2019): ص. 17

يطولُ تعريبها، مثل كلمة: unremarkable (أي [un][remark][able])، التي تُعرَّبُ إلى: "غير جدير بالملاحظة".[31] ومن الطبيعي أن يُضطَّرُ المترجم هنا -كما رأينا أعلاه- إلى تعريب هذه المعاني المتشابكة بجملٍ اسمية متتابعة بالعربية، والتي تُصْبِحُ ثقيلة ومزعجة على القارئ الذي لم يعتد هذه الكثافة من المعلومات. وقد يحلُّ المُعرِّبُ مشكلة الصفات والأحوال بأن يُحوِّلَ هذه الجملة اسمية المتتابعة إلى جملٍ فعلية، فنقترحُ: أن يُفرِّقَ المترجمُ الجملةَ الإنكليزية الواحدة -المثقلة بالصفات والأحوال- إلى جملٍ عربيَّة قصيرة؛ نُبْدِلُ فيها الصّفة بفِعْل (أي أن نُقلّد أسلوب التعبير الإنكليزي بما فيه من جملٍ قصيرة وبسيطة).

وفيما يلي الأمثلة السابقة نفسها، بعد تطبيق هذه الطريقة عليها:

- كان البحر متلألئًا، وأخذ يموجُ ويرتفع فيتفكَّكُ إلى طبقاتٍ مستوية، فأحدثَ ضجَّة صاخبة...أما الشعاب المرجانية فبدت وكأنها تطفو نحو السماء، ومثلها أشجار النخيل، والتي تشبّثت بعضها بالمرتفعات.
- وكان ينسى نفسهُ حين وجوده أسفل سطح السفينة، إذ تزدحم حوله أصوات مائتين من أقرانه، فيسبقُ عمره بالعيش في خياله في حياة البحر.
- وكانت تعبرُ البحرَ باخرةٌ تحملُ البريد، فوصلت عصر ذلك اليوم.
- لم تستطع السيدة بينيت أن تستدرج زوجها ليوفي بوصف السيد بينغلي، حتى حينما هبَّت بناتها الخمس لمساعدتها.

ليس من الضروري أن تدعو كل حالةٍ إلى هذا الأسلوب المُعقَّد قليلًا في التعريب، لكنه يصبح حلًا ثمينًا في الجمل المتطرّفة التي يَجْهَدُ المُعرِّبُ في نقلها. وفي ما سلف من أمثلة بعض من التصرّف في ترتيب الجمل الأصلية، وهو تغيير يجوز لسببين إن لَزِم: الأول هو أن يُسايِر تركيب مكوّنات الجملة بلغة الترجمة (إن كان مختلفًا عن تركيبها باللغة الأصل)، والثاني هو أن يقرّب النصَّ إلى جمهور الترجمة إن كانوا أقلَّ درايةً بموضوعه (مثل أن يكونوا أقلَّ إلمامًا من جمهور النص الأصلي باللغة الأكاديمية والاختصاصية).[32] ولعلَّ كلتا الحالتين تنطبقان على الأمثلة أعلاه؛ لأن التركيب اللغوي غريبٌ عن العربية، ولأنه صعبٌ -غالبًا- على جمهور القُرَّاء. ويَنْطِبقُ هذا على أنواع أخرى من أدوات التعبير الإنكليزية.

9.3.3 "وعلى الرغم من...."

يحدثُ في اللغة الإنكليزية أن تأتي أدوات للنفي في بداية الجملة المُعقَّدة أو في منتصفها، ومن أكثرها ترددًا although (ومثلها while وhowever)، وإذا صادف المترجم جملة تبدأ بهذه الطريقة[33] -وهي كثيرة- فعليه

31 Merriam-Webster Dictionary. 2020. Definition Of UNREMARKABLE. [online] Available at: https://www.merriam-webster.com/dictionary/unremarkable [Accessed 3 August 2020].

32 Baker (1992): p. 197

33 صفاء خلوصي (1928)، ص 119

أن يأخذ بعين الاعتبار أن لها شِقَّين: الشق الأول يصفُ معلومةً، والشق الثاني ينقضُها أو يخلصُ إلى استنتاج غير مُتوقّع منها. وهذا نوع من الجمل فيه صعوبة بالتعريب.

ويعرف القارئ الأجنبي (مثل الكاتب) من تركيب هذه الجملة أن شقها الثاني سينقضُ الأول، ويحاول المترجمون العرب أن يقلّدوا هذا التركيب بأن يبدؤوا الجملة العربية بكلمتي "على الرغم من.."، ولكنّ استيعابها يبقى صعبًا لأن بناءها دخيلٌ، ولأن اللغة العربية لا تساعدُ على ربط شقّي الجملة معًا، وقد يكون من الأسهل للمترجم والقارئ، حذف كلمتي "على الرغم من" في بداية الجملة، والاستعاضة عنهما ببديلٍ مثل "لكن" و"إلا أن" و"على أن" و"مع أن" في بدء الشقّ الثاني، أي بتأخير النَّفي بدلًا من تقديمه.

وفيما يأتي مثالٌ على الفرق بين الطريقتين (من مقالة لويكيبيديا عن نوعٍ من الديناصورات):[34]

- Although the completeness, preservation, and scientific importance of this skeleton gave "Big Al" its name; the individual itself was below the average size for Allosaurus.

- [حرفيًا]: على الرغم من أن اكتمال هيكله وحُسْن حفظه وأهميته العلمية، أعطوا لـ"بغ آل" اسمه، إلا أنه كان تحت الحجم المتوسّط للألوصور.
- [تصرُّفًا]: سُمِّي هيكل الألوصور "بغ آل" لاكتماله وحُسْن حفظه وأهميته العلمية، على أن حجمهُ كان أصغر من المعتاد بين بني جنسه.

9.4 المبني للمجهول

تتجلّى الترجمة الحرفية بكثير من الكلمات والتراكيب الدخيلة على اللغة العربيَّة؛ ولعل إحدى أكثر علاماتها انتشارًا هي كلمة "تم"، والتي جرتِ العادة على الاستعانة بها في ترجمة الأفعال المبنية للمجهول.[35] ولا تقع الركاكة في ترجمة هذه الأفعال بدون سبب، إذ إن صيغة المبني للمجهول صعبةٌ ومربكةٌ لأن فيها اختلافًا جوهريًا بين اللغتين العربية والإنكليزية، إذ إن فاعلها باللغة الإنكليزية ليس "مجهولًا" دومًا.

مثلما تختلفُ اللغات في كثير من خصائصها؛ كالتي تناولها الفصل الأول من الكتاب، فإن صيغة المبني للمجهول هي واحدةٌ من الاختلافات المعتبرة بين العربية والإنكليزية: ولا يقتصر ذلك على أنها تأتي في سياقات متفاوتة في هاتين اللغتين، بل في اختلاف فكرتها الأساسية. فقد نقول: "كُتِبَ الكتاب"؛ إن كان مؤلِّف الكتاب غير معلوم (أو لم نرغب بإعلام القارئ فيه)، فينوبُ عنه في هذه الجملة نائب الفاعل ("الكتاب"). وهذه صيغة لا يحتاج إليها الكاتب العربي إلا في سياقات مُحدَّدة، لذا قد يبدو من الغريب أن تشيع الأفعال المبنية للمجهول في الإنكليزية حتى يكاد يصادفها المترجم في كل نص وكل فقرة يقف عليها.[36]

34 مثال من مقالة ويكيبيديا بعنوان "Allosaurus" باللغة الإنكليزية وترجمتها في ويكيبيديا العربية (وعنوانها في الأخيرة "ألوصور").

35 صفاء خلوصي (1928): ص 117

36 Baker (1992): p. 103

حينما نقول أن اللغة الإنكليزية فيها أفعال "مبنية للمجهول" فإننا نحاولُ إسقاط قواعد لغتنا على لغة أخرى بالتشبيه والمقاربة، لكننا رأينا أن اللغات لا تترادفُ في معانيها ولا في قواعدها، وما يَحِلُّ مكان "المبني للمجهول" (كما نعرفهُ) في اللغة الأجنبية هو ما يُسمَّى -حرفيًا-: "النبرة الخاملة" (passive voice)، ومعناها أن الفاعل في الجملة يصبح مفعولًا به: فيتلقَّى فعلًا بدلًا من أن يُنفِّذه، وهي عكسُ "النبرة الفعَّالة" (active voice)، ومن أمثلتهما ما يأتي:[37]

- [Active]: Christopher Nolan directed "The Dark Night".
- [Passive]: "The Dark Night" was directed by Christopher Nolan.

لكلا هاتين الجملتين معنى واحدٌ، على أن الفاعل والمفعول به ينعكسان في الجملة الثانية، فيتصدَّر "كريستوفر نولان" الجملة الأولى فيكون " فاعلًا" فيها، بينما يُمْسِي مفعولًا "خاملاً" في الثانية. وهاتان هما الطريقتان الأساسيتان لصياغة أي جملة في اللغة الإنكليزية، ولذا فإن كليهما شائعتان جدًا في لغتهما، وهذا فرقٌ شاسعٌ عن المبني للمعلوم كما نعرفه.

السبب الرئيسي للخلط بين "المبني للمجهول" (بالعربية) و"النبرة الخاملة" (بالإنكليزية) هو إمكانية حذف ما كان الفاعل سابقًا (وأصبح مفعولًا به هنا) من الجملة الخاملة في اللغة الإنكليزية لتُصْبِح "مبنية للمجهول" بحقّ، فقد يُقَال: "The Dark Night was directed in 2008" (أي: بدون ذكر "كريستوفر نولان" الذي أدى فعل "الإخراج")، ويمكننا ترجمة هذه الجملة إلى صيغة المبني للمجهول بالعربية، فنقول: «أُخْرِجَ فلم "ذا دارك نايت" في سنة 2008». لكن هذا لا يعني أننا نستطيع ترجمتها مع إضافة فاعلٍ معلومٍ إليها، وهذه هي المشكلة التي ابتُدِعَت كلمة "تم" لحلّها، والتي أصبحت عُرْفًا راسخًا بين المُعرِّبين الهواة في ترجمة الأفعال الإنكليزية حينما تأتي بالنبرة الخاملة؛ التزامًا منهم بقوانين الترجمة الحرفية الصارمة التي تُمْلِي تقليد كل جملة باللغة الأجنبية. بل إن كلمة "تم" أصبحت دارجة في مؤلفات كثير من الكُتَّاب العرب غير المترجمة، فيكتبون جملًا على شاكلة:

- **تم** الإخراج **بواسطة** كريستوفر نولان.

وفي هذه الجملة مشكلتان بالعربية: الأولى والبديهية، هي أن المبني للمجهول -كما يدلُّ اسمه- فاعله غير معروف، ولهذا فلا صحة (ولا منطق) في إتباع فعل مبني لمجهول ("تم الإخراج") بفاعل ("كريستوفر نولان"). وأما المشكلة الثانية، فهي أن هذه الترجمة الحرفية لا تأخذ بعين الاعتبار شروط اللغة الأجنبية التي استدعت اختيار المبني للمجهول، إذ إن قواعد اللغة الإنكليزية تفرضُ على الفاعل أن يسبقَ الفعل عادةً (كما ذُكِرَ في ترتيب مكوّنات الجملة)، لكن المثال الذي نتاوله هنا خرق العادة؛ إذ تقدَّم الفعلُ الإنكليزي "directed" على

37 Baker (1992): p. 102

الفاعل "Christopher Nolan"،[38] ولذا لِزَمَ -لدواعٍ نحويّة- أن يُضَافَ إليها حرف الجرّ by، بينما تبدأُ الجملة العربية بالفعل أصلًا، فالأيسر أن نُعرِّبَها إلى صيغة المعلوم، ودون حاجةٍ لكلماتٍ زائدة فنقول:

- "**أَخْرَجَهُ** كريستوفر نولان" أو "**أَخْرَجَ الفلمَ** كريستوفر نولان".

ينطبق هذا الأمر على سائر سياقات الكلمة الكثيرة، فنُعرِّبُ "Computer was invented in 1871" إلى: "اختُرِعَ الحاسب في 1871"، و"America was discovered in 1492" إلى: "اُكْتُشِفَت أمريكا في 1492" (بدلًا من "تم اختراع الحاسب"، و"تم اكتشاف أمريكا"، وهلم جرًا). ومن المناسب تعريب "النبرة الخاملة" بتعريبها -أحيانًا- إلى صيغة المبني للمجهول السليمة بالعربية (بدون كلمة "تم")، ولو أن الأسلم منها هو الاستعاضة عن البناء للمجهول بالبناء للمعلوم؛ تماشيًا مع أعراف اللغة وأصولها.

على المترجِم أن يتجنب مخالفة أصول اللغة التي ينقل إليها، وعليه أن يأخذ بعين الاعتبار أعراف هذه اللغة. إذ على المُعرِّب أن يُدْرِكَ هنا أن "النبرة الخاملة" متأصّلة في الإنكليزية بسبب قواعدها، وحتى ولو احتجنا -أحيانًا- إلى تعريبها للمبني للمجهول، فهذا لا يفرض الإكثار منها في الترجمة العربية، والاختيار يقعُ على عاتق المُعرِّب بناءً على فهمه لاختلافات اللغات وللوزن الأدبي لصيغة المجهول أو المعلوم فيها.[39]

9.5 صيغة الملكية

مثل جميع المشكلات التي تنتجُ عن الترجمة الحرفية، قد يحاولُ المترجمُ والكاتبُ غير المُتمرِّسُ قد نقلَ صيغ الملكية كما هي، من لغةٍ أجنبية، مما يؤدي إلى توليد كلمةٌ جديدة مثل: "**خاصَّتي**".

ثمَّة طريقتان للتعبير عن الملكية باللغة الإنكليزية: إمَّا بإضافة حرف s زائد في نهاية اسمٍ أو بالاستعانة بضمائر التملُّك، وهي mine وyours وhers وhis وits وours وtheirs. وبما أن الالتزام بأصول الترجمة الحرفية يستلزمُ إبدالَ كُلِّ كلمةٍ في اللغة الإنكليزية بمثيلةٍ لها في العربية، فقد ابتدعَ المترجمون كلمات "خاصَّتي" و"خاصَّتكم" و"خاصَّته" و"خاصَّتها" و"خاصَّتُنا" و"خاصَّتهم" لتكافئ كُلِّ هذه الضمائر، وخصوصًا حينما تأتي صيغة التملك لاسم مضاف معه مضاف إليه.

وفي اللغة العربية ضمائر ملكية -أيضًا- لكنَّها ضمائر متّصلة لا منفصلة، فهي تأتي ملحقةً بالاسم المملوك، ومنها مثلًا: الياء للمتحدِّثْ المفرد (بيتي) والنون وألف لجماعة المتحدِّثين (بيتنا). وفيما يلي مثال توضيحي لها من ترجمة لرواية "أقمار المشتري" لأليس مونرو:[40]

38 قد يتقدَّم الفعلُ على الفاعل بأيِّ جملة مبنية للمجهول (Passive voice) بالإنكليزية، وهذا ترتيبٌ مسموحٌ وشائعٌ لكنَّه يعدُّ عكسَ المألوف وعكسَ القاعدة السَّائدة باللغة، إذ إن الـPassive voice يُعَدّ صفة مذمومة وكثيرًا ما ينتقد الأساتذة طلابهم إن أكثروا منها بغير موضعها (مصدر: جامعة ويسكنوسين-ماديسون).

39 Baker (1992): p. 107

40 أحمد محمد الروبي ومروة عبد السلام (2014): ص206

- [حرفيًا]: دلفتُ إلى غرفة جولي ووجدتها تحزمُ حقيبة الظهر خاصتها.
- [تصرُّفًا]: دلفتُ إلى غرفة جولي ووجدتها تحزمُ حقيبة ظهرها.

9.6 ترابط مكونات الكلام

مرَّت بنا لمحاتٌ من علم اللغة على مستوى المعنى (علم الدلالة) واللفظ (الصوتيات) والكلمة (الصرف) والجملة (النحو)، وهي أربعةٌ من مستويات هذا العلم الخمسة، فيبقى أن نجمعَ بين هذه الجمل والكلمات وما لها من دلالاتٍ ومعانٍ؛ لتكوين كلامٍ متّصل لهُ معنى: وهذا مجالٌ يدرسه علم **تحليل الخطاب**، ومن أهم مواضيعه دراسة العلاقة بين مكوّنات الكلام أو النص (Cohesion) لإيصال معنى مترابط متماسك، وهذه العلاقة هي التي تُنظِّمُ استخدام اللغة، وتسمحُ بفهم الكلام بناءً على ما يسبقه ويتبعه. وتختلفُ علاقة مكوّنات الكلام بين اللغات كثيرًا، وتصنعُ عوائق وعقبات عديدة للترجمة، وبعضها نالَ اهتمامًا كبيرًا جدًا من أساتذة اللسانيات ودارسيها.[41]

9.6.1 اتصال الكلام

لا يكفي أن ننظر إلى الترجمة وكأنها كلماتٌ وجملٌ مجزَّأة، فمن السهل جدًا على المترجم المبتدئ، وكذا البرنامج الآلي، أن ينقلَ كثيرًا من الجمل نقلًا متقنًا من لغةٍ إلى لغة، ويأتي دور المترجم الماهر في سبكِ هذه الجمل؛ وما فيها من أفكار وكلمات -معًا- في فقرات ومقالات وفصول متكاملة. ويحتاجُ ربط هذه الأفكار بعضها ببعض إلى مهارةٍ خاصَّة، مثل مهندسٍ معماريٍّ يُخطِّط لبناءٍ تقومُ فيه كُلّ طبقةٍ على غيرها، ولو فشلَ المترجم -بعد إتقانه ترجمة ما فيها- في ربطها معًا فقد يخرجُ ترجمة يستعصي فهمها: لا بسبب لغتها؛ بل لكلامها المتباعد الذي لا تتضح علاقته ببعضه.[42]

رأينا أن المترجمَ يضطلع بعمل الكاتب، فهو يعيدُ صياغة الكلام وكأنه يكتبهُ من جديد، ولذا فعليه أن يوظّف أدواتٍ لتماسك الأفكار مثل الكاتب تمامًا، ومن هذه الأدوات؛ أن تبدأ كل جملة وتنتهي بما يربطها بسابقتها ولاحقتها، وبأن يلتزم فيها بزمنٍ وسمتٍ ثابت للأفعال.[43] [44] فنقلُ الجمل أثناء الترجمة يعيدُ ترتيب مكوناتها، ومن السهل أن يضيع ترابطُ الأفكار بين فقرات المقالة أو فصول الكتاب. فيبدأ الكاتبُ الجملةَ -عادةً- بمعلومةٍ يعرِفُهَا القارئ، ثم تلحقها معلومة مبنية عليها، ولم تأتِ سابقًا،[45] مثل القول:

41 Baker (1992): p. 180

42 Baker (1992): p. 125

43 يقول القاضي الفاضل وهو يعتذر إلي العماد الأصفهاني عن كلام استدركه عليه :"...إني رأيتُ أنه لا يكتب أحد كتاباً في يومهِ إلا قال في غَدِهِ: لوُغُيِّرَ هذا لكان أحسن ولو زيد هذا لكان يُستحَسن ولو قُدِّم هذا لكان أفضل ولو تُرِك هذا لكان أجمل. وهذا أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر" (المدقّق).

44 Baker (1992): p. 211

45 Baker (1992): p. 145

لأن للإلكترونات شحنةً سالبة فإنَّ اجتماعها مع البروتونات الموجبة يُحيِّد شحنة الذرة.

معنى معلوم معنى جديد

من أهم مستويات ترابط الكلام هي الانتقال من جملةٍ إلى أخرى، وتساعِدُ على ربط هذه الجمل والأفكار ببعضها أدواتٌ لغوية (مثل حروف العطف)، وهذه الأدوات ليست لها معانٍ بذاتها، وبالتالي فإنها ليست دائمًا ممَّا ينقله المترجم من لغةٍ أخرى، وإنما عليها إضافتها -في أحيانٍ كثيرة- ضمن مهمَّة التعريب التي يؤدِّيها. ولو تغاضينا عن تأثير اللغات الأجنبية؛ فإن أكثر أدوات ربط الجمل ومكونات الكلام تداولًا في اللغة العربية -تراثيًا- كانت الواو والفاء العاطفتان،[46] والمترجم ليس مضطرًا بأن يَحْصِرَ استخدامه بهاتين الأداتين،[47] وإنَّما يمكنه المزج بينهما (في مواضع النقص) وبينما ما أتى في النص الأصلي؛ ليحفظَ شيئًا من أسلوب المؤلف الإنكليزي لكن دون الإكثار منهُ بما يفسد السليقة العربية.[48] وفيما يلي مثالٌ مقتطعٌ من كتاب كليلة ودمنة، لابن المُقفَّع؛ للتدليل على طريقة ربط الكلام في اللغة التراثية:[49]

- قال دمنة: إن إرادة الأسد لما يريد ليس لشيءٍ ممَّا ذكرتَ من تحميل الأشرار ولا غير ذلك، **و**لكنه الغدر والفجور، **فإ**نه جبَّار غدَّار، أوَّلُ طعامه حلاوة، **و**آخره مرارة، **بل** أكثرهُ سمٌّ مميت.
- قال شتربة: صدقتَ، لعمري لقد طعمتُ **فا**ستلذذت، **فأ**راني قد انتهيتُ إلى الذي فيه الموت.

9.6.2 أحرف الجر

قال بعض النحاة: إن «حروف الجر ينوب بعضها عن بعض» لأن حروف الجرِّ هي -عمومًا- ما دلَّ على معنى في غيره. وقد يُؤْخَذُ من ذلك جواز التبادل الوظيفي لحروف الجرّ، بحيث يستخدم أي حرف جر مكان الآخر دون وازعٍ أو ضابط، وحروف الجرِّ متعدّدة في وظائفها إجمالًا،[50] ولهذا السبب -تحديدًا- من السهل الخلط بينها، خصوصًا أثناء الترجمة. فلكلّ لغةٍ استخدامات تخصّها لحروف الجرّ، فلا يأتي كل فعلٍ فيها إلا مع حروف مُحدَّدة، ولا يمكن ترجمة هذه الحروف من لغة إلى أخرى حتى بأكثر مناهج الحرفية تطرّفًا.[51]

حروف الجر هي عنصر آخر من عناصر اللغة الوظيفية التي لا تَحْمِلُ معنى في ذاتها، وإنما تُضِيفُ معنى إلى غيرها من الكلمات، ولهذا فإن ترجمتها بين اللغات ليست منطقيّة. إذ إن لحروف الجر في كل لغة أفعال أو سياقات مُحدَّدة تَرِدُ فيها، ويمكن التوثّق من هذه السياقات بمعاجم التصاحبات اللفظية (إن وُجِدَت)، إلا أن

46 Al-Jubouri & Knowles (1988)

47 Farghal & Samateh (201): p.15

48 Baker (1992): p. 194

49 عبد الوهاب عزام وطه حسين (2014): ص93

50 وجاء هذا التفنيد في كتاب النحو الوافي (عباس حسن، 2007: ج2، ص537)، ويرجع في ذلك إلى: الكتاب لسيبويه (4/ 217)، والأصول في النحو؛ لابن السراج (1/ 414)، والجنى الداني، ص: (46) ومغني اللبيب (1/ 152)، ومعاني النحو؛ للسامرائي (3/ 7)، تناوب حروف الجر في لغة القرآن، ص: (5).

51 Collocation dictionaries، وهي كثيرة في اللغات الأجنبية ويغلبُ الظن أن ما من بديلٍ عربي لها.

معرفة ذلك تَرْجِعُ -أيضًا- إلى الحِفْظ والخبرة، وقد تكون متفاوتة جدًا بين أي؛ لغتين مهما كانتا متشابهتين جدًا في أصولهما التاريخية وبنائهما اللغوي. ويظهر هذا بالمثال الآتي لحروف الجر بالإنكليزية والألمانية:

- [بالإنكليزية]: I write **in** German.
- [بالألمانية]: Ich schreibe **auf** Deutsch.

يماثلُ حرف الجر "auf" باللغة الألمانية في معظم استعمالاته كلمة "فوق" العربية، وربَّما يبدو من المدهش أننا لو ترجمنا هذه الجملة آليًا من الألمانية، سوف تعني -حرفيًا-: "أنا أكتبُ **فـوقَ** الألمانيـة" أو "**على** الألمانيـة"، والقصد هو: "باللغة الألمانية". وبالمثل؛ فإنَّ جميعَ أحرفِ الجرِّ قد تختلفُ استخداماتها وسياقاتها، بطريقة لا تتبعُ نظامًا من الأنظمة.

ولو أخذنا حروف الجرِّ العربية مثالًا، فسنجدُ أن الحرف "في" يأتي بعشرة معانٍ مختلفة بحسب سياقه، ومنها الظرفية (جريتُ في الملعب) والتعويض (فيمَ تُفكِّر؟) والتعليل (دخلت امرأة النار في هرّة حبستها) وغيرُ ذلك. وقد نجدُ أن حرف الجرّ in في اللغة الإنكليزية يقابلُهُ في معاني الظرفية المكانية والزمانية، ولكنَّه لا يقابلُ حرف الجر العربي في وظيفة التعليل والتوكيد وغيرها، ومن المستحيل أن تجدَ أيَّ حرف جرّ إنكليزي يماثلُ "في" أو أيّ حرف جرّ عربيّ يماثلُ "in" فهذه من خواصّ اللغات.

وهذا يعني أن ترجمة حروف الجرِّ ترجعُ إلى خصوصيَّة السِّياق، كما يعني أن حروف الجرِّ الإنكليزية قد تختلفُ في تعريبها، وقد يصلحُ أويلزمُ إهمالها تمامًا، ويتّضح هذا إن عُدنا للمثال أعلاه فجازَ أن نقول: " أنا أكتبُ الألمانيَّة". فوجود حرفِ جرٍّ بلغةٍ أخرى، لا يعني وجوبَ مقابلته بحرف جرٍّ عربيّ، بل رُبَّما يقتضي البناء السليم للجملة غير ذلك. وينطبق هذا الأمر على كثير من الإضافات التي تختصّ بها اللغات.

9.6.3 الإبداع بالألقاب

تقول إحدى الباحثات:

> «لكلّ لغةٍ أعرافُها في وصف الأفعال وفاعليها، ولا سبيلَ لغضّ النظر عن هذه الأعراف في الترجمة، إلا إن أردنا غضّ النظر عن قارئها -كذلك-».[52]

والمقصود هنا هو خصوصيَّة طريقة الإشارة إلى الأسماء (reference) من فاعلٍ أو مفعول به، كأن نقول: "ذهبتْ لين إلى مدرستها" فتعود على لين تاء التأنيث في "ذهبت" والهاء والألف في "مدرست**ها**" فنعرفُ أنها هي المقصودة بفعل الذهاب، وأنها ذهبت إلى مدرسة هي طالبةٌ فيها. وقد نلاحظ هنا أن الإشارة المعتادة في العربيَّة تكون بالضمائر، وأما الإنكليزية ففيها إبداعٌ وتفنّنٌ كبيرٌ بالألقاب.

52 Callow (1974): p. 30

قد تتنوَّعُ طرق الإشارة إلى اسمٍ واحدٍ، فتلقي كُلّ طريقة ضوءًا على سمةٍ من سمات هذا الاسم، فقد تكونُ الإشارة بضميرٍ أو اسمٍ عاديّ (رأيته أو رأيتُ **الطالب**)[53] ومنها ما يأتي باسمٍ مرادفٍ في معناه (رأيتُ **التلميذ**) أو أعمَّ منهُ (رأيتُ **الفتى**) أو أخصّ (رأيتُ **مُحمَّدًا**).[54]

وفيما يلي مقتطفاتٌ من تقرير لقناة فرانس24 العربية فيها عدة إشارات لشخصٍ واحد:[55]

- تحدث الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما السبت إلى طلاب في حفل تخرج افتراضي...
- وأكد أوباما أن الأزمة الصحية كشفت اللامساواة التي يعيشها الأمريكيون السود...
- ولا يهاجم الرئيس الديمقراطي السابق -عادةً- دونالد ترامب بالاسم ...

تُحبِّذ اللغة الإنكليزية التنوّيع في الألقاب[56] للتفنّن بها وتشويق القارئ لها، وقد تُألفُ هذه الألقاب في الأدب الأجنبي فتأتي على شاكلة: "ذهب حسام"، "عاد العجوز"، " جلس المسنّ"، "ابتسم الهَرِمُ الذكي"، "غمزَ ذو اللحية البيضاء" . وقد لا يكون هذا الأسلوب التعبيري مألوفًا دومًا للقارئ العربي، وإن لم يكُن ذلك من منطلقٍ لغوي إذ لمثل هذه الألقاب طابع ثقافي وقد يكونُ فهمها صعبًا بدون معرفة مسبقةٍ بالثقافة (كما سيأتي في الفصل الأخير).

وقد نحفظُ بعضًا من الألقاب الواردة في الأصل من باب الأمانة، لكن لعلَّ من الحكمة التخفيفَ منها كُلَّما أمكن لأن فيها صعوبة كبيرة، خصوصًا إن أتت في نصّ غير أدبي، فهذه الإشارة ليست قائمةً على قواعد النحو الصِّرْفة، بل تلزمُ القارئ معرفةٌ ودرايةٌ مسبقةٌ لفهمها، فهو لن يعرف معنى "الرئيس الديمقراطي السابق" (في المثال أعلاه) إن لم يسمع من قبل بالرئيس باراك أوباما، وتلزمُ إزالة الإشارات والألقاب إن كانت مُتجذِّرة بثقافة أجنبية تجعلُ فهمها محالًا على القارئ العربي.[57]

9.6.4 الإبدال

مثلما تحلّ الألقاب مكان الاسم الواحد، فقد تَخْدِمُ أدواتٌ لغوية مُخصَّصة وظيفة "الإبدال" (Substitution) أي أن تحلّ مكان[58] كلماتٍ أو جملٍ سبقتها في الكلام.،وليس لهذه الأدوات مقابلٌ حقيقيٌّ في اللغة العربية لا لأننا لا نستطيعُ ترجمتها، بل لأنها تهدم في الإنكليزية وظيفة وغرضًا غير موجود بسياقاته نفسها بالعربية.[59] ومن أهمّ هذه الأدوات كلمتا Do و That. وقد نراها بالترجمة في المثال الآتي:

53 Baker (1992): p. 181

54 Baker (1992): p. 183

55 قناة فرانس24، "باراك أوباما ينتقد ضمنا ترامب على إدارته لأزمة فيروس كورونا ويندد باللامساواة بحق الأمريكيين السود". تاريخ النشر: 17/05/2020. تاريخ الوصول: 05/07/2020 https://www.france24.com/ar/20200517-باراك-أوباما-ينتقد-ضمنا-ترامب-على-إدارته-لأزمة-فيروس-كورونا-ويندد-باللامساواة-بحق-الأمريكيين-السود

56 يُسمَّى هذا التنوّع Variation

57 Baker (1992): p. 182

58 Baker (1992): p. 186

59 Baker (1992): p. 188

- هل تحب السباحة في الطقس البارد؟
- نعم، أحبّ **ذلك**.
- هل أقفلت باب المنزل؟
- نعم، **فعلت**.

وفي المثالَيْن السابقين حلَّت كلمـة That أو "ذلـك" مكـانَ جملـةٍ اسـمية ("السـباحة في الطقس البـارد") وكلمة Do أو "فعلت" مكان جملة فعلية ("أقفلتَ باب المنزل")، فعلينا أن نُعرِّبهما على هذا الأساس.

وقد نُصحِّح هذه الترجمة، فنُضِيفُ إلى الجملة الأولى ضمير الغائب (لأنه يعودُ على الاسم وما يتبعه) فنقولُ: "نعم، **أحبّها**". ونُكرِّرُ في الثانية الفعل مع ضميره، فنقولُ "نعم، **أقفلتُه**".

9.7 كلمة Already

يواجه المُعرِّب مفرداتٍ مُحدَّدة قد يكثر استخدامها في اللغة الأجنبية بأسلوب يخصّ ثقافاتهـا وأسـلوبها في التعبير، ومن أكثر الكلمات التي قد تثيرُ حيرته -على هذا الصعيد- "already"، فهي كثيرة الاستعمال والتكرار في اللغة الأجنبية المعاصرة؛ حتى لا تكاد تمضي بضع دقائق من أي فلم سينمائي أو مسلسل تلفزيوني بدونها، على أنها كلمة ليسَ لها مقابلٌ بالسان العربي إلا "بالفِعْل"، وهي الترجمة التي شاعت لهـا، إلا أنهـا لا تنجَحُ تمامًـا في نقل معنى الكلمة الأجنبية حرفيًا ولا فعليًا.

ولو سِرْنا على منهج التعريب، فقد نجدُ حلَّين للتعامل مع هذه المفردة:

- الحـلّ الأول هـو احتسـابها كلمـةً زائـدةً لأن وظيفتهـا **توكيدية** بحتـة، فلا فـرق في المعـنى الفعلي بين قولك: "I got there already" أو "وَصَلْتُ بالفعل" أو "وَصَلْت"، وأما مـا زاد على فحـوى الكلام فهـو إيحاءٌ إضافي أراده الكاتبُ بلغته الأجنبية، وهو إيحاءٌ لا مقابلَ لـه في العربيـة، لـذا لا حاجـة لترجمتـه ولا فائدة تُرْجَى منه.
- الحلّ الثاني هو الاستعاضة عنها بكلمةٍ عربية تصفُ معناها بدقّة أكثر حَسْبَ السياق، وهو أن الحدثَ قد وقعَ في الزمن الماضي، فلنا أن نقول "وصلتُ **سلفًا**" أو " وصلتُ **منذ بُرْهة**" أو " وصلتُ **منذ فترة**".

وقد يُصَادِفُ المُعرِّب كثيرًا من المفردات التي جرت العادة على ترجمتها بطريقـةٍ مُعيَّنـة، حـتى ولـو لم يَكُن لهذه الترجمة -المألوفة- معنى كبير باللغة العربية.

9.8 معان خادعة

قد يستغرب الناطق باللغة العربية قبل مئات السـنين إن قيـل لـهُ: إن عازفًـا "يلعب على العـود" أو "يهـوى لعب الأدوار بالمسرح". ويكثرُ في زمننا هذان الاستعمالان بسياقاتٍ لا تتوافـقُ مـع معـنى فعـل "لعب"، وربّمـا نعـزو هـذه المعـاني المُحْدَثَـة إلى ظـاهرةٍ لغويـة يقـالُ لهـا -حرفيًـا-: "الصـداقات الخادعـة" (False friends)،

والمقصود بها أن يخالَ المرء أن لكلمة في لغته معناها نفسه بلغةٍ أخرى؛ بسبب تشابه الكلمتين شكلًا أو دلالة، وهذا خطأ دارج يقعُ -عادةً- في اللغات التي لها أصولٌ متقاربة،[60] لكن ظاهرة الترجمة ساعدت على انتشاره بأسلوبٍ جديد.

ومن المستغرب أن يقال عمَّن يستعملُ آلة العود أنه "يلعبُ عليها" بدلًا من "يعزفَ بها"، والتفسير الراجح لهذا المعنى الجديد هو أن اللغة الإنكليزية تختزلُ بكلمةٍ واحدةٍ أفعالًا منها اللعب والعزف والتمثيل والتشغيل (وهي play)، فانتقلت معانيها الأخرى إلى العربية -تدريجًا- بالترجمة وتعلم اللغة الأجنبية. وقد تستغربُ لو توقَّفتَ وتمعَّنتَ قليلًا بجُمْلة شاعت بالترجمة مثل: "يلعبُ الوزراء دورًا في السياسة.."، فكيف يصلحُ فعل "اللعب" فيها؟

على المترجم الجيّد أن يستوقف نفسهُ مرارًا للتفكير بدقَّة الكلمات التي حفظها واعتادها قبل أن تقفزَ أناملهُ لكتابتها أو طباعتها. فمن الأمثلة المتكرّرة -أيضًا- على المعاني الخادعة في الترجمة فعل Enjoy، والذي يأتي بمعنى "الاستمتاع" وكذلك بنِسْبة صفةٍ إلى الشيء:

- Amman, a mountainous city, enjoys good weather.
  - [ترجمة حرفية]: تتمتَّعُ مدينة عمَّان الجبلية بطقسٍ لطيف.
  - [ترجمة بتصرف]: تتَّسمُ مدينة عمَّان الجبلية بطقسٍ لطيف.
  - [ترجمة بتصرف]: لمدينة عمَّان الجبلية طقسٌ لطيف.

كما تأتي كلمة special وparticular (ومشتقّاتهما) بمعنى التخصيص؛ وكذلك بمعنى الكثرة، فيُقَال:

- Superman was particularly popular during the time of World War II
  - [ترجمة حرفية]: اكتسب سوبرمان شعبية خاصة في فترة الحرب العالمية الثانية
  - [ترجمة بتصرف]: اكتسب سوبرمان شعبية كبيرة في فترة الحرب العالمية الثانية

9.9 الإطناب والإيجاز

يُشبّه صفاء خلوصي المترجم الجديد بالوصف "غريب تاه في مدينة حلَّ بها حديثًا"، إذ يضربُ في شوارعها وميادينها ساعاتٍ بدلًا من سلوك الطريق السهل إلى وجهته،[61] ويذكّرنا نيومارك أن: "الترجمة الجيّدة وجيزةٌ كُلَّما أمكن"،[62] فكلّ كلمةٍ زائدةٌ ولا تضيفُ جديدًا هي عبء على الورق والحبر والمحرّر والقارئ، وإزالتُها تزيدُ النصّ بلاغة وتأثيرًا وأما الإطالة والإطناب فيها فتسبّب الغموض وصعوبةً في استيعاب المعنى.[63]

60 Baker (1992): p. 25

61 صفاء خلوصي (1928)، ص179

62 Newmark (1991): p. 28

63 محمد عناني (2008): ص135

ويستشهد عمر محمد الأمين في كتاب "أساسيات التحرير وفنّ الكتابة بالعربية" بمثالٍ عن الإيجـاز في ذكـر الأفعال الدالّة على المشاركة الصّريحة (ومنها "المنافسة" و"المساجلة")، فيقـول: «ومن الخطـأ أن يُقَـال تقاتـل الخصمان **مع بعضهما**؛ لأن الوزن نفسه يدل على المشاركة ولا داعي لـذكر (مـع بعضـهما)"، فالأفضـل القَـول: "تقاتل الخصمان"».[64]

ولنا (مثلما يقول نيومارك) أن نميّز بين المترجم الجيّد والمترجم المبتدئ بعدد الكلمات الـتي يترجمـان بهـا جملة واحدة. وفيما يأتي اقتباسٌ من ترجمة لكتاب: "أثر العلم في المجتمع" للفيلسوف الشـهير برتراند رسـل:[65] (مع تحريرٍ لها):[66]

- إذا اعتقدتَ أن قيصر قام بعبور نهر الروبيكون فإن اعتقادك صحيح لأن قيصر قام بعبور الروبكيون فعلًا.
- إذا اعتقدتَ أن قيصر عَبَرَ نهر الروبيكون فاعتقادُكَ صحيح، لأنه عَبَره حقًا.

وتركيبةُ "قُم بكذا" أو "قام بكذا" ليست شائعةً في الترجمة فقط، بل هي -أيضًا- متداولةٌ على ألسـنة النـاس في كثير من اللهجات العامية مثل: "قاعد عم أمشي" (أنا أمشي) . ولا بأس في هذا بالكلام المحكيّ، ولكنَّه يجعلُ الكتابة أقلَّ بلاغة ويُضيِّعُ وقتَ القارئ سُدى، إذ تقول القاعدة إن: «كلّ ما يُحـذفُ من غـير إخلالٍ بـالمعنى يكـون أبلغ».[67] ومن المفيد جدًا تحرير الترجمة لتتبُّعَ الكلمات الزائدة وحذفها، ففيما يلي أمثلةٌ أخرى متداولة على ما قـد تصادفهُ من كلامٍ زائد:

- "هذا يشكّل خطرًا" ← "هذا خطير"
- "ذلك يستلزم التعريب" ← "يلزمُ تعريبه"
- "يحتوي الكتاب على فصول" ← "الكتابُ فصول"
- "هناك نوعان من الإحباط" ← "الإحباطُ نوعان"
- "قُمْ بتغيير العجلة" ← "غيِّر العجلة"

64 حسين المناصرة وآخرون (2007): ص16

65 ولهذا الكتاب ترجمتان وضعتُ يدي عليهما باللغة العربية: واحدةٌ لصباح صديق الدملوجي والأخرى ترجمة تراثية ممتازة بقلم تمام حسَّان، والثانية أفضلُ بكثير.

66 في المثال الآتي ترجمة صباح صديق الدملوجي وبعدها نسخةٌ اختصرتُها أنا.

67 إبراهيم زكي خورشيد (1985): ص46

9.10 الغموض

إحدى المشكلات الابتدائية التي يهتمّ بتقصّيها علم الدلالة (وهو من فروع اللغـة) هي مـا نُسـمِّيه **الغموض اللغويّ**، والمقصودُ به أن يحتملَ الكلام أكثر من معنى. وعادةً ما يكونُ المعنى المقصود بالكلام واحدًا، ولـو ضـلَّ عنهُ القارئ فهذا خطأ يقعُ على عاتق الكاتب (وهو في حالتنا المترجم)، وهو ما قد يأتي من الكتابة غـير الناضـجة أو غير الواعية.

لو قيل -مثلًا-: "زار علاء حديقة المدينة الجديدة"،[68] فقد يجدُ القارئ المُتعمِّق صعوبةً في تحديـد الموصـوف هنا، إذ ربما يكون المقصد أن ما زاره علاء هو "**حديقة** جديدة" في مدينة، كما يمكن أن يكون حديقةً في "**مدينة** جديدة". وبإمكاننا أن نحاول تخمين الصَّحيح منهمـا من السـياق، ولكن الجملـة ليس فيهـا أي دلالـة حتميَّة على المعنى مهما حلَّلناها، ممَّا قد يؤدِّي -أحيانًا- إلى غموضٍ وحيرةٍ كبيرَيْن.

ولنـا أن نعـالج حالـة واقعيـة تسـبَّبت فيهـا ترجمـة رديئـة بغمـوض لغـويّ يُفسـد تجربـة القـارئ، فنقتبسُ الآتي من ترجمــة عربيــة لكتــاب لعــالم الفيزيــاء الأمــريكي "ريتشــارد فاينْمَــان" عنوانــه "متعــة اكتشــاف الأشياء" (Pleasure of Finding Things Out):[69]

> لي صديقٌ فنّان كان يلتقط -أحيانًا- صورة لمنظر قد لا أوافقُ **عليه** تمامًا. كان يمسك بالوردة ويقول: "انظر كم هي جميلة، و**أوافق معه**. ثم يقول: "ألا ترى، أنا كفنَّان أستطيع أن أرى كم **هي** جميلة ولكن أنت كعالم عندما **تجرِّدها** من هذا كلّه" تصبح شيئًا باهتًا، وأنا أعتقد **أنه** غريب الأطوار.

وقد لا يطولُ بك الأمرُ حتى تلاحظ أن في هذا النصّ مشكلات لغوية كثيرة فيكادُ لا يُقْـرَأ؛ وليس على القـارئ أن يظن السَّبَبَ في ما سلفَ أن هذا الاقتباس قُطِعَ من سياقه، وإنَّما ما اقتُبِسَ -أعلاه- هو الفقرة الافتتاحيـة من كتاب "ريتشارد فاينمان" بترجمته العربية.

تبدو الجملة الأولى واضحة تقريبًا، إذ يقولُ ريتشارد أن لديه صديقًا يهوى التصـوير ويظهـرُ أنـه يلتقـطُ صـورًا لـ"مناظر" طبيعية، ولسببٍ ما فإنَّ فاينمان " لا يوافق تمامًا" على هذه المنـاظر، ولكنْ، مـا هـو **الـذي لا يوافـق عليه** فاينمان في المنظر أو الصورة؟ يُفضّل المترجم أن يتركنا حائرين على أن يُقـدِّم لنـا أي تفسـيرًا، وهنـا تكمنُ مشكلة الغموض الأولى.[70]

---

68 جهاد حمدان وآخرون (2015): ص144

69 ابتسام الخضراء (2005): ص22

70 ربما يلفت انتباهك هنا أننا نُسائل نقصًا في المعنى قد يلامُ عليه المؤلّف وليس المترجم، لكن نلومه هنا لسببين: أولًا أن مسؤولية المترجم أن يأتي بنصّ واضحٍ للقارئ، وثانيًا أن ما وقعَ هنا من غموضٍ سببه أساسًا هو المترجمُ ولم يكُن له وجودٌ في الأصل. إذ كان مترجم هذا الكتاب مبتدئًا جدًا في مهنته، بحيثُ أساءَ فهمَ الجملة كُلّها إساءةً مجحفة، فيقولُ النص الأصليّ الآتي: "I have a friend who’s an artist and he’s sometimes taken a view which I don’t agree with very well". والمقصود بكلمة view هنا هو "الرأي" أو "وجهة النظر" وليس "[التقاط صورة لمنظر]" كما ظنّ المترجم الهاوي، وهذا مثالٌ على ما تناولناه من "المعاني الخادعة" والنقل الحرفي.

غموض بصري مشهور في رسم من رسومات قصة "أليس في بلاد العجائب"، إذ قد يظهر فيه الكائن الذي يدخّن النارجيلة وكأنه رأس رجلٍ له ذقنٌ وأنفٌ نحيلان وبارزان، أو وكأنه دودة قزٍّ برزَ رأسها وساقان من سيقانها. - منشورة ضمن الملكية العامة. المصدر: ويكيميديا كومنز.

تأتي المشكلة الثانية في استخدام علامات الترقيم (فثمَّة أسبابٌ جيّدة تُفسّر ولع الأساتذة بهـا، وإلا لامتلأت صفحات الكتب غموضًا وألغازًا). ويرتكبُ المترجم هنا خطـأ كبـيرًا هـوَ عـدم فصـلِ الحـوارات بعلامـات الـترقيم الصحيحة، فلا يتّضح لنا من علامات التنصيص متى يتحـدَّثُ **فاينمـان**، ومـتى يتحـدَّثُ **صـديقه الفنّـان**، وقـد نحاول استنتاجَ هذا من السياق. وأما أكثر ما ينبغي التركيز عليه هنا هو العبارة الأخيرة، التي تقول: "وأنا أعتقدُ أنه غريب الأطوار". فهل يمكن لقارئٍ حذرٍ أن يُحدّد من هو أو ما هو الشيء غريب الأطوار في النص؟

علينا أن نرجع إلى الاقتباس، وندرُسَ الاسم الذي يعودُ عليه كلّ ضميرٍ فيه لنحـلَّ مشـكلة الغمـوض، إذ على الضمير بالعربية أن يرجعَ دائمًا على آخر اسمٍ ذُكِرَ في الجملـة. وتُصـرِّف اللغـة العربيـة الضـمائر للجنس بتـذكيرها

وتأنيثها ممَّا يساعدنا على تجاوُزِ هذه المشـكلة أحيانًـا (على عكس الإنكليزيـة)، فيمكنـكَ القـول: "شـعرتْ سـارة بالسعادة لأن محمدًا **زارها** اليوم" فتعود كلمة "زارَها" على سارة.

ولكنْ في هذا النصّ اسمان **مختلفان** من الجنس نفسـه قـد يعـودُ عليهمـا الضـمير، إذ يقـولُ: «ولكن **أنت** كعالم عندما تجرِّدها من هذا كلّه تصبح **شيئًا** باهتًا، وأنا أعتقد **أنه** غـريب الأطـوار»، وكمـا تـرى، يمكن لاصـطلاح "غريب الأطوار" أن يعودَ على "الشيء الباهت" أو على صديق "ريتشارد فاينمان"، فأيّهما هو المقصود؟

نَجِدُ حين العودة إلى الأصـل الأجنـبي أن المقصـود لم يكُن أيًـا منهمـا، فمـا قالـه ريتشـارد فاينمـان هـو أن محاججة صديقه أو وجهة نظره تنمّ عن "غرابة الأطوار" عامَّة. وكان يمكن للمترجم أن يتنازل ويُوضّح هـذه الجملـة بـأن يَكْتُب: «"أنت عـالمٌ فتجـرِّد **الـوردة** من كـلّ **جمالها** لتُصْـبِحَ شـيئًا باهتًـا"، وأنـا أعتقـد أن مـا يقولـه **كلامٌ** غريب الأطوار».

وإذا وضع المترجم نفسهُ مكان الكاتب والمُعرِّب، فعليه الانتباه إلى تفاصيل مـا يكتبـهُ وإلى مـا قـد يحصـلُ لقُرَّائه من سوء فهم، على عكس ما رأينا من أمثلةٍ هاويـة. وهـذه المهمَّة ليسـت سـهلةً أبـدًا، فـالمترجمُ ينغمسُ بقراءة نصّ أجنبيّ ثُمَّ عليه أن يخرجَ من غمار هـذا النصِّ ليكتبَ بقلمٍ عـربيّ، ولهـذا فلا يمكنـه أن يكتفي بدراسـة اللغة كمفردات وجمل، بل عليه أن يُعدّ نفسه لدراستها على مستوى ثقافة أجنبية مكتملة الأركان.

دورة الذكاء الاصطناعي

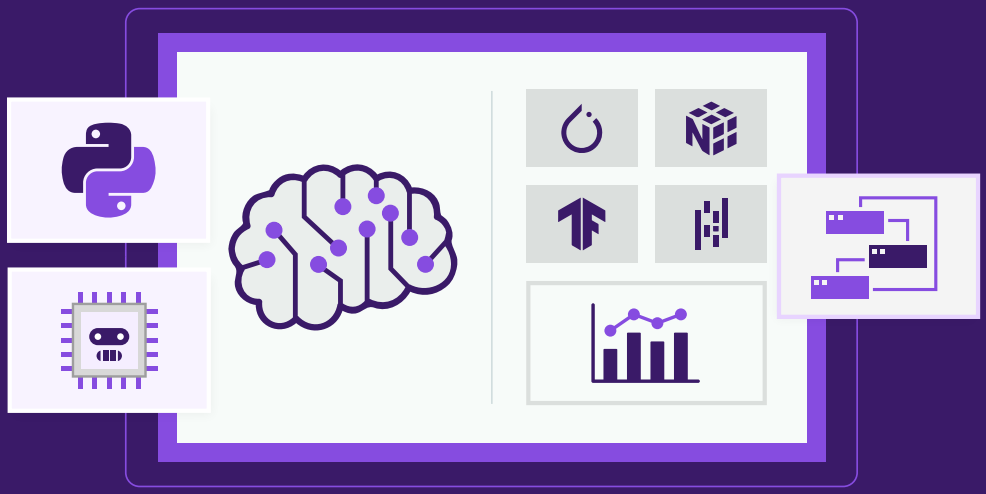

مميزات الدورة

- بناء معرض أعمال قوي بمشاريع حقيقية
- وصول مدى الحياة لمحتويات الدورة
- تحديثات مستمرة على الدورة مجانًا
- شهادة معتمدة من أكاديمية حسوب
- إرشادات من المدربين على مدار الساعة
- من الصفر دون الحاجة لخبرة مسبقة

اشترك الآن

10. تعريب الثقافة

تناولنا في فصول هذا الكتاب موضوعات الترجمة من زوايا عِدّة، من ضمنها الزاويـة الأكاديميـة (في فصـل نظرية الترجمة) وخصوصياتها الدلالية والصرفية (في فصل تعريب المفردة)، وما لهـا من خصوصـيات قواعديـة ونحوية (في فَصْلَي تعريب التراكيب والجمل)، وقد ناقشنا بعض مشـكلات الترجمـة؛ وأهمّهـا الـنزاع القـائم بين الحرفية والتصرّف. على أن في الترجمة معضلاتٍ أخرى أوسعَ، تعود إلى اعتبـارات الثقافـة واللغـة كاملـةً، والـتي يجدر بالمترجم أخذُها في الحسبان، فهي أقـربُ إلى مبـادئ عامـة تحكمُ عمـل المـترجم وترشـدُه، وقـد تـرى في الصفحات القادمة أن كثيرًا من هذه المعضلات ليسَ فيها رأيٌ واضحٌ بين الباحثين وليسَ لها حلٌّ واحد معروف، لأنها تتعلَّقُ بدراسة الثقافة الإنسانية بمجملها، على أن الاطلاع عليها -على الأقل- يبقى مهمًا للمُعرِّب.

10.1 الحرفية والتصرف

ما زال الهمُّ الأكبر للمترجمين إلى الـوقت الحاضـر متمحـورًا حـول الخلاف الـذي نشـأ في مـدارس الرومـان واليونان والعرب (بين ابن إسحاق وابن البطريق) منذ مئات السنين، وهو ترجمة الكلام مفردةً بمفردةٍ "حرفيًـا" أو ترجمة معنى كُلِّ جملةٍ "بتصرُّف". وفيما سلف من فصول هـذا الكتـاب، ميـلٌ واضـحٌ نحـو منهج التصـرّف وذمٌّ للحرفية، لكن المترجمين ليس بينهم إجماعٌ حتى اللحظـة على منهجٍ محـدد من المنهجين دون الآخـر، بـل لكـلٍّ منهما حسناته وسيّئاته التي يشيد بها الباحثون. فخيرُ الأمور أوسطها، ولعلَّ أوسط الأمور أصعبها.

نالت الترجمة بتصرّف تأييدًا كبيرًا جدًا من كبار المترجمين منذ العصور القديمة، ولهذا سببٌ واضحٌ؛ هو أنها تُفضِّل "القارئ" على الكاتب، فالمهمُّ بحسب هذا المنهج هو أن نضعَ بين يديه نصًا يقرؤه كما لو كُتِبَ بلغته هـو (القارئ)، ولهذا يتفاخرُ بعض المترجمين بأنهم يترجمونَ ما قيل بلسانٍ أعجمي، وكأنهُ قيل أصلًا بلسانٍ عربيّ (أو إنكليزي أو فرنسي أو غيرهما).[1] ويرى بعضُ الباحثين أن هذا هو المنهج الأنسب في الترجمة، حينما يمسُّ النص

1 Newmark (1991): p. 26

حياة القارئ اليومية، مثل أن يكون إعلانًا أو دليلًا سياحيًا، لكنَّه ليسَ بالضرورة المنهج الأنسب في كُلّ مكان وزمان.[2]

وأما الترجمة الحرفية (واسمُها نفسه هو ترجمة "حرفية") فقد تلقَّت ذمًا ونقدًا من مدارس للترجمة في شتى العصور، فنرى صلاح الدين الصفديَّ ينتقدُ أتباعها أشدَّ انتقادٍ؛ ويشيدُ بمن خالفهم، ومثله القديس جيروم ومارتن لوثر وجون درايدن وغيرهم، لكنَّ كثيرًا من الباحثين المعاصرين، يرونَ ضرورة الحرفية في الترجمة، بل ربَّما تكونُ المنهج السائد بينهم حاليًا.[3]

أساس الترجمة الحرفية هو الالتزامُ بما جاء في الأصل كلمةً بكلمةٍ، ونقل أسلوب الكاتب بأمانةٍ دون تلاعبٍ فيه ولا إخلال بهويته، أي أن الأولوية هُنَا هي للمؤلِّف (من حيثُ صَوْنُ أسلوبه) وليس للقارئ (من حيث يُسْر تجربته)، ولهذا يرى كثيرون أن هذا هو المنهج الصَّحيح في ترجمة الأدب؛ لأن قيمة الأدب تأتي من أسلوب المؤلِّف وقلمه المُميَّز، وأما لو تُرْجِمَ إلى لغةٍ يألفها القارئ فقد يُمْسِي مثل أي نصّ سواه.[4]

تتفاوتُ شدة معضلة "الحرفية" و"التصرف" حسب طبيعة عمل المترجم، إذ إن الترجمة تقع -دائمًا- بين لغتين، وكُلَّما تقاربت هاتان اللغتان كان من الأسهل إجراء الترجمة بينهما بسلاسة، ودون إخلال بأسلوب المؤلف.[5] ومن السهل مثلًا الترجمة بين الإسبانية والفرنسية بإتقان، واعتدالٍ بين منهج الحرفية والتصرّف، لأن هاتين اللغتين تشتركان بكمٍّ هائلٍ من المفردات؛ وبقواعد كثيرة في النحو والصرف، لكن العربية بعيدةٌ جدًا عن كل اللغات الأوروبية، فهي من عائلة اللغات السامية (مثل العبرية والآرامية والسريانية)، وأما لغات العالم الغربي فمعظمها من العائلة الهندو أوروبية.

وتختلفُ -لذلك- العربية عن الإنكليزية في أمورٍ كثيرةٍ، تتجاوزُ قواعد اللغة ومعانيها، ولهذا فإنَّ نتاج الترجمة الحرفية فيها أسوأ أثرًا، ولا يفيدُ القارئ كما رأينا في أمثلة كثيرة، كما تزدادُ صعوبة الترجمة بين العربية والإنكليزية؛ لما بينهما من تباعد ثقافيٍّ شاسع، فعلى المترجم أن يُبْدِعَ ويستعين بموهبته لتعويض ما يضيعُ من معنى ببدائل تحلّ مكانه، ولهذا يلجأُ إلى أساليب في التكييف منها: التصريح والأقلمة والاستعاضة، وهي كلّها أمورٌ لا يقتصر هدفها على ترجمة المعنى، وإنما الثقافة التي يختزلها أيضًا.[6]

2 Newmark (1991): p. 10-11

3 تُشجّع كثير من مناهج الترجمة الحديثة على الالتزام بأسلوب حرفي أقربَ لكتابة المؤلف حفاظًا على السمات الثقافية للنصوص، أو إبرازًا لعملية الترجمة وقيمتها، ومنها نظرية الأنظمة المتعددة (Polysystem Theory) وحركة إبراز المترجم (Translator's Invisibility)، واللتان تناولناهما في فصل نظرية الترجمة.

4 Newmark (1991): p. 27

5 Newmark (1991): p. 7

6 Newmark (1991): p. 7

10.2 التصريح والتضمين

نادرًا ما يمضي يوم دون أن يسمع العربيّ جملة "إن شاء الله"، وهي جملة مشهور لها معنى صريحٌ هو: الاحتكامُ لمشيئة الله. على أن أي ناطقٍ بالعربية يعرفُ حينما يسمعُها أن لها عشرات المعاني المُبطَّنة؛ من المجاملة والتهرُّب والاعتذار عن عمل الشيء، كأن يُقَال: "متى تدفع لي الإيجار؟" فيجيبُ المستأجر الغارق في الدّيون: "قريبًا إن شاء الله"، ويفهمُ القارئ هنا أن المعنى المُبطَّن تقريبًا هو: "حين يأتيني مال" أو "حتى أجل غيرِ مُسمَّى". ولو ترجمنا جملة "قريبًا إن شاء الله" بمعناها الحرفي فربّما لا يفهمُ أبعادها المقصودة قارئ صيني أو سويدي، لذا قد يضيفُ المترجم إلى هاتين اللغتين تفسيرًا أو حاشية لما جاء من معنى مُبطَّن، ويُسمَّى هذا التصريح،[7] أي أن يُقَالَ بواحًا ما نوى الكاتبُ قوله ضمنًا. وهذا يطرحُ تساؤلًا كبيرًا في الترجمة: فهل الأصحُّ هو ترجمة النصِّ بمعناه الضمنيّ أم بالتَّصريح بما فيه؟

يختلفُ معنى النص الحقيقي -في كثيرٍ من الحالات- عن معناه الظّاهر، فقد تطلب من شخص أن يذهبَ معك إلى مكانٍ فيردّ قائلًا: "أنا متعب"، ويفهمُ المستمع أن هذه الجملة بمثابة القول: "لا أرغب بالذّهاب"، وهذا معنى ضمنيٌّ لا حاجةً للمجاهرة به لأن عموم الناس يفهمونه.[8] لكن المعاني المُبطَّنة لها خصوصيات ثقافية واجتماعية، فلا يفهمها القارئ دومًا بلغةٍ أخرى، مثل الحال عند التلاعب بالكلمات والألفاظ، إذ تُستخدم كلمةٌ مكانَ كلمتين عمدًا، بينما قد يجمعهما المترجم مرَّة أخرى في كلمةٍ واحدةٍ، تدلّ على المعنى بوضوحٍ لم يرغب به المؤلف، وهذه مجاهرةٌ[9] بما كان على القارئ أن يفهمه من السياق.[10]

يزعمُ بعض الباحثين أن الترجمة -بطبيعتها- تستلزم التصريح وتُشجِّعُ عليه،[11] لأن المترجم ينبغي أن يبدأ بفهم المعنى الضمني لما يودّ ترجمته ثُمَّ يعيدُ تفسيره بلغةٍ أخرى، فينحو بسبب ذلك إلى نقل المعنى صريحًا -كما فهمهُ- لا مضمنًا. والتصريح لهُ هنا حالتان:[12]

1. تصريح اختياري: يلجأُ إليه المترجم إن رأى ضرورة مثل: أن يُفسِّر المترجم للقارئ جملة "إن شاء الله" أو أن يشرحَ مزْحةً تحتاجُ اطلاعًا مسبقًا لفهمها، ويزعمُ بعض الباحثين أن الترجمة في جميع اللغات تُشجِّعُ على زيادة التصريح بهذه الأساليب.

2. تصريح إجباري: تُلزمُ به قواعد اللغة مثل: أن المتحدث بالإنكليزية قد يقول "I'm sorry" دون تحديد ما إن كان صاحب الضمير "أنا" ذكرًا أم أنثى، بينما على الترجمة العربية أن تُصرِّحَ بالقول: " أنا آسفٌ"أو "أنا آسفة". وهذا تصريحٌ زائدٌ لا حيلة للمترجم فيه لأن اللغة تُسيِّرُه.

7 بالإنكليزية: Explication

8 Baker (1992): p. 224

9 Levý (2011): p. 38

10 Becher (2011): p. 17

11 Murtisari (2016): p. 67

12 Murtisari (2016): p. 69

يعرف قراء رواية "صورة دوريان غريه" (بلغتها الأصلية) أن "اللورد هنري" من الأثرياء لأنه يقيم في حيّ مايفير، لكن قراء الترجمة قد لا يعون ذلك. - منشورة تحت ترخيص CC-BY. المصدر: ويكيميديا كومنز.

وقد نالت مسألة التصريح في الترجمة قدرًا عظيمًا من البحث فأُشبِعَت اهتمامًا ودراسة،[13][14] ومن أهم الاكتشافات التي حققتها أبحاث الترجمة هي أن معظم النصوص المترجمة تَستبدلُ بالمعنى الضمنيّ معنى صريحًا[15] فتكشفُ عمَّا يخفيه المؤلّف في كتابته من تلميحات مُبطَّنة بالشرح والتفسير،[16] ولهذا السبب قد تطول كثير من الترجمات موازنةً بأصلها.[17] ومن مبرّرات هذا السلوك (أي إطالة الترجمة موازنةً بالأصل) أن جمهور الترجمة أقلّ ضلاعةً بموضوعها عادة، فهم يحتاجون شرحًا إضافيًا لاستيعاب مبلغ الكلام،[18] مثلًا: يأتي النصّ الآتي في رواية "صورة دوريان غريه" للمؤلّف "أوسكار وايلد":

- Dorian Gray was reclining in a luxurious arm-chair, in the little library of Lord Henry's house in Mayfair

13 Murtisari (2016): p. 70

14 Baker (1992): p. 223

15 Murtisari (2016): p. 79

16 Pym (2005): p.1

17 Vinay and Darbelnet (1995): p. 193

18 "... so why explication" (Pym, 2005: p. 10).

وقد يختارُ المترجم إحدى طريقتين في تعريب هذه الجملة، من حيث التصريح أو التضمين بمعلومة أخفاها المؤلف:[19]

- [تضمين]: كان دوريان جراي جالسًا في استرخاء على مقعد كبير وثير بمكتبة اللورد هنري في بيته بحي مايفير.[20]
- [تصريح]: كان دوريان جراي جالسًا في استرخاء على مقعد كبير وثير بمكتبة اللورد هنري في بيته بحي مايفير الراقي الذي يسكنه أثرياء لندن.

على أن المبالغة بالتفسير قد تُضيِّعُ مقصد المؤلّف، لأنه رُبَّما يتعمَّد إيصال المعنى بكلمة واحدة مبهمة، بدلًا من بسطه أمام القارئ وكشفِ كُلِّ مقصده؛ وقد يضطرُّ المترجم إلى أن يستبدل بهذه الكلمة جملةً مُطوَّلة، لأن الكلمة لا مقابلَ لها بلغته، فيقعُ في فخّ التصريح.[21]

والتصريح مسألة خلافية كبيرة في الترجمة، فعليها مآخذُ كثيرةٌ لأن فيها تقوُّلًا على لسانِ المؤلف، وتفسيرًا ربَّما يخالف نواياه ومقاصده، وفي الوقت ذاتِه فإنّ الكلام الضمني لا يجوزُ نقله بين الثقافات حرفيًا، إذ قد يلزمُ التصريح عن شيءٍ منه. ولسنا هنا بصدد تقديم إجابة لمعضلةٍ عويصة، وإنَّما لعرضِ وجهات النظر حولها التي تؤخذ بعين الاعتبار، مثلها في ذلك مثل معضلات أخرى كثيرة، لعلَّ من أشهرها كيفية التعامل مع "الجنس" تذكيرًا وتأنيثًا.

10.3 مؤنث ومذكر

من المشاكل ذات الشأن في عصرنا كيفية "تحييد" الجنس في اللغة، لما ينطوي عليه -عادةً- من تمييزٍ واستبعادٍ للمؤنَّث في أحوالٍ كثيرة، وهو أمرٌ يتطرَّقُ إليه كثيرون في هذا العصر. ويرى بعض أساتذة العربية أن الضمائر المحايدة لا مكانَ لها أو لا حاجة إليها في لغة العرب، ومن ذلك ما يورده أحد الأساتذة في رسالةٍ له[22] عن أن التأنيث هو علامة مضافةٌ إلى الكلام، عُدَّت منها خمس عشرة علامة، وما خلاها فهو مذكّر بالأصل والمؤنث فرعٌ منه «كما خُلِقَت حواء من آدم».

وهذا ليس بالقول الجديد، فقد قال سيبويه منذ أكثر من ألف ومئتي عام: «إنَّ أصل الأشياء كلها التذكير ثم تختصُّ بعد». ويقول الباحث الفلسطيني إلياس عطا الله:[23] «لا حاجة لإجراء عمليّات تجميليّة في اللغة العربيّة

19 المعلومة المضمنة هنا تعد بديهية لجمهور المؤلف الأصلي ولكنها مجهولة للجمهور العربي، ولهذا فهي قريبة لموضوع "الأقلمة الثقافية" الذي سيأتي فيما بعد، على أنها تعد تضمينًا كذلك.

20 لويس عوض (2014): ص62

21 Baker (1992): p. 116

22 التذكير والتأنيث في العربية والاستعلامات المعاصرة. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني. ص 106، عدد 61، مارس 2017. ISSN 0258-1094 (متوفر رقميًا).

23 في كتابه "التذكير والتأنيث في اللغة: العربيّةُ بين حياديّة الجنس اللغويّ والحركة النِّسْويّة". الاقتباس مأخوذ عن مقال موقع فسحة من تأليف محمّد بلبول. تاريخ الوصول 2-2-2020.

وأضرابها»، قائلًا: إن التغليب في اللغة العربية «لصيغة المذكّر لا للذكر نفسه». وحُجَّة هذا الأمر هي اختلاف الجنس الحقيقي (مثل المؤنث في "أم" والمذكر في "أب") عن الجنس المجازي[24] أو الصرفي (مثل المؤنث في "السماء" والمذكر في "الرعد").

لكن هذا الرأي يُنْقِصُ من دور المرأة بـ"وأدٍ عاطفي واجتماعي" كما تقول أديبة عصر النهضة "عائشة بنت الشاطئ"،[25] فهو لا يتماشى مع متطلَّبات زمننا الذي يدعو إلى الحرية والمساواة، واللغات الحديثة تستجيبُ للدعوة لحقوق المرأة وتُغَيِّر خواصَّها الذكورية باستحداث الضمائر المحايدة، فأصبحت هذه الضمائر من أهمّ مشكلات الأدب والأكاديميات الحديثة.

يدعو التيار الحديث بعمومه إلى المساواة بين صيغتي التذكير والتأنيث أو الاستعاضة عنهم بضمائر محايدة، وهي ضمائر لعلَّها تنقص -فعليًا- من أكثر اللغات، إذ إن العربية ليست حالة مميزة أبدًا في تفضيلها "للمذكر"؛ سواء أكان ذلك تفضيلًا للذكر أم لا. ولهذا السبب قرَّر جمهور الكتاب باللغة الإنكليزية الاستعاضة عن كلمة "he" (التي كانت تعد في الماضي كلمةً "محايدةً" تصفُ الجنسين) بـ"they"، والأصل أن الكلمة الأخيرة هي للجمع حصرًا، لكن درج استخدامها الآن في محلّ المفرد لأن المذكر والمؤنث يجتمعان فيها بصيغة محايدة. وهذا الحلّ ليس سائغًا في اللغة العربية، **فجميع** الضمائر وأسماء الإشارة العربية (ما عدا ضمائر المتكلّم، "أنا" والضمير "نحن") تميّز بين الجنسين، ومنها: هم وهنَّ وأنتم وأنتنَّ وأنتَ وأنتِ وهذا وهذه. وهلمَّ جرًا.[26] وليس هذا فقط: بل إنَّ كل الأسماء العربية لها جنسٌ مذكّر أو مؤنّث، وكلّ الأفعال لها شكلان يتطابقان مع جنس الاسم، وعلى هذا فإنَّ اتباع الأسلوب الحداثي والنسوي في العربية يكادُ يكون مستحيلًا حتى ولو أرادهُ الكاتب والمترجم،[27] فقد يُقَال في جملةٍ من بضع كلمات: "على المسافر/ة أن تـ/يحمل معه/ا وثائقه/ا دومًا".

ومن الطرق القليلة التي فيها مخرجٌ من هذه المعضلة هي الأفعال المبنية للمجهول، وهذا ما تنحو إليه كثير من الترجمات التجارية، وهو ما يجعلها غريبةً وصعبة القراءة، فمن ذلك أن يقال في تعليمات منتجٍ ما: "يُغْسل الشعر بالشامبو برفقٍ ثم يُدْهن بكريم الفيتامينات" أو "تُؤْخَذ حبة واحدة من الدواء ثلاثَ مرات يوميًا".[28] والطريقة الأخرى التي يدعو إليها بعض الباحثين هي اللجوء إلى ضمير المتكلم (أنا أو نحن)، لأنها فئة الضمائر الوحيدة في العربية المحايدة جنسيًا،[29] فنقول: "علينا أن نحمل معنا وثائقنا دومًا عند السفر".

24 "مبادئ العربية في تأنيث الأسماء وتذكيرها: نظرة في مواجهة صعوبة الاستعمال" عبد الحميد الأقطش، جامعة أم القرى، ص 4.

25 "عندما تدخل المرأة إلى سوق العمل تلقب بالعضو والمحرر والأستاذ والمحاضر فتلغى عنها صفة الأنوثة، ويتطور هذا التحيز اللغوي عندما تعد الفصاحة والأصالة بجعل التذكير الأصل والتأنيث فرعًا مثل قول زوج فلان وليس زوجة فلان". مقتبسة عن مقال "المرأة واللغة: كيف تحول التّذكير إلى أصل البلاغة دون التأنيث؟" لنور علوان.

26 Baker (1992): p. 94

27 Baker (1992): p. 92

28 Baker (1992): p. 94

29 في كتابه "التذكير والتأنيث في اللغة: العربيّةُ بين حياديّة الجنس اللغويّ والحركة النِّسْويّة". الاقتباس مأخوذ عن مقال موقع فسحة من تأليف محمّد بلبول. تاريخ الوصول 2-2-2020.

وللباحث إلياس عطا الله اقتراحات متعمّقة في هذا السياق لتحييد جنس الكتابة العربية، دون الإخلال بأصولها النحوية والصرفية، وقد فصَّل هذه الأفكار في كتابه "التذكير والتأنيث في اللغة"، ومن الحلول التي يقترحها: استخدام الخط المائل (كحال: "كاتب/ة")، وضمير "نحن" لحياديته الجنسية، وأسمنة الأفعال لتحييدها ("على الطالب أن يُعدَّ واجبه" ← "المطلوب إعداد الواجب")، وصيغة المبني للمجهول ("تؤخَذ حبة من الدواء يوميًا")، كما ويدعو للاستعاضة عن بعض المُسمَّيات الذكورية ببدائل عامَّة (مثل "لجنة الآباء" ← "لجنة أولياء أمور الطلبة" و"غرفة المعلمين" ← "غرفة الهيئة التدريسية").[30]

والجنس المحايدُ ضروري في الاستخدام الحديث للغة وحاجةٌ ماسة لاستمرارها وازدهارها، فالضمائر الذكورية أمست مشكلةً حقيقية في اللغة ولا يجوزُ التحجّج أو التهرب منها بمبرّرات واهية مثل: أن "الأصل هو التذكير" (فلماذا لا تنعكسُ الآية ويغدو الأصلُ هو التأنيث؟). على أن هذه مشكلةٌ واسعةٌ لا تقتصر أساسًا على اللغة العربية، وإنما طالت معظم اللغات الحديثة التي فيها تصريفاتٌ للأفعال، مثل الألمانية واللغات الرومانسية وغيرها،[31] فكُلَّما زاد التصريف باللغة استحال تحييدها، والعربية من أكثر اللغات تصريفًا.

والحلّ لهذه المشكلة ليس بيد مترجمٍ ولا كاتبٍ وحيد، ولكن عدم إمكانية حلّها بعمومها لا يعني التغاضي عن تحييد الجنس في السياقات التي تسمح به، ولا عن محاولة نقل الضمائر المحايدة في الأصل الأجنبي نقلًا واعيًا حين التعريب، وهو مبدأ من مبادئ الأمانة والأخلاقية في مهنة المترجم.

10.4 أخلاق المهنة

المترجمُ هو الوسيط الوحيد بين القارئ الذي يتصفَّحُ الكتاب بلغته، والمؤلِّف الذي كتبهُ بلغةٍ أخرى، وهذا يضعُ مسؤولية أخلاقية كبيرة على عاتقه: فهو كاتبٌ يتحدَّثُ بلسان المؤلِّف ويزعمُ أنه ينقلُ أفكاره ومقاصده، وهو يتحمَّل -إذًا- وزرَ أيّ غلطةٍ أو تقصيرٍ في هذا النقل. ويرى الباحثون أن المترجمَ كاتبٌ، فهو يعيدُ -عمليًا- تأليف نصٍّ بلغةٍ جديدة وقد يصعبُ عليه (مهما حاول) أن يتجنب إضافة آرائه الشخصية إلى ما يكتبه، وألا يُعدِّل الأصل قصدًا أو عفوًا ليتوافق مع شروط لغته الأدبية[32] والثقافية، وهذا الأمر هو من أكبر التحديات التي عليه تذليلها.

على المترجم -بديهيًا- أن يلتزم الأمانة، وقد رأينا أن الحرص على الأمانة لا يحولُ دون بعضٍ من التصرّف بالترجمة، ولكن هذا لا يعني أن يتعمد الإخلال بمعانيها تأثُّرًا بأفكاره أو ميوله أو هواه. من أكبرِ المشكلات الأخلاقية والمهنية في الترجمة حذفُ النصّ وتغييره، وقد يُبرَّرُ هذا السلوك بحُجَّة العُرْف المجتمعي والديني

30 إلياس عطا الله، "تَخْنِيثُ اللّغة، بين التّذكير والتّأنيث قسم 2 من 2"، ديوان العرب. تاريخ الوصول في 26 يوليو 2020, من الرابط: https://www.diwanalarab.com خْنِيثُ_اللّغة

31 واللغات الرومانسية هي اللغات التي انبثقت عن اللاتينية، ومنها كثير من كبرى لغات أوروبا الغربية: كالفرنسية والإيطالية والإسبانية والبرتغالية، وكلها متشابهة جدًا في قواعدها.

32 Hatim & Munday (2004): p. 100

والسياسي، لكن إذا ظنَّ المترجم أن الكتاب أو المقال أو القصة التي بين يديه لا تليقُ بثقافته فلهُ أن يعتزلَ تعريبها منذ البداية لا أن يُحوِّر معانيها ومشاهدها، ولا سيما إن كانت الترجمة لعملٍ أدبي.[33]

وتثبتُ الدراسات أن المترجم لا يستطيعُ التخلّي عن نظرته، وأفكاره المسبقة واللاواعية حينما ينقلُ نصوصًا من ثقافات أخرى، فقد يستبعد (بقصدٍ أو بلا قصد) بعضًا من أفكار الكاتب حينما يحاولُ تقريبَها إلى القارئ،[34] ومن المُحَال فصل المترجم عن ترجمته مهما حاول واجتهد.[35] وتتجلَّى هذه المشكلة بوضوحٍ في الكتب التي تتناول موضوعاتٍ فلسفيةً أو دينيةً باللغة العربية، أو ما يُظَنُّ أنه يمسّ الدين والعقيدة، مثل: استبدال الكلمات التي تشيرُ إلى فكرة التطور الدراوينية بكلماتٍ عن الخَلْق ومعجزة الحياة، أو ما شابه.

ولو كان النصّ الأصليُّ فيه خطأٌ بنظر المترجم، كأن يمجّد اليهود ويذمّ العرب مثلًا، فليسَ للمترجم حيلةٌ إلا أن ينقُلَ الكلام مثلما هو، فتلكَ هي وظيفته لا أكثر، بل ولا حاجة به لأن يتبرأ فيه ممَّا قيل؛ لأنهُ ليسَ مسؤولًا عمَّا يُعرِّبه أصلًا، بل من الطبيعي والمُتوقَّع أن تتحدى الترجمة أفكار القُرَّاء وتتناقضَ معها بطريقة أو بأخرى؛ لأنها أتت من ثقافةٍ غريبةٍ عنهم.[36] ومسعى المترجم هو نقل النصِّ بأكبر دقَّة وأمانةٍ ممكنة، وأمَّا الحُكْم عليه واستحسانهُ أو استنكارهُ؛ فهو مشكلة يفضل أن يتركها لسواه.

والأمانة في النقل تعني أن يتجنَّب المترجم إسقاط أفكاره بوعيٍ منه على ما يترجمه، لكن هذا لا يمنعه من محاولة تكييف وأقلمة النصّ مع ثقافته بطريقة يظنُّ تُساعِدُ على فهم معاني هذا النص الأصلية، بل إن تلك ضرورة لا مفرَّ منها لاستكمال التعريب قلبًا وقالبًا.

10.5 الأقلمة

يقول الناس في اللهجات الشامية لأحبابهم كلمة "**تقْبرنِي**"، ومعناها حرفيًا: "أتمنى أن تدفنني في قبري". وتصلحُ ترجمة هذه الكلمة إلى الإنكليزية بطريقتين:

أولًا، يمكننا ترجمتها حرفيًا بأن نقول: "I wish you would dig my grave" أو "put me into my grave"، وهي جملة قد تتركُ أي قارئٍ أجنبي في أقصى درجات الحيرة والدهشة.

ثانيًا، يمكننا أن نحاول ترجمة المعنى ترجمة مُجرَّدة من كلّ وقع للعبارة الأصلية، مثل أن نقول: "I love you so much". ولكلا الحلَّين مشكلاته، لأننا نتناولُ هنا فكرة ثقافية فلا يكفي نقلها حرفيًا، وكذلك لا تجوزُ الاستعاضة عنها بجملة عادية يضيعُ فيها وقعها المُميَّز، وإنَّما تحتاج إلى تكييف وأقلمة.

33 للأعمال الأدبية قصة وأحداث مترابطة فيؤدي حذف أي منها لإخلال كبير بتسلسل القصة، وقد يألف هذه التجربة وآثارها من كانوا يشاهدون الرسوم المتحركة على قنوات التلفاز العربية، فكان الحذف والتعديل فيها مصدرًا لسخط المشاهين (حتى وهم أطفال أو مراهقون) ولعله شجع على الاتجاه نحو المشاهدة على الإنترنت.

34 Munday (2008): p. 132

35 مريم سلامة كار (1998): ص 91

36 Baker (1992): p. 249

مرَّت معنا فيما سبق تعاريف التعريب، ومن معانيه "الترجمة"، لكن لا تُقصدُ به الترجمة بمعناها المعتاد (أي نقل معنى الكلام من لغةٍ لأخرى) وإنما يمتدّ إلى أقلمة هذا المعنى وتعديله وتكييفه مع لغةٍ جديدة بما يتّفق مع جمهورها،[37] فالتعريب "أشمل من الترجمة"؛ وما الترجمة إلا وجهٌ من وجوهه.[3938] ويلفت التعريب نظرنا إلى أن الترجمة ليست مهنة آلية؛ وإنما هي مكتوبةٌ لقُرَّاء حقيقيين يرغبون بالاستفادة منها، وما قد يغيب هنا عن كثير من المترجمين (حتى من أتباع منهج التصرّف) أن أقلمة النصّ للقراء لا تنحصر بتعريب مقصده الحرفي ولا المجازي، بل بنقل ثقافة كاملة يختزلها ضمنه، ولا يمكن للمُعرِّب أن ينقل سمات هذه الثقافة المعقّدة بدون إجراء تعديلاتٍ جذرية على النصّ:[40] بما في ذلك تبديل أسلوبه أو موضوعه أو عنوانه كاملًا.

10.5.1 تاريخ موجز للزمن

> «ذات مرة ألقى عالم مشهور (يقال: إنه "برتراند راسل") محاضرة عامة عن علم الفلك، ووصف كيف أن الأرض تدور حول الشمس، وكيف تدور الشمس بدورها حول مركز لمجموعة هائلة من النجوم تسمى مجرتنا، وفي نهاية المحاضرة، نهضت سيدة عجوز ضئيلة في آخر القاعة وقالت: "إن ما تقوله لنا هراء. فالعالم في الحقيقة صفحة مسطحة مستقرة على ظهر سلحفاة ماردة". فابتسم العالم في تعال قبل أن يجيب: "وما الذي تقف عليه السلحفاة؟" فقالت العجوز: "إنك لبارع جدًا أيها الشاب، بارع جدًا. على أن **الأمر** كله سلاحف **بطول الطريق لأسفل**!"».
>
> — من ترجمة كتاب ستيفن هوكنغ: "تاريخ موجز للزمن".[41]

والجملة الأخيرة المقتبسة أعلاه تطرحُ تساؤلات وعلامات استفهام كثيرة، فكلمة "الأمر" هُنَا لا تعود على أي "أمر" فعليٍّ ذكرهُ المترجم في جملته السابقة، ولذا يجدُ القارئ نفسه في حيرةٍ من أمره وهو ما يزال في منتصف الجملة، وأما في نصفها الثاني فلعلَّنا نتساءل: ما هو "الطريق" الذي نتحدَّثُ عنه والذي يعجّ -كما يخبرنا المترجم- بالسلاحف؟ فهل هو شارع مُعبَّد (مثل: "أوقفتُ السيارةَ بجانب الطريق") أم هو رمزيّ (مثل: "اتبع طريق الحقّ") أم هو طريقٌ ثالث لا نعرفه؟ وما علاقة الطريق المكتظّ بالسلاحف في الحوار السابق؟

وربَّما يفهمُ معظم القراء مقصد المترجم أو يخمّنون شيئًا منه (وهو أن السلحفاة تَقِفُ على عدد لانهائي من السلاحف الأخرى، بعضها فوق بعض)، إلا أنّني لا أنسبُ الفضل للترجمة العربية، بل إلى أن كثيرًا من هؤلاء القراء على دراية -تقلّ أو تزيد- بالتراكيب الإنكليزية، وهو أمرٌ قد نعزوه -أصلًا- لكثرة الترجمات الحرفية مثل هذه. فكلمة "الطريق" التي تردُ هنا -مثلًا- هي نسخٌ حرفيٌّ لكلمة "way" بمعنى نُقرِّه إلى "الامتداد"، فلا تخدمُ سياقنا هنا بشيء إن تُرْجِمَت إلى "طريق"، ولكن القارئ العربي قد يعرفُ الكلمة الأجنبية فيسقطُها على ما قرأ.

37 علي النملة (1992): ص 12

38 علي النملة (1992): ص 13

39 Botha (2000): p. 168

40 Hatim & Munday (2004): p. 201-202

41 مصطفى فهمي (2006): ص 14

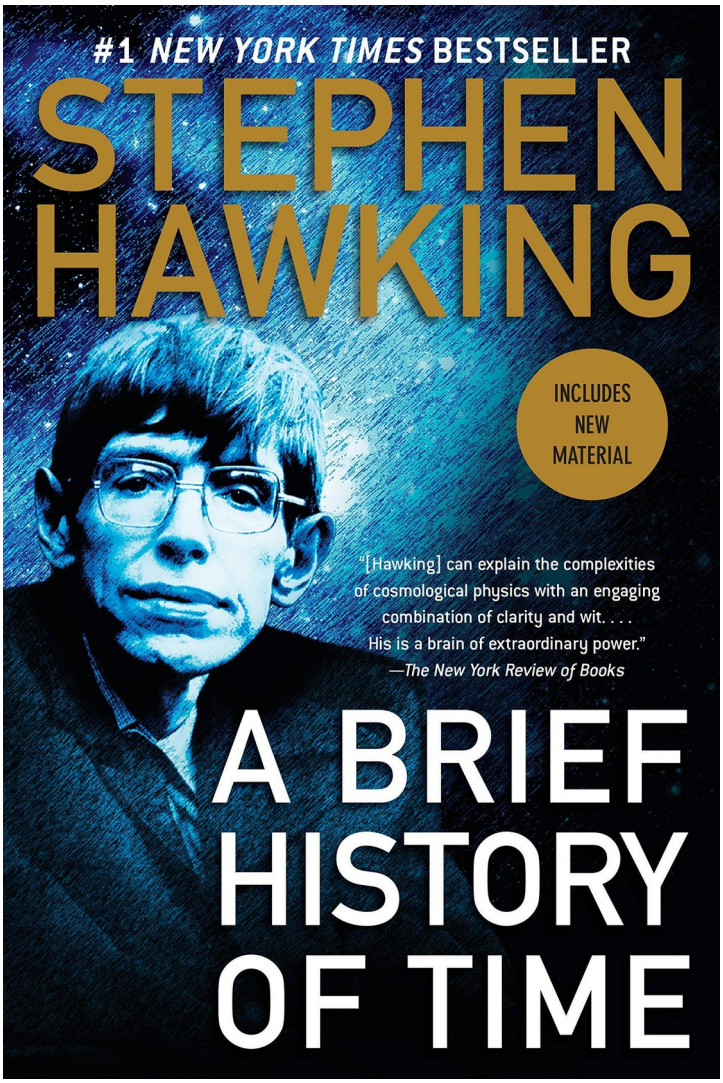

يعد كتاب "تاريخ موجزٌ للزمن" من أشهر الكتب في تاريخ الفيزياء، على أن محتواه ليس علميًا بحتًا، إذ إن فيه بعض الأمثلة والاستشهادات التي تَخْدِمُ غرضًا أدبيًا يتطلَّب إبداعًا في تعريبه. - مقتبسة تحت ترخيص الاستعمال العادل.

ويتّضح ضعف هذه الترجمة مباشرةً في حالتين: الأولى هي أن يقرأ الترجمة شخصٌ لا يتقنُ شـيئًا من اللغـة الإنكليزية فيجدُ فيها طلاسم يستحيل فهمها. والحالة الثانية هي أن تأتي ترجمةٌ حرفيَّة عن لغـة لا يألفهـا جمهـور القُرَّاء (مثل: اليابانية أو الروسية أو غير ذلك)، ووقتها لن يكون لهُم أيّ عونٍ في فهم الترجمة، وهـو أمـر واجهتـه - شخصيًا- مرات عِدّة في قراءة كتب مترجمة عن لغات غير مألوفة.

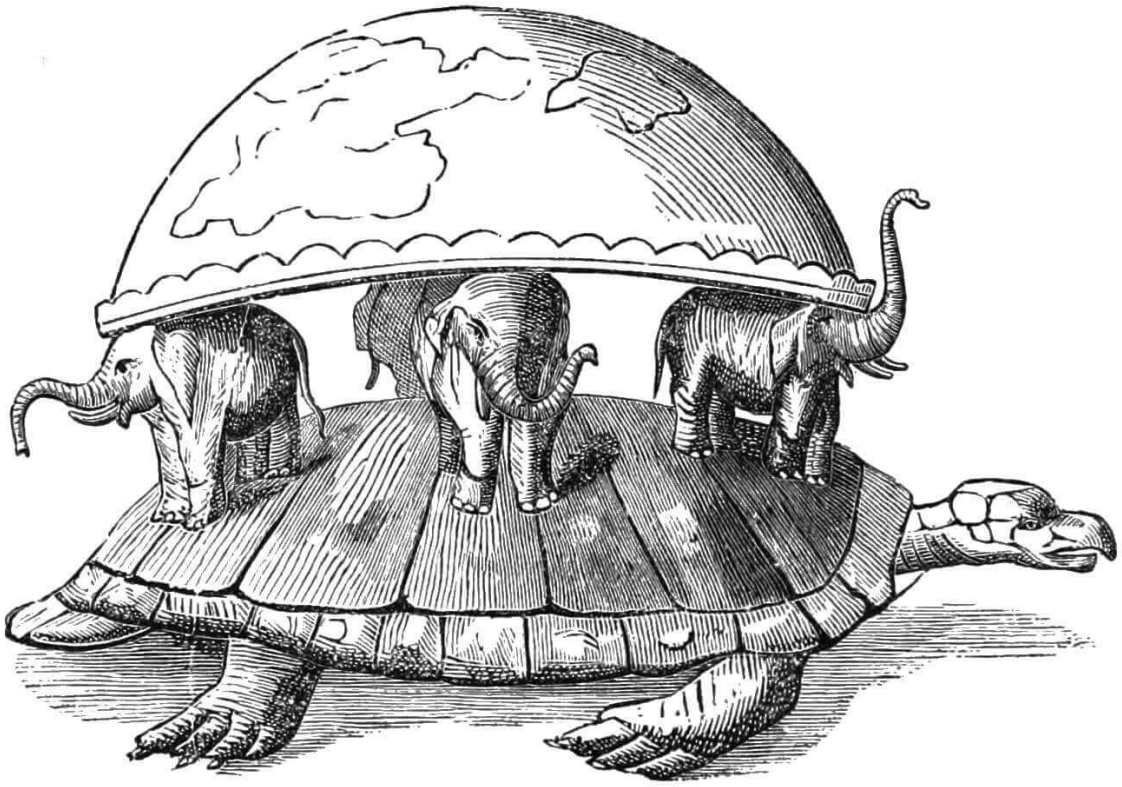

الأسطورة القائلة بأن العالم قائمٌ على ظهر سلحفاة، والتي ترجعُ أصولها للثقافتين الهندية والصينية، ويصفُها "ستيفن هوكنغ" في فاتحة كتابه. - منشورة ضمن الملكية العامة. المصدر: ويكيميديا كومنز.

على أننا نجدُ -لدى العودة إلى الفقرة أعلاه- أنها لا تقبلُ الترجمة إلى العربية بسهولة، فهي مبنيـة من بـدايتها إلى نهايتها بأسلوب غريب عن اللغة العربية، ويفيدنا في هذا الصدد أن ندرسَ الهدفَ من وجود هـذه الفقـرة في موضعها بكتاب "هوكنغ": فهي لا تخدم قيمة علمية، على عكس معظم محتوى الكتاب، بل هي افتتاحية الفصل الأول، والكاتب يحاولُ فيها أن يُلطّف الجوّ وأن يأسر انتباه القارئ؛ تمهيدًا للخوض في مواضيع فيزيائيـة معقـدة سوف يتناولها في هذا الفصل وما بعده. والهدفُ من هذه الفقرة -إذًا- ليس إرباك القارئ؛ بـل تقـريب النصِّ إلى قلبه بقصَّة خفيفة ومضحكة، ومن حقّ المترجم (بل ومن الأجدر به) أن يتلاعب بالقصَّـة وأسـلوبها ليثـيرَ مشـاعر مماثلة في نفس قارئه.

يستشهد "هوكنغ" في هذه الافتتاحية بمثلٍ ثقافي مشهورٍ في الولايات المتحدة ومجهولٍ خارجها، وهـو: أن "العالم قائمٌ على ظهر سلحفاة" (وهذه أسـطورة قديمـة تظهـرُ في سلسـلة قصـص واسـعة الشـهرة في أمريكـا، اسمها Discworld)،[42] كما يأتي "هوكنغ" عمدًا بشخصية يقول عنها: إنها: "امـرأة عجـوزٌ في آخـر القاعـة"، وهـذا وصفٌ مألوفٌ في الثقافة الأمريكية لامرأة عجوزٍ طويلة اللسان وقاصرة الفهم، ويصفُها "هوكنـغ" بهـذا الأسـلوب ليرسمَ صورةً عن شخصيتها في مخيّلـة قارئـه، لكنْ من الصـعب على المـترجم أن ينقـلَ هـذه الصـورة لأي لغـةٍ أخرى.[43] وتحتاج هذه الحالات الصعبة إلى حلولٍ مبدعة، ومن أمثلة هذه الحلول: الأقلمـةُ الـتي أتى بهـا مـترجمُ أو

42 Watt-Evans (2003): p. 25

43 Baker (1992): p. 32-33

مترجمة الكتاب إلى اللغة اليونانية، فاختلق قصَّة شبيهةً بأحداثها لقصَّة "هوكنغ"، لكنها تستشهد بشخصيات من رواية "أليس في بلاد العجائب"، والقارئ اليوناني -كما يبدو- يعرفُ أليس في بلاد العجائب وشخصياتها معرفةً راسخة، فيفهمُ الانطباعات المقصودة عنها، وفيما يلي ترجمةٌ للنص اليوناني:[44]

«ذاتَ مرَّة ألقت **أليس في بلاد العجائب** محاضرةً عن علم الفلك. ووصفت كيف أن الأرض تدور حول الشمس، وكيف تدور الشمس بدورها حول مركز لمجموعة هائلة من النجوم تسمى مجرتنا. وفي نهاية المحاضرة، نهضت **الملكة** وقالت: "إن ما تقولينه هراء، فالعالم في الحقيقة **ورقة لعب هائلة** ومُسطَّحة مثل أيّ **ورقة لعب**"، والتفتت نحو حاشيتها فصفَّقوا لها على تفسيرها، وابتسمت أليس في تعالٍ ثُمَّ أجابت: "وعلامَ وُضِعَت **ورقة اللعب** هذه؟". فقالت **الملكة**: "إنكِ لبارعةٌ جدًا **أيتها الشابة**، لكن **ورقة اللعب** هذه تحتها ورقة لعب ثانية وتحت تلك الورقة ورقة ثالثة وهلمَّ جرًا" ومضت حتى انقطعت أنفاسها قائلة: "فالعالم بأسره ليس إلا **كومةً هائلةً من أوراق اللعب**"».

وسآتي هنا بمثالٍ ممكن على أقلمةٍ عربية، ولو أن هذا الأسلوب غيرُ رائجٍ وربما غير متقبَّلٍ في التعريب حاليًا، واتبع خطى المثال اليوناني بأن استشهد ببديلٍ ليس عربيًا خالصًا، وإنَّما هو مجرد بديلٍ يألفهُ الجمهور العربي (وهذا الأهم في حالتنا):

«ذاتَ مرَّة ألقى **بطوط** محاضرةً عن علم الفلك، فوصف كيف أن الأرض تدور حول الشمس وكيف تدور الشمس بدورها حول مركز لمجموعة هائلة من النجوم تسمى مجرة "درب التبانة". وفي نهاية المحاضرة نهض **العم دهب** وقال: "إن ما تقوله هراء، فالعالم في الحقيقة **عملةٌ نقدية هائلةٌ** مُسطَّحة". وابتسم بطوط في تعالٍ ثُمَّ أجاب: "وعلامَ وُضِعَت هذه **العملة**؟". فقال عم دهب: "إنك لبارعٌ جدًا **أيها الشاب**، لكن هذه **العملة** تحتها عملةٌ ثانية وثالثة وهلمَّ جرًا" ومضى حتى انقطعت أنفاسه قائلًا: "فالعالم بأسره ليس إلا **كومةً هائلةً من العملات**"».

10.5.2 الإيحاء

قد تسمعُ في بعض اللهجات العربية كلمة "خواجات"، وهي في الأصل جمع الكلمة الفارسية "خواجة" ومعناها: الأستاذ والمعلّم، وما زالت هذه الكلمة متداولةً اليوم في كثير من بلدان المشرق العربي؛ فيُقْصَدُ بها سكان هذه البلاد من الأوروبيين البيض، لكن من يعرف الكلمة يدرك أن فيها إيحاءً إضافيًا مفادهُ التكريم وتعظيم الشأن لصاحبها بفضل أصوله الأجنبية. وهذا إيحاءٌ أو انطباعٌ عاطفيٌّ تثيرهُ اللغة في نفس المُتلقِّي؛ ولكلّ كلمةٍ في اللغة إيحاءاتها الدقيقة التي يعرفُها الناطقون بهذه اللغة ويستخدمونها بمواضيع دقيقةٍ للتعبير عن مشاعرهم ومواقفهم،[45] ولهذه الإيحاءات أهمية هائلة في الترجمة.

تعدُّ كلمة Home عصيَّة على الترجمة لمعظم أو سائر اللغات غير الإنكليزية، إذ إن فيها معاني مُبطَّنة وإيحاءاتٍ قد يصعبُ نقلها، فربّما تأتي بمعنى "المنزل" (مثل stay at home) أو "الوطن" و"المأوى"،

44 Baker (1992): p. 32

45 Hatim & Munday (2004): p. 38

مثل: "I belong home"،[46] على أن "الوطن" المقصود هنا ليس بلدًا بالضرورة (كما هو الحال في اللغة العربية) بل إنه يُضْفِي إيحاءً عاطفيًا بمعنى "الألفة" أو "الانتماء" على أي شي، فقد ينطبقُ على مكانٍ أو شخصٍ أو جمادٍ، وهذه طيفٌ واسعٌ من الأحاسيس التي لا مناص من إسقاطها في الترجمة العربية.

لا تقتصرُ الإيحاءات على المفردة الواحدة، بل قد تُختزلُ في تركيب الجملة وقواعد اللغة ولفظها. فاللهجات واللكنات مُحمَّلةٌ بإيحاءاتٍ عن العِرْق (مثل لكنة الأمريكيين السود) والمنطقة (مثل لهجة صعيد مصر) والطبقة (مثل لهجات المهاجرين من بلدانٍ غير عربية)، وقد تضيعُ كثير من هذه الإيحاءات في الترجمة لأنها مغروزة في الثقافة. وقد حدث -على سبيل المثال- أن بعض المُبشِّرين قصُّوا على سُكَان فنزويلا الأصليِّين ترجمةً لقصة صَلْب ومقتل يسوع المسيح، وتوقّع المبشّرون أن تهتزَّ لها قلوبهم؛ لكن القوم الفنزويليّين لم يفهموا القصة ولم يكترثوا لها، ففي ثقافتهم يعدُّ الاستسلام للموت علامةً على الضعف والهزيمة، وترجمة الكلام إلى لغتهم لم تكُن كفيلةً بترجمة إيحاءاته وانطباعاته العاطفية.[47]

ومثل قصة المسيح؛ فإن للكثير ممَّا يحكيه الناس -أو معظمه- دلالات واستنباطات يحاولُ المُتحدِّثُ والكاتب أن ينقلَها إلى المستمع والقارئ، لكنها ربما تستعصي على الترجمة. فالحديث بلكنة إيطالية في الأفلام الأجنبية يُقصدُ به أحيانًا الانتماء لعصابات المافيا (لكثرة الطليان فيها)،[48] والمتحدث بالعربية العامية يُعبِّرُ عن جانبٍ كبيرٍ من شخصيِّته إن ألقى التحية على أحدهم قائلًا "بونجو" أو "هاي" أو "مَرْحَبَا" أو "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته"، ومن التحديات الكبيرة للمترجم أن يحاول نقل هذه الإيحاءات إلى بديلٍ يفهمه القارئ.

تمتازُ المسلسلات التلفزيونية[49] عن الأدب بأن لغتها عامية أكثر، ولذلك تغصّ بإيحاءات مرتبطة بثقافة الشارع والناس في بلدٍ أجنبي، والتي قد يصعبُ نقلها إلى لغة أخرى. ويقالُ في ترجمة هاوية لمسلسل هزلي اسمه "Big Bang Theory":[50]

- You know, out of the four of us you have the most veal-like consistency.
- تعلم أن بين أربعتنا، أنت لديك الكثافة الأقرب للعجل.[51]

والمشكلة هنا هي أن الهدف من الجملة ليس وصف حيوان "العِجْل" بمعناه العلمي أو الأحيائي، بل في

46 Newmark (1991): p. 25

47 Hatim & Munday (2004): p. 39

48 Hatim & Munday (2004): p. 59

49 سوف تلاحظ في هذا الكتاب عدّة أمثلة مقتبسة من مسلسلات التلفاز وأفلام السينما وكرتون الأطفال، وترجمة هذه الإنتاجات (كتابيًا، وليس شفهيًا) تعد فرعًا مهمًا من الترجمة تُخصَّص له دراسات وأبحاث قائمة بذاتها وعددها بازدياد في السنوات الأخيرة، واسمها هو Audiovisual translation. ويستشهد الكتاب بأمثلة من هذا النوع لأنها تهمّ فئة لا يستهان بها من المترجمين حاليًا، وفيها مجاراة ضرورية للعصر بدلًا من الانكفاء على أنواع الترجمة المكتوبة التقليدية.

50 Big Bang Theory: season 8, episode 21

51 ترجمة مجهولة المؤلف، مقتبسة على الموقع الإلكتروني: faselhd.co

تشبيه الشخص بكائنٍ مشهورٍ بالضَّعف والضآلة في ثقافته. ومن غير المألوف في اللغة العربية التشبيه بالعِجْل في هذه الحالة؛ وإنَّما بالحَمَل، فمن الأولى القول أنه " الأقرب إلى الحَمَلِ" أو "الحَمَلُ الوديع" ضمن المجموعة.

وعلى المترجمِ هنا أن يأخذ بالحسبان مبدأ "الحدّ الأدنى"[52] الذي ابتدعه المترجم التشيكي "جيري ليفاي"، ويقتضي هذا المبدأ أن يضع المترجم الحد الأدنى اللازم من الجهد، لحَصْد أكبر عائدٍ ممكن في عمله: فالإيحاءات تكثرُ في الكلام كله وتتعذَّرُ ترجمتها مجتمعة، وإنْ كان على المترجم بذلُ جهدٍ هائلٍ وكتابة فقرة مُطوَّلة تشرحُ مزحة عابرة؛ فهذا يتجاوزُ التزاماته بكثير، ولكن إن كانت هذه المزحة متّصلة بحبكة القصة وضرورية لفهمها؛ فلا بُدَّ من تفسيرها للقارئ بطريقةٍ ما؛ إذ على المترجم دومًا الموازنة بين أهمية الإيحاء في النص الأصلي وصعوبة نقله إلى القارئ.[53] ولعلَّ هذه الموازنة تصبح أدعى حينما يكون الإيحاء مختزلًا في عنوان النص أو العمل نفسه.

10.5.3 أفلام ألمانية

لو حاولت -ذات مرة- مشاهدة أفلام أو مسلسلات مدبلجة عن اللغة الإنكليزية إلى لغاتٍ أخرى (وخصوصًا اللغات الأوروبية) فقد تلاحظُ أمرًا غريبًا، وهو أن عناوين هذه الأفلام باللغات الأخرى قد تختلفُ تمامًا عن عناوينها الأصلية، إذ تُفضّل كثير من مؤسسات الترجمة الأجنبية ابتكار عنوان جديدٍ للفلم، يختزلُ الفكرة الأساسية منه مع وضعها في سياقٍ يسيرٍ ثقافيًا على المشاهدين[54] (بدلًا من التعنّت بترجمتها حرفيًا)، والسَّبب هو أن الأفلام من أكثر الإنتاجات الفنية التي تتشرَّب الثقافة وتنغمسُ فيها، وقد يستعصي فهمها بدون أقلمة.

فلنأخذ مثلًا فلم Pulp fiction (صادر سنة 1994) للمخرج "كوينتين تارانتينو"، وهو صاحب سابع أعلى تقييم لفلم سينمائي بالتاريخ؛ بحسب قاعدة أفلام الإنترنت.[55] فلو ترجمنا عنوان هذا الفلم حرفيًا سيصبحُ معناه بالعربية: "الخيال الإغرائيّ"، لكنْ، لهذه الترجمة مشكلتان: الأولى هي أن الثقافة العربية ثقافة محافظة ومتديِّنة، ولذا فإن معظم المشاهدين لن يتقبَّلوا الاسم، وهو أمرٌ لا بُدّ للمترجم الجيِّد من أخذه في الحسبان. وأما المشكلة الثانية ولعلها الأكثر أهمية في سياقنا، فهي أن هذا العنوان لا يعني شيئًا للمشاهد العربي، فلو تخيَّلت نفسك مشاهدًا (عوضًا عن مترجمٍ) سمعَ بفلم عنوانه: "الخيال الإغرائي" فهل ستتشوَّق لمشاهدته أو تجدُ أيَّ علامةٍ تُخمِّنُ بها موضوعه؟

في عنوان Pulp Fiction اصطلاحٌ ثقافي يتركُ وقعًا دقيقًا جدًا في نفسِ المشاهد الأمريكي عندَ سماعه، فمعنى كلمة "Pulp" بحسب المعجم هو: "مجلَّة أو رواية مطبوعةٌ على ورقٍ رخيصٍ (كورق الصُّحُف) فيها مشاهدُ عنيفة وفاضحة"،[56] وهذا نوعٌ من المجلّات انتشرَ في الولايات المتحدة منذ عام 1900 إلى فترة الحرب العالمية الثانية، فلاقى رواجًا كبيرًا حينذاك،[57] ويُقلِّدُ الفلم طابعَ هذه المجلات لكثرة ما فيه من مشاهد ذات طابعٍ

52 Minimax Principle: ومعناه حرفيًا"الأدنى الأعلى".
53 Hatim & Munday (2004): p. 60
54 Lee (2018): p. 102
55 Internet Movie Database (IMDB)
56 Merriam-Webster Dictionary. 2020. Definition Of PULP. [online] Available at: <https://www.merriam-webster.com/dictionary/pulp> [Accessed 16 July 2020].
57 Bloom (2002): p. 64

قديمٍ ورخيصٍ، مع إضافة مشاهد عنيفة وإغرائية. ونَجِدُ -إذًا- أن للعنوان انطباعًا فريدًا جدًا محالٌ تعريبه، إذ تتضح مشكلة تعريب هذا العنوان لو عدنا إلى مثال "تقبرني" الذي تناولناهُ سابقًا، وربّما تتفقُ حينها بأن من حقِّ المترجم الجيِّد (ومن واجبه كذلك) أن يبتكرَ عنوانًا جديدًا لهذا الفلم أكثر انسجامًا مع الثقافة العربية، كأن نقول: "حكايات صفراء" تقليدًا لما يُقَال بالعربية عن المجلات والصحف الرخيصة "الصفراء".

من اللغات الرائدة في الابتكار والإبداع بترجمة الإنتاجات السينمائية؛ اللغة الألمانية، فهي لغةٌ لها استقلالية ثقافية عاليةٌ تحرصُ على تميزها عن الثقافة الإنكليزية، وتكثرُ تعديلات الأسماء فيها حتى إنها تأتي بنتائج غريبة، مثل: فلم "حياة حشرة" (A Bug's Life) من "بكسار" اسمهُ "Das große Krabbeln" (أي "الزَّحفُ الكبير"، بمعنى زحف أو حَبْو الحشرات) وفلم "موانا" (Moana) من ديزني اسمها "Vaiana" (وهو مشتقٌ من كلمة "Vai" أي "الماء" بلغة تاهيتي، رغم أنها لغةٌ لا يعرفها معظم المشاهدين الألمان).

من المسلسلات التلفزيونية الشهيرة الصادرة حادثًا سلسلة 13 Reasons Why، التي تتحدَّثُ عن فتاةٍ اسمها "هانا بيكر" سجلت ثلاثة عشر شريطًا صوتيًا تتحدَّثُ فيها عن أسباب انتحارها. ولو حاولنا ترجمة هذا العنوان حرفيًا إلى العربية سنخرجُ بشيءٍ مثل: "13 سببًا لماذا؟"، وهذه الصيغة ليست ذات معنى كبير في العربية لأنها -بالأصل الأجنبي- أقربُ إلى جملة خبرية من سؤال، وعلى عكس اللغة الإنكليزية لا يمكنُ اتباع كلمة "لماذا" العربية بجملة خبرية، مثل جملة: "That is **why** I went out"، والتي تتحوَّل في العربية إلى: "لهذا ذهبت"، إذ يحلُّ اسم الإشارة: "لهذا"؛ مكان اسم الاستفهام.

وفي اللغة الألمانية، اختارَ مدبلجو المسلسل نقلهُ إلى لغتهم بعنوان Tote Mädchen lügen nicht، الذي يعني حرفيًا "الفتيات الميتات لا يَكذِبْن". ويدلّ هذا العنوان على دراية مُتعمِّقة من المترجم بموضوع المسلسل، فخلال أحداثه يحاولُ كثير من الأشخاص التشكيك بمصداقية الأشرطة التي سجَّلتها هانا بيكر، واتهامها بالكذب وتحويرِ الحقائق، ويُلْقي عنوان المسلسل الألماني الضوء على هذا الجانب من السلسلة، بل ويردُّ عليه ببلاغة. والمجالُ هنا مفتوحٌ للإبداع والابتكار بالتعريب كذلك على غرارِ ما أَلْمَنَهُ الألمان، وقد نقول في أمثلة بسيطة قريبة من العنوان الأصليّ: "تسجيلات هانا بيكر الثلاثة عشر"، أو " ثلاثة عشر شريطًا غامضًا"، أو ما شابه. وطُبِّقَ هذا الأسلوب ببراعةٍ -مثلًا- في ترجمة عنوان سلسلة الأنيمي "Food Wars!: Shokugeki no Soma"، فأتى عنوانها على قناة نتفلكس: "لا سلام على طعام" وهي ترجمة تتجلَّى فيها روح الأقلمة الثقافية باستعارة تعبير عربيٍّ معروفٍ قديمًا وحديثًا.

غلاف المسلسل باللغة الألمانية. - مقتبسة تحت ترخيص الاستخدام العادل.

قد يظنّ البعض أن هذه الترجمات، التي تأخذُ حريَّتها بتعديل العنوان وإعادة صياغته، تُفسِدُ العناوين الأصلية للأفلام والمسلسلات، ولا شكَّ بأننا نُفضّل الإبقاء على العناوين والأسماء على أصلها متى ما أمكنَ ذلك، لأننا -في نهاية المطاف- لا نحاولُ ابتكار إنتاجٍ جديدٍ بل ترجمةً جديدةً لما هو موجود. والمسألة المهمة هنا دومًا هي أن التعريب ليس محضَ ترجمة، بل هو تكييفٌ وأقلمة لقارئ عربي، وتحوير الترجمة عن الأصل أفضلُ من ترجمة غير مفهومة، ولا تحملُ أيّ معنى **لثقافة** القارئ أو المستمع أو المشاهِد العربيّ، فالتحوير هنا جائزٌ إن دعت الضرورة إليه،[58] وهي تدعو إليه حتى يُصْبِحَ واجبًا في أحيانٍ كثيرة.

10.6 النقد الأدبي

لو قرأَ طفلٌ في المدرسة قصة مثل: "مزرعة الحيوانات" أو "كليلة ودمنة" فربَّما تعجبهُ لما فيها من حيواناتٍ عجيبةٍ ناطقةٍ تخوضُ مغامراتٍ مثيرة، لكنه رُبَّما لا يدركُ أن في هذه القصص إسقاطات[59] لمسائل جادة جدًا في الحياة الواقعية. ففي مزرعة الحيوانات منافسةٌ داميةٌ بين الشيوعية (ورمزُها الخنزير "نابوليون" الذي يحكمُ سائر

58 Lee (2018): p. 102

59 Allergories كما تُسمَّى أدبيًا

الحيوانات الأخرى) والرأسمالية (ورمزُها هو الإنسان الذين تتشبَّهُ به الخنازير في نهاية الرواية)، وفي كليلة ودمنة إسقاطًا دقيقًا لشؤون الحكم عند الملوك (ورمزهم الأسد، زعيم الغابة) وما يلقونه من غدرٍ من حاشيتهم (من دمنة الذي يوقعُ بالثور باحتياله وخداعه). ولعلَّ معظم المترجمين المتمرِّسين يفهمون مغزى هاتين القصَّتين، ولا يخلطونهما بقصص الأطفال، لكن قلَّة منهم قادرون على التعمُّق في الرموز والأفكار الأدبية العميقة الكامنة في الروايات والشعر وشتّى ألوان الأدب، والتي يستحيلُ على المترجم أن ينقلها إلى قارئه كما ينبغي؛ إن هو نفسُهُ أغفلها.

نشر الكاتب لويس كارول قصة "أليس في بلاد العجائب" في إنكلترا عام 1865، وزرعَ فيها صورًا كثيرة أراد منها -ضمنيًا- نقد المجتمع الإنكليزي في عصره، وكان هذا المجتمع وقتذاك متيَّمًا بالآداب الاجتماعية وحُسْن التصرف (الإتيكيت)، وتتناقضُ شخصيات "بلاد العجائب" مع هذا المجتمع لأنها تفتقرُ إلى العادات الاجتماعية قاطبةً،[60] وتكتظّ القصة بشخصيات كثيرة لها معانٍ رمزية، مثل: الأرنب الذي يقفزُ متفحصًا ساعتَه ومشتكيًا من تأخره، في صورة تذكّر بالموظفين الإنكليز الذين يركضون بين التزاماتهم كُلّ يوم دون أن يبلغوها أبدًا، ومثل "ملكة القلوب" التي يصعب إرضاؤها فتأمر بضَرْب عنق كل من لا يعجبها سلوكه، والتي تُمثِّلُ تزمُّتَ المجتمع البريطاني آنذاك وقسوته مع من يُخالِفُ أعرافه، وهَلُمَّ جرًا.

وخلف كل نص أدبي احترافي جذور ثقافية عميقة كهذه، حتى يمسي من المستحيل تعريبُه تعريبًا كاملًا ينقلُ للقارئ كُلَّ ما فيه من معانٍ،[61] لكنْ، للمترجم أن يُنْقِذَ بعضًا من هذه المعاني أو يُعوِّضها ببدائل تحلّ مكانها وتحفظُ للقارئ شيئًا من الفكرة، فتبقى ضلاعته بخفايا النقد الأدبي شرطًا ثمينًا في ترجمة الروايات والمسرحيات والأدب الرفيع. ولا ريب أن المترجم نفسَهُ قارئ يتذوَّقُ الأدب، إلا أن قراءته هي دراسة متعمّقة وتحليلية تختلفُ تمامًا عمَّا يقومُ به القارئ العادي.[62]

ويستعينُ الأدباء في كتاباتهم (وكذلك في الأفلام السينمائية والمسلسلات وكرتون الأطفال) بحِيَلٍ وأساليب فريدةٍ ربما لا يستوعبها جميع القرَّاء بالضرورة، على أن هذه الأساليب تحتوي على رسالة موسَّعة يريدها المؤلف من النص، ولا تقتصر هذه الرسالة على النصوص الأدبية الصَّرفة، فكثير من الكتب العلمية فيها هذه الأدوات أيضًا؛ مثلما رأيناه في كتاب "ستيفن هوكنغ". ومن أشهر أمثلة الأدوات الأدبية "الموتيفة"،[63] وهي حدثٌ أو فكرة أو محسوسٌ يتكرَّرُ في القصة فيعطيها عمقًا رمزيًا ومعنويًا، وللموتيفة أهمية فائقةٌ في كل نص أدبي؛ لأن الأدب قائمٌ على بناء الصلات والروابط وتكرار الأفكار.[64]

60 Botha (2000): p. 86

61 Breytenbach (1997): 68

62 Botha (2000): p. 79

63 Motif

64 Klitgård (2006): p. 79

الأرنب الذي "تأخّر عن مهامه" في قصة "أليس في بلاد العجائب". - منشورة ضمن الملكية العامة. المصدر: ويكيميديا كومنز.

على سبيل المثال: "Winter is coming" ("الشتاء اقترب")[65] هي جملةٌ تتكرَّرُ عشرات المرات في سلسلة "لعبة العروش" الشهيرة، فتتصلُ بها عناصر القصة، إذ تُنبئُ هذه الجملة القارئ -أو المشاهد- بفصل الشتاء الوشيك وما سوف يأتي بهِ من بردٍ ومتاعب (كما يرمزُ الشتاء عادةً) لأبطال القصة وشخصياتها، وتتضّح فحوى هذه الموتيفة حينما تتحوَّل الجملة إلى "Winter is here" ("الشتاء حَلّ") في المواسم الأخيرة، ثم حينما ينقشعُ الشتاء ويحلّ الصيف في نهايتها، فتكتملُ رمزية القصة في تناغُمِ "النار والجليد" (وهو عنوان الرواية الأصلية) أو الشتاء والصيف أو النور والظلام، أو متضادّات أخرى كثيرةٍ قد يُسْقِطُها عليها المحلّلون.

ومن أمثلة الموتيفات في الأدب: الوصايا السَّبْع في "مزرعة الحيوانات"، والتي يستغلّها الخنازير للتحايل على حيوانات المزرعة، فتصبحُ الوصايا وسيلةً للظُّلْم بدلًا من العَدْل. ومن أمثلتها -كذلك- المحارة في رواية "سيد الذباب"، والتي ترمزُ لسَطْوة القانون والانضباط، فلحاملها الحقُ بالكلام دومًا أمام الجماعة، ويكتملُ معناها

65 يجبُ أن تأتي كلمةُ الشتاء أولاً في الترجمة للحفاظ على مكانتها ومحوريتها مثلما هي الحال في الأصل، فإن بدأت الجملة بالفعل قلَّ ظهور الاسم الذي يتبعُه.

كموتيفة حينما يدفعُ أحد الأولاد الأشرار صخرةً نحو حاملها (وهو الولد "بيغي") فينسحقُ تحتها وتتحطَّمُ المحارةُ التي يحملها، ومعها آخر بقيةٍ باقيةٍ للمتجمع المتحضِّر على الجزيرة.

وعلى المُعرِّب هنا أن يُدقِّقَ في الموتيفات والرموز المحورية في القصة، فلا يجوزُ حذفها ولا التقليلُ من ظهورها في النص، وربما يخالُ المترجم المبتدئ أن هذه الموتيفات هي عناصر عشوائية مبعثرةٌ دون صلة واضحة؛[66] فيرتكبُ خطأً جسيمًا بأن يترجمها في كلّ سياقٍ بصيغةٍ جديدةٍ أو يُسمِّيها بمصطلحٍ مختلفٍ، فتضيعُ فكرتها أو لا تتضّح العلاقة بينها وبين مسار القصة. وليس هذا سوى عنصرٍ واحدٍ من عشرات العناصر والأدوات الدارجة في الآداب التي ينبغي دراستها والانتباه إليها لمن يَهُمُّ في تعريبها.

10.6.1 البلاغة

يقالُ أن الأدباء فئتان: فئةٌ تُتَـرْجَمُ (أي يصلح أدبها وكتابتها للترجمة)، وفئةٌ لا تُتَرجَمْ. والمقصود هو أن أصحاب الفئة الأولى يكتبون الأدب للحديث عن فحوى وعبرة؛ مثل وضع كتاب في علم من العلوم، وأصحاب الفئة الثانية يكتبونه للتفنّن باللغة والكشف عن مكامن جمالها وبلاغتها؛ مثل الشعر وغيره. وعبرةُ أدب الفئة الثانية هي في لغته وأسلوبه،[67] لكن الترجمة تنقلُ المعنى وليس الجمال ولا البلاغة.

أداء واقعي لمسرحية "بيت الدمية"، التي تتمحور قصّتها حول كيفية تحكّم "تورفالد" بزوجته "نورا". - منشورة ضمن الملكية العامة. المصدر: ويكيميديا كومنز.

66 Klitgård (2006): p. 79

67 Rose (1976): p. 19

مثلًا، يقول "تورفالد" في بداية مسرحية "بيت الدمية" لهنريك إبسن (بحسب ترجمتها العربية):[68] «أهذه أرنبتي الصغيرة التي تمرح؟»، فتجيبهُ زوجته نورا: «نعم»، فيسألُ ثانيةً: «ومتى عادت الأرنبة؟»، فتخبرهُ نورا وهي تتناولُ قطعةً من السكوت وتمسحُ فمها أن يأتي ويرى ما اشترت، فيفتحُ باب غرفته لينـدهش من كثرة ما اشترت، ويقول لها مداعبًا: «أعادت مُسْرِفُتي الصغيرة إلى [التبذير] مرة أخرى؟» ولهذا الحوار أهميَّة فائقةٌ في الكشف عن شخصيات المسرحية وحبكتها، ويدلُّ اختيارُ الكلمات في ترجمته العربية على براعةٍ فائقةٍ في نقلِ جمال هذا الحوار.

فجملة "أرنبتي الصغيرة" أصلُها "my little squirrel" (أي "سنجابتي الصغيرة")، وهذا تشبيهٌ بلاغيٌّ وأدبيٌّ اختارهُ المؤلّف لسببين (وربما أكثر): أولًا ليرينا أن زوج "نورا" يعتبرها مثل "حيوانٍ أليفٍ" يملكه لا "إنسانًا" مستقلًا أو قادرًا على تدبّر أمره. وثانيًا ليدلَّ على طباع "نورا" وشخصيتها كما يراها زوجها، ولا سيما أنها تظهرُ في المشهد نفسه وهي تقضمُ البسكوت "مثل السنجاب"، ويبدعُ المترجم في التعويض عن هذه المفردة بـ"الأرنب" في العربية، والأرنب تشبيهٌ سائغٌ أكثر للقارئ العربي، ولكنه ينقلُ المعنى الأدبي المقصود، وعلى الرغم ذلك فهو يظلُّ تشبيهًا "غريبًا" فيحفظُ غُرْبة الترجمة. ونرى أن اختيارات الكلمة الأخرى، مثل "مُسرِفَتِي الصغيرة" بل وعنوان المسرحية نفسه (وهو بيت الدمية) يُلمِّحان إلى الفكرة نفسها، والتي لن يُفْلِحَ المترجم في حفظها إن لم يلحظها أولًا.

وقد نَصِفُ هذه المفردات الدقيقة على أنها علامات على بلاغة الترجمة، إذ يقول "معجم الدوحة التاريخي" في تعريف البلاغة: إنها «إجادة القول باختيار **أحسن لفظٍ** وأوجزه وأدقِّهِ في التَّعبير عن المعنى المُرَاد»،[69] وفي تعريف الفصاحة أنها: «حُسْن البيان مع **الإصابة في القَوْل**»،[70] وفي الترجمة قدرٌ هائلٌ من البلاغة والفصاحة لا يشعرُ بها المرء إلا بالتمرُّس والخبرة، فكلُّ كلمة في الأدب (أو الأدب المتقن) يختارُها الكاتب بعنايةٍ شديدةٍ لمعناها ووقعها ومزاياها الصوتية والجمالية وتناغمها مع باقي الكلمات، وعلى المترجم أن يفهم هذه السِّمات اللغوية، وأن يدرسها ويسعى إلى صَوْنِها إن استطاع.

وفي ما جاء أعلاه سمةٌ نالَت حظًا وافرًا من الدراسة والاهتمام من المترجمين هي "Markedness" ، ولعلَّ أفضل ما يُقرَّبُ به هذا المصطلح إلى العربية هو "الفصاحة"، ويُقصدُ به أن يكون وقع الكلمة في نفس القارئ أو المستمعِ مألوفًا وعاديًا على عكس ما إن كان وقعًا غريبًا يدفعهُ إلى التوقّف والتأمّل (مثل: كلمة "أرنبتي" في هذه الحالة). وكثيرًا ما يقصدُ المؤلِّفُ أن يختار مفرداتٍ لها وقعٌ غريبٌ وخاصّ، وقد ينجحُ المترجم بالحفاظ على هذا الطابع أو قد يستعيضُ عنه بمفردات لها وقعٌ عاديٌّ في اللغة التي يترجمُ إليها، وهذا خطأ واضح.[71]

68 كامل يوسف (2007): ص 18

69 معجم الدوحة التاريخي للغة العربية. 2020. تعريف كلمة "الفصاحة". [مصدر رقمي] بَلَاغَة [تاريخ الوصول 16 يوليو 2020].

70 معجم الدوحة التاريخي للغة العربية. 2020. تعريف كلمة "الفصاحة". [مصدر رقمي] فَصَاحَة [تاريخ الوصول 16 يوليو 2020].

71 Hatim & Munday (2004): p. 69

اختيار الكلمات في الكتابة مهمٌّ جدًا لأن كُلَّ ما يُكتبُ له أسلوبٌ وألفاظٌ تختلفُ حسب موضوعه، فالأخبار الصحفية -مثلًا-[72] تعتمدُ على اللغة الجادَّة التي تسردُ وقائع واقتباساتٍ متتاليةً، والكتب الفقهية تتناولُ أحكامًا دينيَّة لا يجوزُ الزجّ بينها بمزحة أو هَزْل عابر. وممَّا يدلُّ على أهمية الأسلوب، أن لكلِّ نوعٍ من الأدب جمله المعروفة التي يتوقَّعها القارئ، فلعلَّك تعرفُ موضوع النصّ إذا كانت فاتحتهُ: "بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين" أو "كان يا مكان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان". ولكن هذه أمثلةٌ فاقعة واضحة، ويحدثُ في حالاتٍ كثيرةٍ غيرها أن يسيءَ المترجمُ فهمَ التركيب البلاغي الذي يستخدمهُ الكاتب لإضفاء طابعٍ مقصودٍ على كتابته.[73]

وقد نأخذ على ذلك مثالًا حداثيًا من جملة "forget about it" التي تتكرَّرُ عشرات المرات في فلم "دوني براسكو"،[74] والذي يتناول قصة حقيقية لعميل أمريكي اخترق صفوف عصابات المافيا، والتي تكثُرُ في لهجتها هذه الجملة (والواقع أن الجملة تأتي في هذا السياق كمثل "موتيفة"، لكننا سنتغاضى عن ذلك لأغراض الشرح)، حتى إن في الفلم ذاته مشهدًا مطوَّلًا يشرحُ معانيها العديدة. وفيما يلي اقتباساتٌ من الفلم ومن ترجمته العربية على قناة نتفلكس، مع دلالات الجملة بحسب مكانها:[75]

اقتباس	ترجمة نتفلكس	المعنى
What's that, you want me to sign it? **Forget about it.**	- ماذا؟ تريدني أن أوقّعها؟ - **انس الأمر**.	[حرفيّ]: **دعكَ من الأمر.**
Is he a good old guy? **Forget about it.**	- هل يمكن الاعتماد عليه؟ - **انس الأمر**.	[موافقة]: **بلا شكّ**.
A Lincoln is better than a Cadillac? **Forget about it**	الـ(لينكولن) أفضل من (الكاديلاك)؟ **انس الأمر**.	[نفي]: **مستحيل**!
I'm known, forget about it	أنا شهير. **انسَ الأمر**	[توكيد]: **لا يساورنَّك الشك**
Forget about it, I ain't doing it	**انس الأمر**، لن أفعل ذلك	[حسم]: **لا تناقشني**

والنقد الأدبي وما فيه من أدوات قصصية وبلاغية هو بحرٌ واسعٌ، ولا تكفي هذه المساحة لتغطية قسمٍ يذكر من آثاره وتداعياته على التعريب، لكن الهدف هو أن يعرف المترجم الذي يعمل في هذا المجال أن النقد موضوعٌ غنيٌّ ثمينٌ ولا يفهمُ المرء الأدب دونه، ولا يصلحُ لتعريب الرواية والمسرحية والقصة من لم يتسلَّح به. ويُنصحُ من يطمح إلى الترجمة الأدبية أن يتعمَّق في هذا الموضوع، بل وأن يدرسهُ كاختصاص دراسي. إلا أن مشكلات

72 Hatim & Munday (2004): p. 88
73 Hatim & Munday (2004): p. 90
74 العنوان الأصلي: Donnie Brasco (إصدار سنة 1997)
75 من حقِّ المترجم في هذه الحالة أن يترجم الجملة حرفيًا في كل مواضعها (أي إلى "انس الأمر") لأن لصورتها الحرفية قيمةً قصصية في حبكة الفلم قصدها المؤلف بتكرارها كثيرًا وبتخصيص مشهدٍ كاملٍ لها يُفسِّرُ معانيها وقيمتها الثقافية، فهي أقربُ إلى موتيفة، ولذا فالمثال توضيحيٌّ بحتٌ وليس نقدًا للترجمة.

الثقافة في الترجمة لا تقتصر على ما قد يبذله المترجم من جهد في فهم النصّ وتحليل ما فيه، بل وفي كيفية تعويضه بثقافة أخرى.

10.7 اللهجات الدارجة

يقول طبَّاخ السفينة في ترجمة لرواية موبي ديك:[76] «إنتوا هيوانات قرش وهو بطبؤه شره كتير، لكن بردو أقول لكم يا إكواني إنه الشره داك - امنأوا اللطم بالدنب! كيف ممكن تسمأوا ان كان بقيتوا مسمرين في اللطم والأض الملئون هناك؟».[77] والطباخ هنا (واسمهُ "فليس العجوز") هو عجوزٌ زنجي ينطقُ الحروف والكلمات بلكنته، فيقول "dat" بدل "that" و"zay" مكان "say"، وارتأى المترجمُ محاكاة هذا الأسلوب بالعاميَّة المصرية لنقل شيءٍ من الواقعية الاجتماعية التي أرداها هيرمان ميلفل، و"تعويض" اللهجة باللهجة بهذه الطريقة هو من الأساليب الشائعة في ترجمة الأدب.

اللهجات مسألة شائكةٌ لها أبعادٌ سياسية ومجتمعية. فاللهجة في علم اللسانيات هي فرعٌ من اللغة، تختلفُ فيه بعض المفردات ومخارج الحروف وشكل الألفاظ، على أن غير الناطقين بها يفهمونها دون حاجةٍ لتعلّمها (وُيسمَّى هذا "الفهم المتبادل" بين اللهجتين)،[78] إلا أن اللهجات تُعبِّرُ -أيضًا- عن انتماءات جغرافية واجتماعية وعرقية للمتحدثين بها،[79] فالأمريكيون السود لهم لهجةٌ غير البيض، وسُكَّان المدن لهجتهم غير سُكَّان الريف. وقد كان من الشائع قديمًا ألا يُعتدَّ إلا بلهجة واحدةٍ من اللغة لتصلُحَ لكتابة الأدب[80] (مثل الفصحى بين اللهجات العربية[81] والبريطانية في الإنكليزية)، لكن هذا الأمر تغيَّر فصار الأدباء يُدخلونَ اللهجات العامية في كتاباتهم؛ لينقلوا كلام الناس بواقعية، ولذا أصبحت ترجمة هذه اللهجات من لغةٍ إلى لغةٍ معضلةً عصيبة.

76 إحسان عباس (1980): ص 478

77 المقطع في الأصل: "Do you is all sharks, and by natur wery woracious, yet I zay to you, fellow-critters, dat dat woraciousness—'top dat dam slappin' ob de tail! How you tink to hear, spose you keep up such a dam slappin' and bitin' dare?"

78 Berezowski (1997): p. 10

79 Berezowski (1997): p. 12

80 Berezowski (1997): p. 13

81 Rouchdy (2009): p. 24

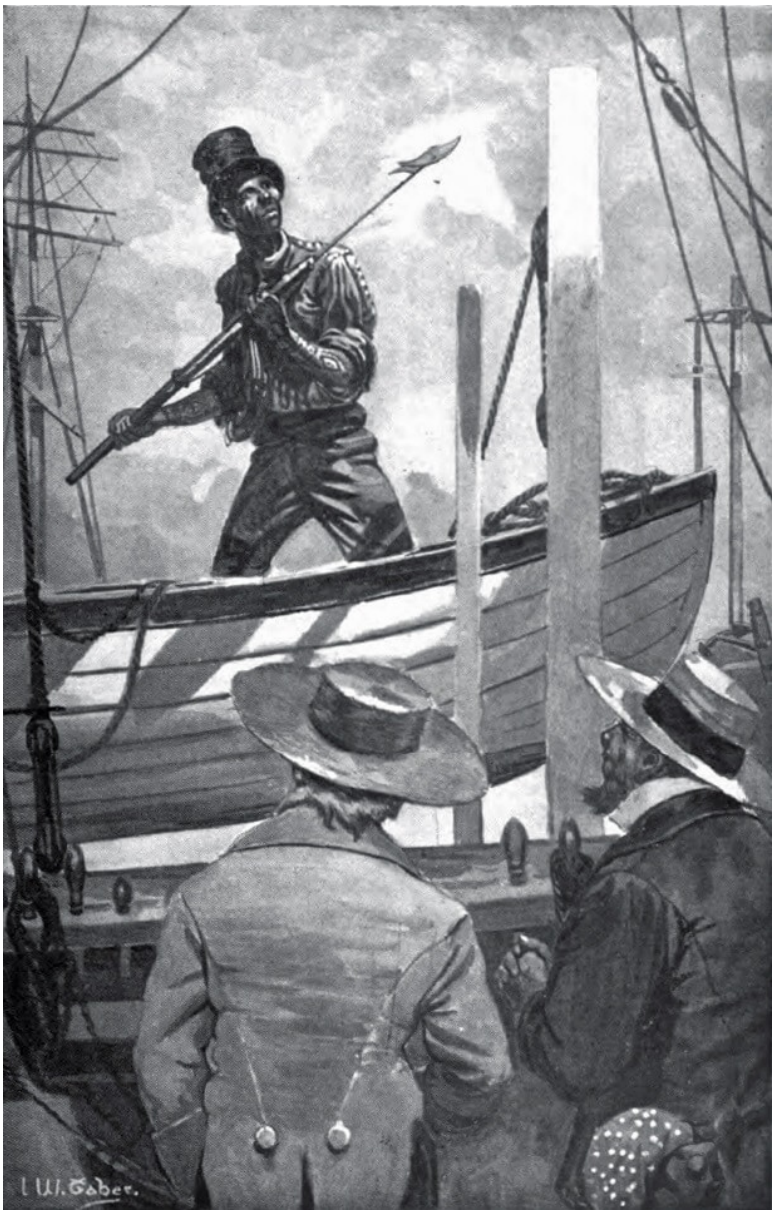

تُصوِّر رواية "موبي ديك" حياة بحارة بسطاء على متن سفينة لصيد الحيتان، فتحتاجُ لمحاكاة لهجاتهم العامية بواقعية. - منشورة ضمن الملكية العامة. المصدر: ويكيميديا كومنز.

إن هدف الترجمة الأسمى هو أن تُقرِّبَ نصًا من لغة أجنبية إلى لغة يألفها القارئ، لكن المعضلة هنا أن بعض النصوص فيها تنوع لغويٌّ لا يجبُ أن يألفه القارئ أصلًا: فاللهجات كلام غير مألوف له دلالاتٌ قوية على الطبقة الاجتماعية، واللكنات والمفردات لها دلالةٌ على سمات شخصيَّةٍ في الحديث تُميّز كُلَّ إنسان عن سواه، واللغة تتغير مع الوقت فتكسبُ نصوصها التراثية طابعًا عتيقًا،[82] ويستعينُ الأدباء بهذه الصنوف اللغوية قصدًا[83] فيأتون بلهجاتٍ تختلفُ في نطقها أو مفرداتها أو تراكيبها النحوية والصرفية عن اللغة الفصيحة السَّائدة،[84] وبين هذه اللهجات ولغتها -دومًا- علاقةٌ مُميَّزة لا يمكن نقلها إلى أي لغة سواها.

82 Berezowski (1997): p. 20

83 Munday (2008): p. 99

84 Berezowski (1997): p. 43

وتكثر اللهجات واللكنات في الأعمال الأدبية الحديثة نسبيًا،[85] ومن أشهر أمثلتها روايات "تشارلز ديكنز"؛ التي تُصوِّر طريقة حديث العُمَّال الفقراء في بريطانيا بالقرن التاسع عشر. وينقلُ معظم المترجمين العرب هذه الروايات وما فيها من حوارات إلى لغة عربيةٍ فصيحة، وهذه مشكلةٌ لأن العربية الفصحى لغةٌ تقتصرُ على الكتب؛ ولا أحد -تقريبًا- يتحدَّثها مع عائلته أو أصدقائه في عصرنا، فكيفَ -إذًا- يمكنُ لهذه اللغة أن تنقل الطابع الثقافيّ الذي أرادَهُ "تشارلز ديكنز" في رواياته، وهو يقصد أن يصف لهجة المواطن الإنكليزي الفقير؟ مثلًا، يقول "جو غارجيري" في ترجمة عربية لمشهد من المشاهد الأخيرة في رواية "آمال كبيرة":[86]

> "نعم يا بيب، يا صديقي العجوز...لقد سمعت بعض الأخبار عن ذلك، وهذا لا يهمني بالمرة، مثل هذه الأشياء لا أهمية لها بين الأصدقاء الحقيقيين".

وفي هذه الترجمة قصورٌ هائلٌ لأنها تُصوِّرُ جو وكأنه رجل متعلّم يتحدث لغة فصيحة وكأن الناطق بها أستاذٌ من الأساتذة، ولكنه في الرواية حدادٌ فقيرٌ يتكلَّمُ لهجةً عاميةً متضعضعة، فيقول "wery" (مكان very) و"lookee" (مكان look)[87] ولم يختر ديكنز هذه اللهجة عبثًا وإنَّما لها قيمةٌ جوهريَّة في الحبكة، إذ إنَّ "جو" يتملَّكهُ التوتّر والارتباك كُلَّما تحدث أمام الناس؛ وذلك لأنه رجلٌ قليلُ الأهمية في المجتمع، بينما صديقه وبطل القصة (واسمه "بيب") هو سيّد فاضلٌ[88] محترم وثري. وقد كان حلم "بيب" منذ بداية الرواية أن يغدو سيدًا فاضلًا، لهذا فإنه يخجلُ من أن يراهُ الآخرون مع صديقه الفقير "جو"، لكنَّه يدركُ فيما بعد أن "جو" -رغم منزلته المتدنية اجتماعيًا وحديثه العامي- يتحلَّى بصفات السيد الفاضل أكثر من ذوي الجاه والمال. ويساعدُ تفاوتُ اللهجة في مشاهد القصة (لو أجاد المُعرِّبُ تعريبها) على استيعاب هذه العبرة والتباين بين "جو" وباقي الشخصيات، ممَّا يعودُ بنا إلى ما يحتاج إليه المترجم من باعٍ وخبرةٍ في أدوات تحليل الأدب وفهمه.[89]

---

85 Munday (2008): p. 138

86 مختار اليوسفي (2001): ص 263-265

87 "Did you hear anything of his circumstances, Joe"?

"Not partickler, Pip."
"If you would like to hear, Joe—" I was beginning, when Joe got up and came to my sofa.
"Lookee here, old chap," said Joe, bending over me. "Ever the best of friends; ain't us, Pip"?
"Wery good, then," said Joe.

88 المقصود هنا هو Gentelman، وهي موتيفة في الرواية وجزء من رمزيتها ورسالتها.

89 Pukari (2015): p. 13-14

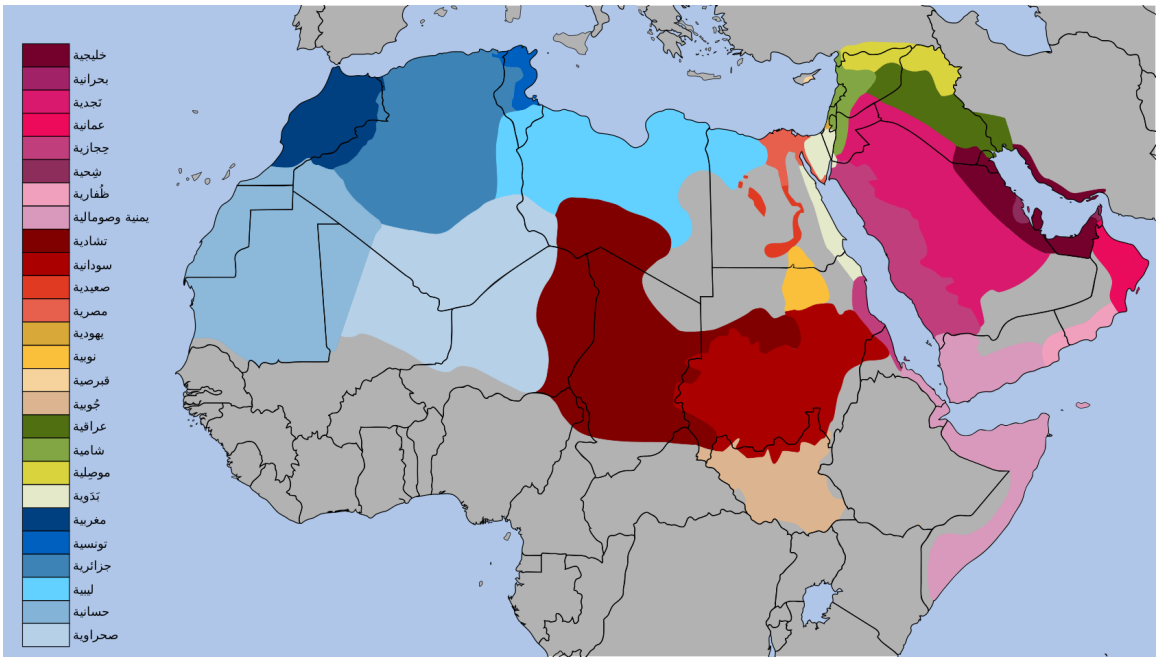

للغات لهجاتٌ متنوّعة تحملُ كل منها ثقافة تخصّ منطقةً وفئةً من الناس دون غيرها، وتستخدم هذه اللهجات لزرع انطباعات مدروسةٍ في الأدب. - منشورة تحت ترخيص CC-BY. المصدر: ويكيميديا كومنز.

ويستعينُ المترجمون على مشكلة اللهجات هـذه بطريقـة الأقلمـة، فيـأتون بلهجـات قرويـة أو مُهمَّشـة من لغتهم؛ للتعويض عن العامية في اللغات الأخرى، كما رأينا في المثال البارع من رواية "موبي ديك" المُعرَّبة. ومن أمثلة ذلك -أيضًا- أن "شيموس هيني" عوَّضَ في ترجمته الشهيرة لقصيدة "بيولف" عن اللهجة القديمة للإنكليز (التي كانت ذات طابعٍ بدويّ وعاميّ اجتماعيًا) بلهجة المـزارعين الإيرلنـديين في الـوقت الحاضـر، والـتي تحفـظُ عناصرَ بائدةً كثيرة من الإنكليزية القديمة.[90]

وتتّسم اللهجات العاميَّة المعاصـرة بسـماتٍ مُحـدَّدة يدرسـها اللغويـون ويحلّلـون طريقـة اسـتخدامها، ومن أمثلتها الشائعة التي قد يواجهها المترجم من اللهجات الإنكليزية هي تكـرارُ النَّفي، مثـل جملـة: "Sorry I ain't got no money" (وقد تكرَّر النفي فيها، مرة بأداة not ومرة بكلمة no). وتجوزُ ترجمة هذه الجملة من منطلقَيْن: إمَّا بترجمتها إلى لهجة عربية سائدة في المناطق المُهمَّشة؛ لتُعبِّرَ عن الفئة الاجتماعية المقصودة،[91] أو بترجمتهـا إلى عربيةٍ فصيحة فيها خاصيَّة اللهجة التي استعانَ بها المؤلف هنا (وهي تكرارُ النفي مـرَّتين) فتحتفـظُ بالسِّـمَة اللغوية التي أرادها المؤلف:[92]

- معذرةً فلا مال ليس بحوزتي.
- والله يا زلمة معيش ولا قرش.

90 Munday (2008): p. 175
91 Berezowski (1997): p. 28
92 Berezowski (1997): p. 30

والأسلوب الثاني غير شائع في الترجمات العربية بَعْد، ولو أنه الأصلح في سياقات كثيرة، فهو ينقلُ روح الطبقة المقصودة اجتماعيًا وليس السمات اللغوية والنحوية الجامدة للهجات التي رُبَّما لا يفهمها القارئ. لكن على المترجم إن سلك الطريق الثاني أن يتوخَّى أشدَّ الحذر، لأن اللهجات نوعان: لهجاتٌ اجتماعية (تقسمُ الناس حسب طبقتهم وتعليمهم) ولهجاتٌ جغرافية (تقسمُ الناس حسب مكان معيشتهم)، والجمهور العربي يعزو فروق اللهجات غالبًا لاختلافات جغرافية لا اجتماعية، وهذا يعني أن الاستشهاد بلهجةٍ عربية في الترجمة قد يُفسِّرهُ القارئ على أنه انتقاصٌ لشعبٍ بكامله، على أن ولو كان المقصود -كالحال هُنَا- هو استعارة لهجة واقعية لفئة من الناس تتحدث عنها الرواية (مثلًا: طبقة العامة)، **وليس** استعارة لهجة بلدٍ بعمومه.

ولهذه الطريقة سلبيات أخرى: فهي تستوجبُ من المترجم تعمقًا باللهجات العربية الدارجة، وهو أمرٌ صعب،[93] ثُمَّ إن فيها غموضًا مبهمًا، فكيف للمُعرِّب أن يجدَ دومًا لهجةً مماثلةً في الثقافة العربية -مثلًا- للهجة الطبقة العاملة في لندن أو سكان أسكلتندا؟ فلكلّ لهجةٍ سماتٌ ثقافية فريدة تُميزها عن غيرها.[94] ولعلَّ استبدال اللهجات الأجنبية بمثيلاتها العربية أسلوبٌ مناسبٌ في أدب الأطفال وفي السياقات العامة، إلا أنه قد لا يصلحُ إن كان لهذه اللهجات وظيفة في حبكة القصَّة، كفلم تاريخي عن بطل أسكتلندي ("وليام والاس" مثلًا) يحارب الإنكليز، إذ ترتبطُ اللهجة هنا بسياقٍ تاريخي وجغرافي مُحدَّدٍ لا تجوزُ الاستعاضة عنه بغيره.

وتُقْحَمُ في الروايات الأجنبية -أحيانًا- اقتباساتٌ كاملة من لغات أخرى، وخصوصًا الفرنسية والألمانية،[95] ولاقتباس هذه اللغات في الإنكليزية أهدافٌ مُحدَّدةٌ لها جذورها التاريخية، فأبناء الطبقة الثرية في إنكلترا كانوا يخلطُون كلامهم بالفرنسية في فتراتٍ عِدَّة -مثلًا- فيدلّ اقتباسها على طبقة المتحدث. ونقلُ هذا الواقع في الترجمة العربية ممكنٌ في بعض الحالات إن كانت لغاتها مألوفة للجمهور العربي، فبعض الكلمات الفرنسية مثل "ميرسي" و"شوفير" و"أمبيونس"[96] مألوفة كثير من البلاد العربية بحُكْم التاريخ كذلك، ومن الأفضل للمترجم أن يحاولَ صَوْن هذه الكلمات إن ظنَّ أن جمهوره يفهمها، كما يمكن أن يستبدلها بما يُعْطِي وقعها للقارئ العربي، وإلا فإنَّ جزءًا مهمًا من روح النصِّ قد يذهب أدراج الرياح.[97]

يرى بعض الباحثين الأكاديميين قيمة خاصَّة لعامل الزمن في لغة الأدب، فهُم يميّزون بين ترجمة الأعمال الأدبية المعاصرة، وبين ترجمة التراث الأدبي الذي يعودُ عمره إلى مئات أو آلاف السّنين.[98] ويرى الأكاديميون أن في هذه الترجمة طريقتين: إما نقلها بلغةٍ حداثية[99] أو الحفاظُ على طابعها التراثي العتيق:[100] إذ تتعمَّد الترجمة

93 Berezowski (1997): p. 31

94 Berezowski (1997): p. 33

95 Baker (2009): p. 184

96 وهي نقحرة للفظ "amibance" ومعناها الحرفي "الجو" والمقصود أقرب "للطابع"، كأن تدخل مطعمًا فتقول أن "الأمبيونس كلاسيكي" أي يذكر بالفترة الكلاسيكية.

97 Baker (2009): p. 185

98 والمقصود في هذا السياق بمعظمه هو أمرٌ يخصّ اللغات الأوروبية، التي تترجمُ تراثًا قديمًا من ثقافتها ذاتها، مثل ترجمة "الكامل في التاريخ" من العربية التراثية إلى الحداثية، لكنه ينطبقُ بالعموم على الترجمة التراثية.

99 بالإنكليزية: actualizing

100 بالإنكليزية: historicising

في الطريقة الثانية استخدام مفردات عتيقة وعلامات ترقيم تراثية،[101] وقد يصلحُ هذا الأسلوب في نقل الملاحم الشعرية القديمة إلى العربية، مثلما نحاهُ -تقريبًا- "دريني خشبة" في الإلياذة والأوديسة، وهو ما تحدثنا عنه في الفصول الأولى للكتاب.

وللمترجم إذًا طرائق عِدَّة في نقل اللهجات واللكنات، وجميعُ هذه الطرق غير مثالية؛ حالها كحال الترجمة كُلّها، على أن من اللازم أن تذكرَ أمرًا مهمًا حين الاختيار بين هذه الطرق: وهو أن العربية الفصحى ليست إلا لهجةً ولا لغةً يتحدَّث بها الناس في حياتهم، ولذا فإن المبالغة والتزمّت في الالتزام بها يتناقضُ أساسًا مع سبب إقحام اللهجات في الأدب، وهو **محاكاة ألسنة الناس** وما ينطقون به في البيوت والشوارع. فالفصحى لغةٌ أدبية لا تخرج عن إطار المطبوعات والخطابات الرسمية، وأما اللهجات فهي لغةٌ إنسانية تَلْمِسُ أحاسيس الجمهور، والفرقُ بينهما ليس لغويًا بحتًا وإنَّما هو اجتماعي وثقافي يصنعُ هوَّة عميقة لا مجال لترميمها.

10.8 الشعر

> «.. وقد نُقِلَت كتب الهند وتُرْجِمَت حكم اليونان وحُوِّلَت آداب الفرس، فبعضها ازداد حسنًا وبعضها ما انتقص شيئًا، ولو حُوِّلَت حكمة العرب لبطل ذلك المُعْجِز الذي هو **الوزن**، مع أنهم لو حولوها لم يجدوا في معانيها شيئًا لم تذكرهُ العَجَمُ في كتبهم التي وُضِعَت لمعانيهم وفطنتهم وحكمهم».
>
> — الجاحظ، كتاب الحيوان، الجزء الأول

يرى "الجاحظ"، حسبما يتّضح ممَّا سبق، أن ما يُميّز أدب العرب عن سائر الأمم هو نظمه ووزنُه في الشِّعْر، فبدونه لا فرقَ بين حكمتهم وحكمة الأمم الأخرى: ولعلَّ قوله يرجعُ إلى ما اشتهرَ به العرب من إبداعٍ وتألّق في نَظْم الشِّعر، لكن تميّزهم فيه لا ينفي خصوصية الشِّعْر في كل لغة وثقافة؛ فجمالهُ مزيج للمعنى (الدلالة) واختيار الألفاظ (الحصيلة المعجمية) ومزاياه الصوتية (النَّظْم والوَزْن والقافية).

ولهذا يَحارُ المترجمون للشعر في إمكانية ترجمته بين اللغات، فيظنّ كثيرون استحالة ترجمة الشعر بالجُمْلة، فيما يقول آخرون أن الشعر لا يترجمهُ إلا شاعر،[102] ويتبرَّأ بعض الشعراء ممَّا تُرْجِمَ من أشعارهم وكأنه لم يعُد من تأليفهم،[103] ومع ذلك فإنَّ ترجمة الشعر صنعةٌ قائمةٌ جرَّبها وما زال يسلكها كثيرون.

10.8.1 أشعار الأمم

يقالُ: إن "الخليل بن أحمد الفراهيدي" قصدَ شوارع بغداد ذات يومٍ، فمرَّ بسوق الصُّفارين (والصُّفر هو النحاس حين يصفرُّ لونه،[104] أي حين يُطْرَق)، وهو سوقٌ يَصْدحُ دومًا بأصوات مطارق النحَّاسِين التي يطرقون بها

101 Weissbort & Eysteinsson (2006): p. 34

102 Ghazala (2019): p. 4

103 Breytenbach (1997): 76

104 ابن منظور (2015): ص 720

مصنوعاتهم؛ من أوانٍ وأباريق وأطباق، فتُحْدِث ضجَّة مثل قرع الطبول.[105] وتوقَّف "الفراهيدي" يُنْصِتُ لهذه الأصوات وما فيها من طَرْقٍ كلحن الموسيقى، حتى ظنَّه المارة -كما تقولُ الحكاية- مخبولًا،[106] إلا أنه استنبطَ مما سَمِعَه بحورَ الشعر العربيّ وعلم العَروض.[107] إلا أن علينا أن نعلم أن ما اكتشفه "الفراهيدي" (لو غضضنا النظر عن صحة القصة أو عدمها) كان وزنًا ينتظمُ به الشعر العربي، ويختلفُ هذا النَّظْم في أوزانه وأسلوبه ونظامه عن نظم وأوزان وأسلوب اللغات الأخرى، فيكادُ الشعر في كلٍّ من هذه اللغة يكون لونًا مختلفًا عن الأدب في أي لغةٍ أخرى.

تُنْظَمُ بحور الشعر في اللغة العربية بحسب علامات حروفها الساكنة أو المتحرّكة، فتنقسمُ إلى أسبابٍ نحو "بَلْ" وهي متحرّكٌ يتبعهُ ساكِنْ، وأوتاد نحو "رَمَى" وهي مُتحرِّكان فساكِنْ، وفواصل نحو "سَمَكًا"؛ أي "سَمَكَنْ" بالتقطيع الشعري، وهي ثلاث مُتحرِّكَات فساكِنْ.[108] وتتناغمُ بحور الشعر بحسب سكونها وحركتها مثل: قرعِ أواني الصفَّارين التي ألهمت "الفراهيدي"، وعدد هذه البحور -جميعًا- ستة عشر بحرًا،[109] وقد رتّبها "الفراهيدي" وأعطى لكلّ منها اسمًا، كالمَديد والبَسيط والسَّريع.

وفي اللغة الإنكليزية -كذلك- "بحورٌ" للشعر تتبعُ نغمته وموسيقاه، لكن تقطيع هذه البحور يقوم على خاصية لغوية قلَّما ينتبهُ إليها العرب، ما عدا طلبة التجويد وخبراء اللغة، وهي النَّبْر. والنَّبْر هو التركيز على مقطعٍ من الكلمة لإبراز صوته فوق غيره، ويقالُ له بالإنكليزية stress، وقد يتّضح معناه في اختلاف اللفظ بين أفعالٍ وأسماء لها التهجئة نفسُها، فيقال: "**con**tent" (وهو اسمٌ معناهُ "محتوى"، فيأتي النَّبْرُ في المقطع الأول) و"con**tent**" (وهو فعلٌ معناه " يُرضي"، فيأتي النَّبْرُ في المقطع الثاني).

وفي اللغة العربية نبرٌ كأن نقول: "مُتعلِّم" أو "مُعلِّم"، فيأتي النَّبرُ على التاء في الأولى واللام في الثانية. والنَّبرُ هو أساس نَظْم الشعر الإنكليزي فيأتي في مقاطعَ عليها نَبرٌ وأخرى بدونه بتتابعٍ ثابت مثل بحور الشعر العربي، لكن كثيرًا من الشعراء تخلّوا عن هذا الأسلوب، فبدؤوا بنَظْم الشِّعْر المُرْسَل (Blank verse) أي دون قافيةً واحدة مع الحفاظ على الوزن، ثُمَّ الشِّعْر الحرّ (Free verse) دون قافيةٍ ولا وزن، فأسقطوا سِمَتَي الشعر الأصليتين، ولهذا رُبَّما يكون الشعر الحديث أسهل في ترجمته.

105 فتحي سعيد (1980): ص 60

106 فتحي سعيد (1980): ص 61

107 فتحي سعيد (1980): ص 62

108 محمود مصطفى (1996): ص 27

109 اكتشف منها الفراهيدي خمسة عشر بحرًا وأتبعها تلميذه الأخفش بالبحر السادس عشر (المتدارَك).

مخطوط في بحور الشعر العربي من تأليف الشيخ "عبد الله الشبراوي"، وكتبها الشيخ "قاسم أفندي المفتي" بخط يدهِ عام 1257 هـ. - منشورة ضمن الملكية العامة. المصدر: ويكيميديا كومنز.

10.8.2 شعر أم نثر؟

للمترجمين منهجان غالبان في نقل الشِّعر إلى أي لغة: فإمَّا نقله إلى شعرٍ موزونٍ يحفظُ جمال الصَّوْت (ولو أنه غالبًا ما يأتي مع تغييرٍ في المعاني والكلمات لتتناسب والصَّوْتُ المرغوب)، أو نقلهُ إلى نثرٍ يحفظُ معنى القصيدة (ولو أن هذا يأتي -غالبًا- بدون سمات الشعر الصوتية من وزنٍ وقافية وغيرها، لصعوبة جمعها مع المعنى). ولكلّ من هذين الأسلوبين مؤيّدوه وخصومه، وهذا لأن نقل خواصّ الشعر مجتمعةً من لغةٍ إلى أخرى مستحيل واقعيًا، فلا بُدَّ من التنازل عن شيءٍ منها لقاء شيء.[110]

وللأسلوب الأول (أي نقل الشعرِ شِعْرًا) أنصارٌ كثرٌ من المترجمين العرب، بذلوا محاولاتٍ طويلةً في نقل الأشعار والملاحم الأجنبية إلى اللسان العربي، وخصوصًا رُوَّاد فترة النهضة مثل: "دريني خشبة"، وهو مشهورٌ بترجمتهِ "للإلياذة" و"الأوديسة" شعرًا (مع أنه غيَّرَ فيهما تغييرًا جمًا)، ولعلَّ ترجمته مثالٌ على ما يصفهُ الباحثون بأنه "ترجمةٌ تتفوَّقُ على أصلها".[111] وأما الأسلوب الثاني (نقلُ الشعر نثرًا) فلم يلقَ تشجيعًا كبيرًا في التعريب بسبب تَعُلِّق النُقَّاد العربِ بجماليات الصوت؛ وعدم تقبّلهم للأسلوب المُحدَث في الشعر المُرسَل والشعر

110 Ghazala (2019): p. 3

111 Cutter (2005): p. 7

الحُرّ،[112] ومن أمثلة هذا الرأي قول الناقد والمحقق "إحسان عبَّاس": إن الشعر لا تجوزُ ترجمتــه «وإلا تقطَّعَ نظمُهُ وبَطُلَ وزنُهُ».[113]

وترجمة الشعر طريقٌ محفوفٌ بالمتاعب، وقد يكون من الأحقِّ أن تُذلَّل في حقولٍ أخرى لها نفعٌ أكـثر، فلعـل الأولى بهـذا الجهـد أن يـذهب إلى تـأليف شـعر أو نـثرٍ عـربيّ أصـيلٍ عوضًـا عن النقـل من أممٍ أخـرى. ولنـا هنـا الاستشهاد بقول "عبد الخالق عيسى": «السرّ في جمال الشعر لا يكمن في المعنى أو الصـورة الشـعرية، بـل في التعبير بطريقة غير مألوفة». فإذا رأينا (في الفصل الأول من هذا الكتاب) أن نقل المعنى بين لغةٍ وغيرهـا يتّسـم بالاستحالة، فكيفَ بنقله حينما يتّحد مع أسلوب اللغة ومظهرها ووقعها الصـوتي في منظومـة واحـدة متكاملـة، تَضُعُ أمام المُعرِّب أصعب تحدياته مجتمعة؟[114]

112 Ghazala (2019): p. 5

113 عبد الخالق عيسى (2012)، ص172.

114 عبد الخالق عيسى (2012)، ص173.

هل تريد كتابة سيرة ذاتية احترافية؟

نساعدك في إنشاء سيرة ذاتية احترافية عبر خبراء توظيف
مختصين في أكبر منصة توظيف عربية عن بعد

أنشئ سيرتك الذاتية الآن

11. العمل في الترجمة

وصفتُ هذا الكتاب في مقدّمته بأنه "متقدّم في كثير من مواضعه"، وما قصدتهُ بذلك هو أن نفعه ليس كبيرًا لمن ليس له باع بالترجمة ولمن لا يستطيع مقاربة ما يقرأه بشيءٍ من الخبرة التي اكتسبها بنفسه، لكن هذا لا يعني أنه يجب على قارئ الكتاب امتلاك خبرة واسعة طويلة، ولا أن يكون مترجمًا متمرسًا في مهنة مدفوعة. وقد أجل هذا الكتاب الحديث عن المسائل العملية والمهنية التي يقتضيها العمل المهني حتى فصله الأخير هذا، ذلك لأني كتبتهُ شغفًا بنفع الترجمة العلمي والثقافي وبمعضلاتها الأكاديمية، لكن لن تكتمل فائدة الكتاب دون دليلٍ إلى كيفية دخول سوق العمل والانتفاع منه وتعلم كيفية استلام المشاريع والعمل عليها وتسليمها. وسوف تجد أن ما سنناقشه -في هذا الفصل الأخير- لا يدور في فلك مختلف عمَّا تناولناه فيما مضى من فصول، بل إن العمل في الترجمة ودخول سوق العمل يتطلب الإلمام بجلّ ما ورد في الفصول الماضية من علوم الترجمة النظرية منها والتطبيقية.

11.1 الخبرة تسبق العمل

تذكر مقدّمة هذا الكتاب أن إحدى الأفكار الساذجة عن الترجمة هي أن "كلّ ما يلزمها هو إتقان لغة أجنبية"، لأن هذه المهنة (كما يتضح من الفصول الماضية) لا تقتصر على إتقان اللغة ولا على حب العلم، وإنما على الخبرة والممارسة، لكن هنالك معضلة كبرى قد يصطدم بها المترجم في موضوع الخبرة تشبه معضلة "البيضة والدجاجة" الشهيرة: فكيف لك أن تكسب عملًا دون خبرة؟ وكيف تكسب خبرة دون عمل؟

ولهذه المعضلة حلّ بسيط نسبيًا، يعد أحد مبادئ الحياة العامة وهو: "من لم يُعْطِ لا يأخذ"، أو -ببساطة- أن الخبرة يجب أن تسبق العمل، إذ قد لا يكون هذا الحل هو ما يأمله المترجم المستجد ويطمح إليه، لكنه حلٌّ واقعيٌّ. فقبل أن تنهال عليك عروض وظيفية بمئات الدولارات، عليك أن ترضى بالتبرع بجهدك ووقتك بدون

مقابل لفترة من الزمن حتى تدخل سوق العمل وتحصل على أول عمل في الترجمة، ولا تظن أن هذا التطوع هو خسارة أو تضحية منك، بل هو فرصة للتدريب والتعلم.

لا مهرب من أن يبدأ المترجم مهنته بالتطوع، فمن شبه المستحيل (بل ومن غير السليم، برأيي) أن يبدأ أي أحد عمله في الترجمة بمقابل مادي، حتى ولو استطاع إلى ذلك سبيلًا، إذ المترجم المبتدئ ليس مكسبًا رخيصًا أو مجانيًا، بل هو في العادة عبء قد يُكلِّف إصلاح عمله أكثر من أدائه عنه. وقد يظن بعض المستجدين أن في بدء عملهم بالتطوع غُبنًا أو استغلالًا لهم، لكن هذا خطأ يتضح له خلال سنين معدودة لاحقة في العمل، ولا شك أن الدهشة تملأ وجه كل مترجم أعاد النظر في أولى أعماله -بعد كسب الخبرة والممارسة- لما قد يجد فيها من ركاكة وأخطاء وزلات.

لهذا السبب يمضي الطلاب سنواتٍ طوالٍ في الجامعات يدفعون لقاءها ثروات لاكتساب العلم والمعرفة قبل دخول سوق العمل، إلا أن من حظ المترجمين الحَسَن أن اكتساب هذا العلم لا يكلِّفهم قرشًا واحدًا، بل يستلزم منهم وقتًا فحسب. وليس من الضروري أن يتطوع هؤلاء المترجمون المستجدون بكامل وقتهم لصالح شركة تنتفع على حسابهم، بل أمامهم مئات الفرص في شتى القطاعات لخدمة المحتوى العربي واللغة العربية وكسب الخبرة في الوقت نفسه، والتي يمكن الالتحاق بها بسهولة عبر الإنترنت ومن أمثلتها:

- مواقع الويكي التعاونية: وأشهرها موسوعة ويكيبيديا الحرة وموسوعة حسوب وغيرها من الموسوعات العربية.
- مبادرات المحتوى العربي التطوعية: هذه المبادرات كثيرة، ومن أمثلتها المعروفة: الباحثون السوريون والسعودي العلمي وناسا بالعربي ومؤسسة بالعربي وغيرها.
- المواقع التعليمية: منها كثير من المواقع العربية والعالمية التي تعتمد على المترجمين مثل أكاديمية حسوب ومحاضرات تيد Ted وغيرها.
- المجلات الإلكترونية المترجمة: تقبل كثير من المجلات ومواقع الأخبار الإلكترونية المساهمات التطوعية، والتي يمكن إرسالها بالبريد الإلكتروني

11.2 ليست كل الترجمة سواء

انتبه، عليك أن تفهم سوق الترجمة وما هي فرصه الوظيفية وأيها هي التي تلبي طموحاتك قبل أن تبدأ البحث عن وظيفة بالترجمة، وحتى قبل أن تختار الأماكن التي ترغب بالتطوع فيها ونشر ترجماتك الأولى، فشرح الفصل الثاني من هذا الكتاب نوعين أساسيَّين من أنواع الترجمة: هما الترجمة المهنية والترجمة الأدبية،[1] لكن ذلك الفصل لم يتطرق إلى الاختلافات الوظيفية والعملية بينهما ولا إلى المهن التي يُفْضِيَان إليها، وهي مهنٌ لا تكاد تربط بينها صلة. كما أنه لم يتطرق إلى ما تحتاج إليه لأن تكون مترجمًا.

1 Sofer (2009): p. 34

11.2.1 المؤهلات

استشهد هذا الكتاب سابقًا بقاعدة معروفة في الترجمة، وهي قاعدة تقتضي أن المترجم يترجم إلى لغته الأم حصرًا، فمن نشأ بلسان عربي لا يترجم إلا إلى العربية، حتى ولو تعلَّم عشر لغات أخرى وأتقنها " إتقانًا تامًا"، ولعل هذا الكتاب نجح في تبرير هذه القاعدة وتوضيح أن بالغ الأهمية تعطى للغة التي يكتب فيها المترجم موازنةً مع اللغة الأم، لكن لم يتطرّق الكتاب آنذاك قط للمؤهلات الأكاديمية والمهنية التي تُخوِّل شخصًا للعمل في الترجمة.

يُقَال أن المترجمين نوعان: منهم مختصّون باللغة، أي درسوا علم اللسانيات أو لغة أجنبية أو آدابًا أو ترجمة، ومنهم مختصون بعلوم مختلفة، مثل الأطباء أو المهندسين أو المبرمجين الذين امتهنوا مهنة الترجمة؛ ولكل حالة من هاتين الحالتين مزاياها ومشكلاتها،[2] فالمترجم المختصّ باللغة يتقن أصول الكتابة والإملاء والصياغة السليمة أو الإبداعية، لكنه قد يجابه مصاعب عديدة في ترجمة نص اختصاصي (في علم الرياضيات مثلًا)، وأما المختص فيستطيع ترجمة نصوص في مجال اختصاصه -والموضوعات القريبة منه- بكفاءة تامة، إلا أن لغته قد تكون ركيكة ضعيفة الصياغة.

ليست الترجمة حكرًا على هذا ولا ذاك: فكل منهما له مكانه ويستطيع تعويض المهارات التي تنقصه بالتعلم والتدريب، لكن معرفة اختصاصك قد تساعدك على تحديد مهنتك.[3] فمهن الترجمة ليست سواء، واختصاص المترجم قد يؤهله للنجاح في مهن محدّدة أكثر من سواها.

11.2.2 التوجه والهدف

إذا كان هدف المترجم هو أن يكسب دخلًا وأن يستقر على وظيفة ثابتة فخياره الأفضل هو الترجمة المهنية أو التجارية، فلو سمعت عن وظيفة بدوامٍ كامل في شركة للترجمة فمن شبه الأكيد أن موضوعها مهني وتجاري، أي أنها تختصّ بنصوصٍ مثل الوثائق الرسمية والتقارير والبرامج الإلكترونية وأوصاف المنتجات وكتيبات التعليمات، وهلم جرًا. وتحتاج بعض أنواع الترجمة المهنية إلى خبرة في اختصاصات معيّنة قد لا تُغْنِي عنها المعرفة اللغوية،[4] فترجمة الوثائق القانونية -مثلًا- قد تحتاج إلى محامٍ.[5] ووظائف الترجمة التجارية قليلة،[6] لكن مردودها المادي عالٍ نسبيًا، فقد يصل إلى آلاف الدولارات شهريًا خلال بضع سنين، ولها شركات ضخمة وعابرة للقارات.

أود الإشارة إلى نقطة مهمة وهي أن هدف الترجمة المهنية الأساسي هو الربح والمادة وقد لا يكون ذلك هدفًا لبعض المترجمين، فكما ذكرنا في بداية هذا الكتاب، الترجمة "ليست منجم ذهبٍ"؛ ويكثر أو يغلب على

2 Gouadec (2007): p. 150
3 Gouadec (2007): p. 150
4 Durban (2010): p. 3
5 Gouadec (2007): p. 31
6 Gouadec (2007): p. 95

المترجمين أن يختاروا مهنتهم شغفًا منهم باللغة أو العلم وليس بالربح، ولذلك قد لا يجدون شغفًا ولا متعة في وظيفة تجارية حتى لو كانت تدر عليهم المال؛ وليس السبب المُنفِّر من الترجمة التجارية موضوعها فقط، فمن عُشَّاق اللغة من يستمتع بترجمة النص مهما كان موضوعه، لكن المشكلة الأكبر هي طريقة العمل في هذه الشركات: إذ إن أساس تقييم عمل المترجم في هذه الشركات هو سرعة الإنجاز بعيدًا عن النظر لجودة العمل، وغالبًا ما يُتغاضَى عن مسائل الركاكة والحرفية التي انتقدناها في هذا الكتاب، ولن يلقى تقديرًا ولا ترحيبًا بإبداعه اللغوي، فنسبة وظائف الترجمة التي تطلب مهارات الترجمة الآلية أو الاستعانة بالبرامج الحاسوبية تصل إلى 95%، ونسبة الوظائف التي تعتبر فيها هذه مهارات إجبارية حوالي 66%،[7] وذلك لأنها أدوات تساعد على زيادة سرعة العمل ورفع الأرباح.[8]

قد يكون ذلك مناسبًا لبعض المترجمين أو من يريدون امتهان الترجمة لكسب المال وتأمين متطلبات الحياة المالية، ولكن لو لم يرغب المترجم بمثل هذه الأمور، فعليه أن يبني مهنته في قطاعات الترجمة الأخرى، ولا نقلل هنا من أهمية الهدف المالي ولكن قد يمتهن البعض مهنة الترجمة كمهنة ثانوية وليست أساسية. عمومًا، للمترجمين فرص كثيرة للعمل بوظائف غير ثابتة، بل إن العدد الأكبر منهم يعمل في وظائف حرّة أو بدوام جزئي؛[9] وهذه الفرص في ارتفاع سريع جدًا يفوق وظائف الترجمة بدوامٍ كامل،[10] وهذه الزيادة كبيرة جدًا في العالم العربي لأسباب عدّة، منها ازدياد الثقة والاعتمادية على الإنترنت في التوظيف وقلة تكاليف العمل مع المترجمين عن بعد وتسارع الاستثمار بالمحتوى العربي على الإنترنت. وكثير من العاملين في الترجمة الحرة (أو معظمهم) يستفيدون منها كوظيفة إضافية لزيادة دخلهم،[11] إلا أن من الممكن الاعتماد عليها بالكامل كمصدرٍ للدخل إن كان للمترجم عدد كافٍ من العملاء؛[12] انظر مثلًا قسم الترجمة واللغات في منصة مستقل للعمل الحر أكبر منصة عمل حر في العالم العربي تعرف حجم السوق والطلب على أعمال الترجمة.

ولهذه الفرص مجالات شتى قد يجد فيها المترجم ما يشبع أي اهتمام عنده، فمنها العمل مع مواقع الإنترنت والمجلات والصحف بموضوعاتها المتنوعة، من علوم طبيعية واجتماعية ورياضة وصحة وسياسة وأخبار وغير ذلك، كما أن هذه هي طريقة العمل المعتادة في واحدٍ من أهم قطاعات الترجمة، وهو الترجمة الأدبية للكتب والروايات والأشعار وغيرها؛ وتتضمن فرص الترجمة الحرة كذلك ترجمة الأفلام والمسلسلات وغيرها من أنواع الفيديو التي يُرْفَق معها نص مترجم، وهذه فئة جديدة نسبيًا وعليها طلب كبير تسمى "الترجمة المرئية"،[13] وقد تطرّق إليها هذا الكتاب عرضيًا فقط.

7 Gouadec (2007): p. 152
8 Sofer (2009): p. 85
9 Gouadec (2007): p. 87
10 Gouadec (2007): p. 102
11 Gouadec (2007): p. 153
12 Gouadec (2007): p. 171
13 Gouadec (2007): p. 162

للترجمة الحرة ميزات عدة، من أهمها الحرية والاستقلالية الكبيرة للمترجم،[14] ولها صعوباتها كذلك، فقد يكون العثور على أول عميل مضنيًا، والبحث عن العملاء يبقى -دومًا- عبئًا مستمرًا[15] يستهلك وقت المترجم وساعات عمله؛[16] ولن يستطيع المترجم الحر الاعتماد على عمله إن لم يحصل على فرص عملٍ كافية، فهو يحتاج إلى كمية كبيرة من العمل للحصول على دخل مستمر، بغض النظر عن أسعاره،[17] والطريقة الأفضل لضمان هذا الأمر هي أن يقيم المترجم الحر علاقة عمل مستمرّة مع عددٍ من العملاء الذين لديهم عملًا منتظمًا.[18]

تحظى الترجمة الأدبية بمكانة استثنائية في أسواق الترجمة العالمية، فهي أصعب أنواع الترجمة وأكثرها حاجة للإبداع وتتطلب امتلاك سعة في اللغة والمفردات والاطلاع والتفنن الأدبي، ولهذا فمن المعتاد أن يقتصر العمل فيها على المؤلِّفين الذين لديهم خبرة مسبقة في فنون الكتابة الأدبية،[19] لكن سوق الترجمة العربي ليس مثل العالمي، والواقع -المرير- هو أن ترجمة الأدب فيه لا تحظى بتقدير جدير بالذكر إلا من دور نشر معدودة، وفرص العمل فيها لا تعتمد على الخبرة والإتقان الأدبي بقدر ما هي رهنٌ للمعرفة الشخصية والأسعار الرخيصة؛ ورغم أن الترجمة الأدبية قد تكون حلم كثير من المترجمين الشغوفين إلا أن فرص العمل فيها قليلة ومتباعدة، ويصعب أن توفّر مصدرًا للدخل دون فرص عمل إضافية.[20]

11.2.3 التخصص

كثيرًا ما ينصح المترجم الحر باختيار مجال أو مجموعة من المجالات للتخصّص بالترجمة فيها، فكل موضوع له تفاصيله الدقيقة ومصطلحاته المُخصَّصة، ولذلك لا يستطيع المترجم الجيّد الاقتصار على سعة مهاراته اللغوية، وإنما عليه أن يعرف المجالات التي يترجم إليها كذلك، وهذا أمرٌ يتطلَّب صبرًا وخبرة،[21] إلا أن هذه فكرة أجنبية وما زالت غير منتشرة كفاية في سوق الترجمة العربية الذي تعد فيه كل الترجمة سواء وكل المترجمين قادرين على ترجمة أي شيء، من الترجمة الفورية أو الشفهية إلى ترجمة أبحاث الفيزياء النووية.

لا يتخصَّص جميع المترجمين بمجال في الترجمة دون غيره ولا بنوع واحد من الوظائف، فكثيرٌ منهم يقبلون شتى الفرص المتاحة لهم بأنواعها العديدة، خصوصًا في سوق تنافسي مثل السوق العربي؛ ولا عيب في هذا الأمر، لكن على المترجم المحترف الذي يحرص على مستقبله أن يُخطِّط مسبقًا لفرص الترجمة التي يحرص عليه وأن يُطوِّر خبرته ومهاراته فيها، وذلك ليكون أداؤه متميزًا حينما ينال الوظيفة التي يتمنَّاها، وتذكر دومًا أن أجر المترجم المتخصص لا يتساوى مع أجر المترجم العام الذي يترجم أي شيء.

14 Gouadec (2007): p. 100
15 Gouadec (2007): p. 131
16 Gouadec (2007): p. 169
17 Gouadec (2007): p. 143
18 Gouadec (2007): p. 169
19 Gouadec (2007): p. 29
20 Gouadec (2007): p. 160
21 Gouadec (2007): p. 91

11.3 البحث عن وظيفة

طرق البحث عن العملاء كثيرة، وفيها كثير من الخبرة والمهارات التي لا تنحصر في الترجمة وحدها، والتي تُفضِّلها مراجع عديدة أفضل من هذا الكتاب. وأما لو كان المترجم بحاجة إلى نصيحة خاصة بمهنته فأنصحه ببناء سمعة جيدة وتأسيس شبكة علاقات قوية في مجاله، وليس هذا لأن السمعة والعلاقات هي مزية تخص مجال الترجمة دون سواه، وإنما لأنهما أفضل وسيلة للحصول على عمل وتأمين دخل كافٍ من الترجمة، إذ من العسير على المترجم الحر أن يكسب ما يكفيه دون سمعة طيبة وشبكة علاقات واسعة تأتيه بوظائف مستمرة بدلاً من قضاء يومه كاملًا بالتقديم لمئات الوظائف وترجمة عشرات العينات.

طرق بناء العلاقات كثيرة، وهي ليست -كذلك- أمرًا تتفرَّد به الترجمة ولا موضوعًا يختصّ به هذا الكتاب، لكن قد ينفع المترجم في هذا السياق أن يأخذ بنصيحة وردت في كثير من الصفحات السابقة بخصوص الترجمة، وهي أن يأخذ الأمور في سياقها، فمعظم المراجع المختصَّة بموضوع بناء العلاقات أجنبية، وبالتالي فإنها تُقدِّم نصائح قد تكون مُجرَّدة من سياقها وقيمتها؛ ومن أمثلة ذلك أن كثيرًا من الكتب الأجنبية تنصح المترجم بالبحث عن عملاء في "معارض التجارة"[22] أو في "الفعاليات الاجتماعية" و"لقاءات العلاقات العامة" للمترجمين المحترفين،[23] وهذه أوصافٌ خيالية لأشياء لا أثر لها في الوطن العربي ولا تنفع المترجم العربي شيئًا؛ وفي سياق بناء العلاقات والحفاظ عليها، أحيلك إلى مرجع عربي مهم يناقش هذا الأمر عبر مقالات متنوعة وهو قسم "التعامل مع العملاء" في قسم العمل الحر في أكاديمية حسوب ففيه مراجع ومقالات قيمة مثل مقال "كيفية إنشاء علاقات قوية مع العملاء والحفاظ عليها" ومقال "كيف تحافظ على علاقات إيجابية مع عملائك السابقين".

يستطيع المترجم أن يبني شبكة علاقاته بوسيلتين مختلفتين عادة، وخصوصًا في السياق العربي، وهما العلاقات الواقعية والعلاقات الإلكترونية؛ فالبلاد العربية مترامية الأطراف ولا يمكن بناء علاقات عبرها إلا بالاستعانة بالإنترنت، إلا أن الإنترنت لا يصل المترجم إلا بفئة محدّدة من العملاء الذين عندهم استعداد لتوظيف شخص لم يقابلوه وجهًا لوجه وقد لا يعرفونه شخصيًا، والحقيقة أن هذا أمرٌ آخذٌ بالانتشار في المنطقة العربية ولا يجب أن نفعله.

عمومًا، للعلاقات الواقعية والافتراضية مزاياها ومساوئها، إلا أن طرق العمل فيها مختلفة جدًا، فقد يكون بناء العلاقات الواقعية في مجال الترجمة -حصرًا- شديد الصعوبة عربيًا، وذلك بسبب ندرة أو انعدام المجتمعات المخصّصة للمترجمين رغم أنك تجد في كثير من البلدان العربية جمعيات للمترجمين، بل إن هناك جمعية للمترجمين العرب فيها آلاف الأعضاء من شتى أنحاء الوطن العربي[24] وقد يكون الالتحاق بمثل هذه الجمعيات مفيدًا، لكن مشكلة معظمها أو جميعها أنها لا تُنظِّم فعاليات وظيفية (مثل التي تصفها الكتب الأجنبية)

22 Gouadec (2007): p. 188

23 Jenner (2010): p. 111 & Jenner

24 جمعية المترجمين العرب (أرتا). تاريخ الرجوع للمصدر: 14, 2021، من https://artaassociation.org صفحة "من نحن"

لمساعدة المترجمين والعملاء على اللقاء معًا، وبالتالي فإن هذه الجمعيات تبقى كيانات افتراضية وأقرب لنقابات من مجتمعات للعمل.

لذلك فإن المترجم العربي الذي يحتاج علاقات عمل مضطرٌّ للبحث في المجتمع المهني بعمومه وليس في مجتمع خاص بالمترجمين فقط، وهذا أمرٌ صعب ومضنٍ وقد لا يأتي بنتيجة إلا لمن لديهم شبكة واسعة من العلاقات مسبقًا. رغم ذلك، لا شك بأن بعض المراكز والمؤسسات الثقافية بالمدن العربية الكبرى تقيم محاضراتٍ -بين الفينة والأخرى- لها علاقة بالترجمة والنشر والمحتوى العربي، وقد لا يجد المترجم عملاء في هذه الفعاليات بحد ذاتها، لكنها فرصة ثمينة جدًا في التعرف إلى مجتمع المترجمين والكتاب والمدونين، وقد تعود بفرصٍ كثيرةٍ على الأمد البعيد.

ذلك بالنسبة للعلاقات الوجاهية، إلا أن الإنترنت هو الوسيلة الأقوى والأسرع حاليًا للوصول إلى العملاء وتكوين سمعة في سوق العمل الحالي، فإحدى أقدم الطرق في العمل عبر الإنترنت هي إطلاق موقع أو مدونة، والغالب أن هذه الطريقة فقدت جل نفعها بسبب زيادة "المركزية" في الإنترنت، أي أن معظم الناس يستخدمون عددًا قليلًا من المواقع عوضًا عن تصفح الإنترنت بعمومه، كما أن المواقع الشخصية قد لا تظهر في نتائج محركات البحث الآن بسبب فيضان المحتوى الرقمي. لكن الموظف الحر ما يزال قادرًا على استغلال الموقع الشخصي للتعريف بنفسه، أي أنه يستطيع استخدامه كبطاقة شخصية يرسلها للعملاء بدلًا من بطاقات العمل الورقية، كما أن نشر محتوى ومقالات عن الترجمة في هذه المواقع قد يزيد فرص ظهورها للعملاء والمترجمين في الإنترنت وتعرفهم على صاحبها.

وأما الميزة الأهم للإنترنت فهي أنه يزخر بمجتمعات ومنصات عمل مثل منصة مستقل ومنصة خمسات ومجتمع خمسات ومنصات نشر عربية مثل أكاديمية حسوب، وهو أمر لا وجود له في سوق العمل العربي الواقعي. لابد أن أشير أيضًا إلى أنَّ أماكن المجتمعات الإلكترونية، خصوصًا الصغيرة والفردية منها، في تغير دائم، فقد ملأت المنتديات الإنترنت العربي قديمًا وأما الآن فكثيرٌ منها أو أغلبها انتقلت إلى مواقع التواصل الاجتماعي ولم تعد موجودة؛ فمنصات العمل العربية كثيرة حاليًا، وهي وسيلة مباشرة لطلب موظف حر في أي مجال، وكثيرًا ما تكون الترجمة من أكثر هذه الوظائف طلبًا، رغم كثرة المنافسة عليها كذلك.

أضف إلى ذلك، يزدهر الإنترنت العربي بعدد هائل من منصات المحتوى والمقالات والتدوين التي يستطيع المترجم نشر ترجمته أو مقالات عن الترجمة فيها، انظر مثلًا صفحة "اكتب معنا" لأكاديمية حسوب، فكثير من هذه المنصات (خصوصًا الصغرى) تُرحِّب بمساهمة أي كاتب طالما أن أسلوبه سليم وأن عمله تطوعي، وهذا "التطوع" هو استثمار له عائدٌ كبير في السمعة وفي بناء علاقات مع أصحاب المواقع ومجتمع المحتوى العربي.

لا توجد أي وسيلة سحرية بين هذه الوسائل، فهي كلها بدايات لبناء السمعة أو التعرف إلى بعض الأشخاص أو البحث عن عمل، لكنها كلها تُقدِّم خطوات تدريجية للالتقاء ببعض العملاء والمترجمين وبناء علاقات تتطور بالتدريج، والتي سوف يحصل منها المترجم -عاجلًا أو آجلًا- على مشروع يعمل فيه.

11.4 الاتفاق يسبق العمل

اطلعت مرة على أحد الكتب المتخصّصة عن كيفية الاتفاق على مشروع للترجمة وتنفيذه والذي يعرض قائمة فيها 156 خطوة مُطوَّلة لذلك،[25] وليس من الضروري أن تكون كل اتفاقات الترجمة بهذا التعقيد، ولكن الترجمة ليست مسألة سهلة وتنطوي على عددٍ هائل من القرارات المتوالية التي يتخذها المترجم (وقد وردت أمثلتها) في اختيار المصطلحات والتعابير والأسلوب، وقد لا يدرك معظم العملاء هذه الصعوبة أو ربما يستخفّون بها؛ لهذا ومثل أي عمل، يجب أن يبدأ مشروع الترجمة باتفاق، ويسير المترجمون المحترفون في هذا الاتفاق حسب خطواتٍ محدَّدة تضمن تفاهمًا تامًا على تفاصيل العمل التقنية والمالية قبل الشروع فيه، وتساعد - كذلك- في إثبات احترافية المترجم وإلمامه بمهنته.

11.4.1 الهدف يدل على الطريق

تناول الفصل الرابع من هذا الكتاب أهم نظريات الترجمة الأكاديمية المتداولة حاليًا، وفصَّل في كيفية تطبيق بعضها في عمل المترجم، وتتميز في هذا السياق نظرية "الترجمة الوظيفية" في أنها تؤهِّل المترجم لعقد اتفاق واضحٍ واحترافي مع العميل بأن يطرح عليه سؤالين: ما الذي تريد ترجمته؟ ولماذا؟

كل من يريد ترجمة نص له هدفٌ واضح وجمهور محدّد من القراء، حتى ولو لم يعرف كيف يصف أهدافه وجمهوره؛ فهناك من يريد ترجمة دعاية إعلانية في شركته لجذب الزبائن، أو ترجمة تقرير لمجلس إدارة الشركة لإطلاعهم على نتائج العام المنصرم، أو ترجمة رواية لدار نشر ليشتريها القراء، ويستطيع المترجم بناءً على ذلك أن يُقرِّر منهج الترجمة وأسلوبها وأتعابها بناءً على معرفة الهدف والجمهور، وأن يُوضِّح أسلوبه باحترافية لصاحب العمل.

يُوضِّح الفصل الرابع أن المنهجين الأساسيَّين والمتناقضين في الترجمة هما الترجمة الحرفية والترجمة بتصرّف، واختيار المنهج المناسب يعتمد حصرًا على هدف صاحب العمل وجمهوره. فمن يريد ترجمة دعاية إعلانية يحتاج إلى أن يؤثِّر على جمهور واسع من القراء، وبالتالي يجب أن تكون الترجمة بتصرف وربما أن تتضمن كلمات من اللهجات العربية العامية للتأثير بالجمهور؛ وأما ترجمة التقرير فيجب أن تكون متوازنة لتصف الفكرة المطلوبة لمجلس الإدارة ولتلتزم -كذلك- بالتعابير المدروسة التي اختارها المدير التنفيذي أثناء كتابة التقرير؛ وأما ترجمة الرواية فيجب أن تكون شبه حرفية لتلتزم بأسلوب المؤلف المشهور الذي يتطلَّع معجبوه لشراء الرواية المترجمة.

11.4.2 اختلاف التوقعات

يساعد الاتفاق على الهدف من الترجمة وجمهورها وأسلوبها في التخطيط لعمل المترجم لكن هذا الاتفاق غير كافٍ، فالترجمة غنية بالتفاصيل، ومن السهل أن تختلف التوقعات حيال هذه التفاصيل، خصوصًا من العملاء المستجدّين؛ إذ على المترجم أن يفترض -دومًا- أن عميله لا يعرف شيئًا عن الترجمة ولا شروطها ولا

25 Gouadec (2007): p. 55 - 83

متطلباتها حتى يثبت العكس، مما يعني أن المترجم قد يضطر لتلقين العميل أصول عمله قبل عقد اتفاق سليم.[26] من ذلك، يجب توضيح ما يأتي:

- أولًا، يجب الاتفاق على منصة العمل وآليته، فلو كان موضوع الترجمة برنامجًا حاسوبيًا أو موقع إنترنت أو مقطع فيديو، فيجب أن يتفق المترجم مع صاحب العمل مسبقًا فيما إن كان عليه ترجمة النص خارجيًا (أي على ملف "مايكروسوفت وُرد")، أم أن عليه استعمال منصة جديدة يُدْخِلُ النص فيها.[27]
- ثانيًا، يجب الاتفاق على نوع النص وطبيعته، إذ إن البديهي والطبيعي هو أن يُقدِّم صاحب العمل للمترجم نصًا مُرَاجعًا وخاليًا من الأخطاء، وإلا فلا بد من أن تنتقل هذه الأخطاء إلى الترجمة.[28]
- ثالثًا، يجب على المترجم أن يراجع النص المطلوب وأن يناقش ويُوضِّح مسبقًا أي أبعادٍ للنص قد يستعصي تعريبها لأسباب ثقافية أو لغوية.[29]
- رابعًا، يجب الاتفاق على رغبة صاحب العمل بالتدخُّل في دقائق الترجمة أو في تفويضها للمترجم مثل طريقة تعريب المصطلحات[30] والأسلوب وغير ذلك، فلو كان صاحب العمل مهتمًا، فيجب توضيح درجة اهتمامه وكيفية الاتفاق معه على خصوصيات النص هذه، وتزداد ضرورة هذا الاتفاق إن كان النص متخصصًا (مثل مقال علمي) أو ذا خصوصية ثقافية (مثل الأفلام وألعاب الفيديو).[31]
- خامسًا، لو كان صاحب العمل على اتصال مباشر بمؤلّف النص (مثلاً لو كان تقريرًا)، فعلى المترجم التأكد من استعدادية صاحب العمل لتفسير وتوضيح مواضع الغموض في النص أو الأمور التي لا يفهمها، فهذا الطلب ليس علامة على قلة دراية المترجم (كما قد يظن العميل المستجد)، بل على احترافيته وحرصه.[32]
- سادسًا، يجب الاتفاق دومًا على المسؤول عن مهمة المراجعة والتحرير والتدقيق اللغوي، وهو جزء ضروري من الترجمة؛ والبديهي هو أن يتولى صاحب العمل ترتيب المراجعة، إذ إن المترجم لا يستطيع مراجعة عمله بنفسه، إلا لو اتفق مع مدقّق لغوي يعرفه.[33]

26 Gouadec (2007): p. 141
27 Gouadec (2007): p. 75
28 Gouadec (2007): p. 64
29 Gouadec (2007): p. 60
30 Gouadec (2007): p. 64
31 Gouadec (2007): p. 69
32 Gouadec (2007): p. 69
33 Gouadec (2007): p. 57

11.4.3 التجربة ليست استغلالا

السيرة الذاتية ليست دليلًا كافيًا على المترجم المتقن لما في مهنة الترجمة من فن، وهذا من سوء حظ المترجمين، إذ لا يكفي أنهم يبدؤون مهنتهم بالتطوع أغلب الأحيان، بل عليهم أن يتطوعوا -أيضًا- بترجمة عينة قبل الحصول على أي عمل؛ وهذا الأمر ليس استغلالًا، فكل العملاء ذوي الخبرة يطلبون عينة قبل الشروع في العمل، وهذه العينة لا يفترض أن تفيدهم بشيء، إذ إن صاحب العمل الجاد يُقدِّم عينة موحَّدة لجميع المترجمين المحتمَلين ليستطيع تقييمهم على أساسٍ واحد، ولا يُقسِّم النص بين المترجمين المتقدمين لتوفير المال.

من الأفضل للمترجم أن يتطوَّع لتقديم عينة من عمله سواء أطلبها صاحب العمل أم لم يطلبها، إذ إن في ذلك بادرة ثقةٍ، وفيه أكبر ضمانة على توافق المترجم وصاحب العمل في أسلوب ترجمة النص وتوقعاتهما منه، مما قد يُجنِّب المترجم عملًا كثيرًا في التنقيح والتعديل إن لم يرضَ صاحب العمل عن النتيجة،[34] كما أن العينة تساعد المترجم نفسه في التعرّف إلى النص وتقدير العبء المطلوب لإنجازه.

11.4.4 الوقت والمال

> "لن يستغرق المترجم إلا يومين في ترجمة كتيب اختصاصي طوله 100 صفحة استغرقت كتابته أربعة شهور من ثلاثة مؤلّفين"
>
> — من "التصوّرات الخاطئة" عن الترجمة.[35]

يصف هذا المثال الساخر كيفية استخفاف أصحاب العمل قليلي الخبرة بأعباء الترجمة وأتعابها؛ فصحيحٌ أن الترجمة أسرع بكثير من التأليف، لكن عبء الترجمة والجهد والوقت والتكلفة لها تتوافق طرديًا مع الجهد الذي وضعه الكاتب في تأليف النص الأصلي المراد ترجمته، ولهذا فإن العمل على ترجمة بحث أكاديمي استغرق شهورًا لتأليفه ليس مثل ترجمة مستند أمضى أحد الموظفين ساعة في كتابته.

يتراوح الوقت الذي تستغرقه الترجمة (حسب خبرة المترجم والنص الذي يعمل معه) بين 250 إلى 1,000 كلمة في الساعة، علمًا بأن هذا الحد الأعلى نادر وقد يصعب بلوغه دون الاستعانة ببرامج حاسوبية (مثل برامج الترجمة بمعونة الحاسوب CAT)؛[36] ومن الطبيعي أن صعوبة النص لها أثر كبير، فقد يمضي المترجم نصف وقته أو أكثر في مراجعة الكلمات أحيانًا، ورغم ذلك فمن الصعب أن تتدنى سرعته عن هذا الحد إلا في حالات قليلة جدًا. ويظهر استبيان لجمعية المترجمين الأمريكيين أن متوسط سرعة المترجم هو نحو 500 كلمة في الساعة،[37]

34 Gouadec (2007): p. 72

35 Sofer (2009): p. 73

36 Sofer (2009): p. 33

37 Mellinger & Hanson (2017): p. 47

ويستطيع المترجم أن يقيس سرعته أثناء ترجمة العينة الأولى، وبها يُقدِّر الوقت الذي يلزمه لترجمة النص كاملًا، وبذلك يعرف عبء العمل وسعره، وهذا من فوائد ترجمة عينة من النص المراد العمل عليه كما أشرت.

إذًا، يُقَاس سعر الترجمة حسب الحالة والسياق، كما أن الأسعار تتغير مع الوقت، ولذلك فإن الطريقة الأفضل لمعرفة السعر الصحيح في حالة من الحالات هي بسؤال أحد أصحاب الخبرة مع توضيح العوامل والظروف التي تخصّ المشروع والمترجم، وأهم العوامل التي تؤثر على السعر هي:

- **خبرة المترجم**: لا شك أن السعر يتناسب طردًا مع الخبرة
- **صعوبة النص**: النصوص الاختصاصية والأدبية أغلى
- **طول النص**: قد يقل سعر الكلمة إن كان النص طويلًا
- **بلد المترجم**: حسب مستوى الدخل في ذلك البلد
- **بلد صاحب العمل**: قد يرتفع السعر لو كان مع عميل من بلدٍ معيشته مرتفعة ومتوسط دخل الفرد فيه مرتفع

يُقَاس سعر الترجمة بطرقٍ عدة، أشهرها في السوق العربي هي عدد الكلمات وعدد الصفحات، والأخيرة هنا ليس إلا وحدة قياس، إذ يجب أن تعادل "الصفحة" الواحدة دائمًا 250 كلمة/صفحة، وأما قياسها وكأنها صفحات فعلية فهو غير دقيقٍ ولا يجب أن يتّبع آنذاك؛ وقد تستخدم وحدات أخرى للقياس في حالات خاصة، أهمها هو عدد الدقائق في حالة ترجمة الفيديو،[38] وسعر الساعة في حالات نادرة (ربما تقتصر معظمها على الموظفين).

وقد يُستخدَم عدد الكلمات والصفحات في طريقتين لاحتساب سعر الترجمة: إما بناءً على عددها في النص الأصلي أو في النص المترجَم، إذ إن هذه المسألة ترجع إلى الاتفاق بين المترجم وصاحب العمل؛[39] وقد يكون الاتفاق على طول النص الأصلي أفضل، لأنه يساعد على تحديد السعر مُقدَّمًا ويجنب أي خلاف يزعم فيه العميل أن المترجم حاول إطالة النص لزيادة أجرته.[40]

11.4.5 كتابة الاتفاق وتوثيقه

من المسلَّم به أنه يجب الاتفاق كتابةً على كل الأمور الواردة في مشروع الترجمة، وأهمها -بالطبع- السعر حسب الوحدة المتبعة (أي حسب الكلمة أو الصفحة مثلًا)، وسعر ترجمة النص كاملًا (يجب فصله عن سعر الوحدة، خصوصًا في النصوص التي يحتمل أن تتغير)، والفترة اللازمة للتسليم، ويجب أن يتوافق عليها الطرفان بوضوح تامّ قبل البدء بالمشروع.

38 Gouadec (2007): p. 202

39 Gouadec (2007): p. 202

40 Gouadec (2007): p. 203

ومن المعتاد العمل على الترجمة في العالم العربي بدون أي عقود ولا وثائق مكتوبة أو موقَّعة، ولا يُنْصَح أبدًا بهذا السلوك إلا إن كان العمل عبر منصة رقمية مثل مستقل لأن هذه المنصات فيها عقودٌ إلكترونية وحتى الاتفاق عليها يعد بمثابة عقد وتوثيق وفيها فريق دعم فني يعمل على حل الخلافات إن حصلت، فعقد العمل غالبًا ما يُجنِّب الطرفين نزاعات لا حاجة لها فيما بعد خصوصًا إن كان العمل لشخص تربطك فيه علاقة قوية، فكما يقال في المثل الشامي: أوله شرط آخره سلامة، أي إن وجد اتفاق وشروط واضحة في العمل، انتهى برضى الطرفين وحصل التفاهم ونُبذَ الخلاف.

11.5 الترجمة

الترجمة هي الموضوع الذي تناوله هذا الكتاب كاملًا بفصوله وصفحاته كافة، ولن يكفي الكتاب كله (ولا هذا القسم الصغير بالتأكيد) للإسهاب في كل دقائقها وحيثياتها، على أن الكتاب بأكمله لم يتطرَّق -إلا عرضًا- للجانب الوظيفي من عملية الترجمة، أي كيفية ترجمة النص وتسليمه إلى العميل في سياق مشروع فعلي، وهي الخطوة الأخيرة التي تأتي بعد الاتفاق على كل ما سبق.

على المترجم الحريص أن يقرأ النص ولو سريعًا إن أمكنه (من حيث سعر العمل ووقته) قبل الشروع بترجمته، وعليه أن يرجع لصاحب العمل بأي استفسارات أو ملاحظات لديه؛[41] ففي كثير من الحالات، مثل ترجمة نص اختصاصي أو بحث علمي، قد يضطر المترجم للاطلاع على موضوع النص والقراءة عنه أو مشاهدة فيديوهات تعليمية أو شروحات مبسّطة، إذ إنه لن يستطيع ترجمة المعنى بدقة دون أن يتحقَّق أولًا من فهمه هو لهذا المعنى.[42]

يؤدي المترجم عمله بأن يقرأ النص الأجنبي جملة جملة، ويراجع أي كلمات لا يعرفها أو يشك بمعناها في سياقها، حتى ولو شكًا بسيطًا، ثم يصيغ معناها بلغة عربية سليمة،[43] وعلى المترجم في هذه الخطوة أن يُوثِّق مسألتين فائقتي الأهمية: الأولى هي الجمل التي يستعصي عليه فهمها أو يشك في معانيها ليراجعها لاحقًا ويستفسر من صاحب العمل عن الإجراء الأنسب نحوها،[44] والثانية هي تسجيل الكلمات التي يجب النظر في تعريبها وهذه تحتاج لمراجعة وتوثيق.

فُصِّلَت طرق تعريب المصطلحات في الفصل السادس من الكتاب، والجانب المهم إجرائيًا عند تعريب مصطلحٍ ما هو استخدام مسرد ذاتي يُوثِّق فيه المترجم التعريب الذي اختاره،[45] فالتعريبات الواردة في المعاجم تتعدّد للمصطلح الواحد ولا مفرَّ من التَخيُّر بينها، ويجب ألا يتبدل هذا الاختيار ضمن النص نفسه، وقد لا يحتاج المترجم لتسجيل التعريب في مسرد إن كان يترجم نصًا قصيرًا، لكن هذه الحاجة قد تصبح ماسة في حالة ترجمة

41 Gouadec (2007): p. 71

42 Gouadec (2007): p. 70

43 Sofer (2009): p. 37

44 Gouadec (2007): p. 69

45 Gouadec (2007): p. 69

سلسلة من المقالات والنصوص في الموضوع نفسه، وهذه بالضبط هي الوظيفة التي تخدمها برامج الترجمة المحوسبة، فهي تحفظ هذا المسرد تلقائيًا في كل نص يعمل عليه المترجم ضمن ما يسمى "ذاكرة الترجمة".

بعد تعريب المصطلحات الناقصة وتصحيح الجمل المبهمة يستطيع المترجم أن يُسلِّم مسوَّدة لصاحب العمل مع ملاحظات حول أي أجزاء من النص قد تجب مناقشتها أو التدقيق فيها (إن رغب العميل بذلك)، وعلى المترجم أن يتوقع بعد التسليم مراجعةً وطلبات إضافية من صاحب العمل، مثل تصحيحات في الترجمة أو تعديل أمور معينة قبل اعتماد النص النهائي.[46]

لا بأس بأن يتواصل المترجم مع صاحب العمل بعد انتهاء المشروع للحصول على تقييمه وملاحظاته الإيجابية والسلبية، وذلك لتحسين أدائه مستقبلًا، كما أن هذا النوع من التواصل يحفظ علاقته مع صاحب المشروع ويزيد من إمكانية حصوله على فرص عمل أخرى مستقبلًا.[47] ومن الأسلم أن يؤرشف المترجم ملفاته النصية ويحتفظ بها بعد انتهاء كل مشروع، فقد يحتاج للرجوع إليها أو الاستشهاد بها في مهنته ومشاريعه القادمة وعرضها في معرض أعماله إن سمح صاحب العمل بذلك.[48]

46 Gouadec (2007): p. 77

47 Gouadec (2007): p. 81

48 Gouadec (2007): p. 82

خمسات

لبيع وشراء الخدمات المصغرة

أكبر سوق عربي لبيع وشراء الخدمات المصغرة
اعرض خدماتك أو احصل على ما تريد بأسعار تبدأ من $5 فقط

تصفح الخدمات

12. خاتمة الكتاب

بدأت بذرة هذا الكتاب بخواطر متفرّقة انكببتُ على جمعها قبل أعوامٍ أردتُها أن تكـون مقـالًا بسـيطًا يسـاعد المترجمين الجُدد، ثم نَمَتْ تلك البذرة إلى مشروعٍ استغرق ثلاث سنواتٍ من البحث والقراءة والكتابة المتقطّعـة التي جهدتُ بتوسيعها بين عملٍ ودراسةٍ وسفرٍ ومهامٍ تطوعية والتزامات عامَّة، فبلغت ختامها بعد عناء.

وقد وضعتُ تلك البذرة وأنا طالبٌ ينقصهُ العلم، فانهمكتُ في بحثٍ ودراسةٍ طويلةٍ لنحو خمسين مرجعًا ما بين كتاب ومقال أكـاديمي تبحَّرتُ فيهـا بالترجمـة ودراسـاتها ونظرياتهـا لأجمعهـا مـع مـا مارسـتهُ من الترجمـة والكتابة العربيَّة لاثني عشر عامًا تطبيقًا، فأعدتُ كتابة المسوَّدة مرَّاتٍ مع تغيُّر هدفها واتّساع حجمها حتى لم يبقَ للمقال الذي انبثقَت منهُ أثرٌ يُذكَر وحلَّ مكانه ما بين يديك الآن، وهو من أكثرِ ما أفتخرُ به وأسعدُ بإنجازه.

لا شكَّ بأن ما وضعتهُ من جُهْدٍ في هذا العمل، ولا سيما أني وضعته خلال مرحلة مزدحمة من حيـاتي، كـان سعياً للذّة التأليف ولنشر التجربة الشخصية، إلا أن مسعاه الأسمى كان -فيما أزعمُ- تفاؤلًا وأملًا بالمستقبل.

أظنّ أن المعرفة هي "سرّ نهضة الأمم" الـذي بحث عنـه غوسـتاف لوبـون، ولهـذا اخـترتُ مهنـةً في تطـوير المعرفة باللسان العربي، ورأيتُ خلال هذا الطريق المشكلات الكثيرة التي تعترضهُ والإحباط والكآبـة العامَّة الـتي تُخيِّمُ على أيّ مشروعٍ نهضوي عربيّ في ظلّ تأخّرنـا عن العـالم في كـل شـيء، ورأيتُ كـذلك (وكمـا قـدَّمتُ في افتتاحية هذا الكتاب) النمو الهائل والأمل الكبير لهـذه اللغـة، وهي في صـفِّ اللغـات الخمس الأولى في العـالم انتشاراً وفي عداد اللغات الكبرى بثروتها التراثية والمعرفية.

حاولتُ ما استطعتُ أن أصوغ هذا الكتاب على أساس أكاديمي علميّ فأتناولَ فيه علـوم الترجمـة ونظريتهـا وتطبيقها كما جاءت في المصادر المُحكَّمة، كما حاولتُ أن أمزج هذا السرد بالتجربة العربيـة فخصصـتُ فصـولًا وأمثلةً للحديث عن تراث الترجمة العربيّ وما فيه من ثروةٍ واعدةٍ إن أُحْسِنَ استغلالها، وأن ألفت الانتباه -كـذلك-

إلى تفاعُلِ لغتنا مع الترجمة وإلى جوانبها الخطيرة وكيفيَّة تقويمها وتصحيحها بتعريبٍ سليم، وإلى تناول الترجمة من زاويةٍ عربيَّة حقيقيَّة.

وقد وصلتُ بعد عملي الطويل على هذا المشروع إلى استنتاجٍ أقولهُ بأمانة مفادهُ أن الترجمـة العربيـة بلغت ذروتها وكفايتها، وأن لغتنا بحاجةٍ ماسَّة إلى التأليف والأدب الأصـيل لا إلى الاسـتيراد من غيرهـا. ولا يعـني هـذا ضرورة التوقّف عن التعريب خصوصًا في نقل العلوم التي تقدم غيرنا فيها، وإنَّمـا هـو حلمٌ بازدهـار الأدب والعِلْم العربي بإتقانٍ نستقيه من أنفسنا لا من غيرنا من الأمم.

13. المصادر

13.1 المصادر العربية

- ابتسام الخضراء (ترجمة، 2005)، تأليف ريتشارد فاينمان، "متعة اكتشاف الأشياء". إصدار مكتبة العبيكان في الرياض (السعودية). ردمك: 0 - 599 - 40 - 9960.
- إبراهيم زكي خورشيد (1985)، "الترجمة ومشكلاتها". إصدار الهيئة المصرية العامَّة للكتاب في القاهرة، (مصر). الرقم التسلسلي: 0-72-0106-977.
- إبراهيم زكي خورشيد (1985)، مقال "الأصول الفنية للترجمة وأدواتها" في مجلة الفيصل (عدد 95). إصدار مركز الملك فيصل للبحوث في الرياض (السعودية). ص46-50.
- ابن منظور (2015)، "لسان العرب"، المجلد الثاني. إصدار دار الفكر في بيروت (لبنان).
- إحسان عباس (ترجمة، 1980)، تأليف هيرمان ميلفل، "موبي ديك". إصدار مؤسسة ناصر للثقافة في بيروت (لبنان).
- أحمد محمد الروبي ومروة عبد السلام (ترجمة، 2014)، تأليف أليس مونرو، "أقمار المشتري". إصدار مؤسسة هنداوي في مدينة نصر (مصر).
- أحمد الشاكر (2004)، "عمدة التفاسير من الحافظ ابن كثير: مختصر تفسير القرآن العظيم" (الجزء الثاني)، إعداد أنور الباز. إصدار دار الوفاء في المنصورة (مصر)، الطبعة الثانية.
- أحمد عيسى بك (1923)، "التهذيب في أصول التعريب". إصدار مطبعة مصر في القاهرة، (مصر)، الطبعة الأولى.

- بطرس البستاني (2014)، "أدباء العرب في الأعصر العباسية". مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة بالقاهرة (مصر). الرقم التسلسلي: 978 977 719 227 9.
- تغريد فياض (ترجمة، 2019)، تأليف جين أوستن، "كبرياء وهوى". إصدار دار سؤال للنشر في بيروت (لبنان).
- جرجي زيدان (1904)، "الألفاظ العربية والفلسفة اللغوية". إصدار مطبعة الهلال بالفجالة (مصر)، الطبعة الثانية.
- جرجي زيدان (2016)، "اللغة العربية كائن حي". إصدار مؤسسة هنداوي في مدينة نصر، القاهرة (مصر).
- جهاد حمدان وشحدة فارع وموسى عمايرة ومحمد العناني (2015)، "مقدمة في اللغويات المعاصرة". إصدار دار وائل في عمّان (الأردن). الطبعة السابعة.
- حسن بحراوي (يونيو 2015)، "الترجمة في ضوء اللسانيات الحديثة". مجلة عالم الفكر، مجلد 43 (عدد 4).
- حسين خمري (2007)، "اللغة الأخرى بين الترجمة والأدب". مركز البحوث بكلية اللغات والترجمة، جامعة الملك سعود.
- حسين المناصرة وعمر محمد الأمين ومسعد الشامان (2007)، "أساسيات التحرير وفن الكتابة العربية". إصدار مكتبة الرشد في الرياض (السعودية).
- سليم إبراهيم صادر (2009، جمع)، "جواهر الأدب من خزائن العرب". دار الكتب العلمية. ج4. رقم تسلسلي :2-7451-6043-5.
- صفاء خلوصي (1928)، "فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة". إصدار دار الرشيد للنشر في بغداد (العراق)، طبعة دار الحرية للطباعة في بغداد (1982).
- عباس حسن (1971)، "اللغة والنحو: بين القديم والحديث". إصدار دار المعارف في القاهرة (مصر)، الطبعة الثانية.
- عباس حسن (2007)، "النحو الوافي". إصدار دار المعارف في القاهرة (مصر)، الطبعة الثالثة.
- عبد الحميد جمال (ترجمة، 2004)، تأليف وليام جولدينج، "أمير الذباب". إصدار الدار المصرية اللبنانية في القاهرة (مصر). الترقيم الدولي: 4-132-270-977.
- عبد الخالق عيسى (2012)، "دور الترجمة في التواصل الحضري بين اللغات ومعوّقاتها من وجهة نظر الجاحظ". كلية الآداب في جامعة النجاح الوطنية، نابلس (فلسطين). ص160.

- عبد القاهر الجرجاني، "أسرار البلاغة في علم البيان"، تحقيق عبد الحميد هنداوي (2012). إصدار دار الكتب العلمية في بيروت (لبنان).
- عبد الله الفوزان (1999)، "دليل السالك شرح ألفية ابن مالك". إصدار دار المسلم في الرياض (السعودية)، الطبعة الأولى.
- عبد الوهاب عزام وطه حسين (تحقيق، 2014)، تأليف أو ترجمة عبد الله من المُقفَّع، "كليلة ودمنة". إصدار مؤسسة هنداوي للعلم والثقافة في القاهرة (مصر). تدمك: 6 077 768 977 978.
- عز الدين محمد نجيب (2005)، "كتاب أسس الترجمة من الإنجليزية إلى العربية وبالعكس". إصدار مكتبة ابن سينا في القاهرة (مصر)، الطبعة الخامسة.
- علي بن إبراهيم النملة (1992)، "مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين". مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض (السعودية).
- فتحي حسين عامر (2019)، "الصحافة الخاصة: انقلاب في بلاط صاحبة الجلالة". دار العربي للنشر والتوزيع في القاهرة (مصر)، الطبعة الأولى.
- فتحي سعيد (1980)، "الخليل بن أحمد" في مجلة الفيصل (عدد 41). إصدار مركز الملك فيصل للبحوث في الرياض (السعودية). ص60-63.
- كامل يوسف (ترجمة، 2007)، تأليف هنريك إبسن، "بيت الدمية: مسرحية اجتماعية في ثلاثة فصول". إصدار دار المدى للثقافة والنشر في بيروت (لبنان).
- كمال أحمد غنيم، "آليات التعريب وصناعة المصطلحات الجديدة". إصدارات مجمع اللغة العربية الفلسطيني المدرسي في غزة. وزارة التربية والتعليم العالي، فلسطين.
- لويس عوض (ترجمة، 2014)، تأليف أوسكار وايلد، "صورة دوريان جراي". إصدار دار التنوير في القاهرة (مصر).
- محمد خاين (2015)، "الإشهار الدولي والترجمة إلى العربية: رهانات الاحتواء وإكراهات اللغة والثقافة". إصدار المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في الظعاين (قطر).
- محمّد عناني (2000)، "فن الترجمة". إصدار الشركة المصرية العامة للنشر - لونجمان في الجيزة (مصر)، الطبعة الخامسة.
- محمّد عناني (2005)، "مرشد المترجم". إصدار الشركة المصرية العامة للنشر - لونجمان في الجيزة (مصر)، الطبعة الثالثة. الترقيم الدولي: ISBN 977-16-0690-5.

- محمد مرياتي ويحيى مير علم ومحمد حسن الطيان (2003)، "علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب: دراسة وتحقيق رسائل الكندي وابن عدلان وابن الدريهم" (الجزء الثاني). إصدار "مجمع اللغة العربية بدمشق" في دمشق (سوريا).
- محمود مصطفى (1996)، تحقيق عمر فاروق الطبّاع، "أهدى سبيل إلى علمي الخليل: العروض والقافية". إصدار دار القلم في بيروت (لبنان).
- محمد هيثم الخياط (2004)، "في سبيل العربية". إصدار مكتبة وهبة في القاهرة (مصر)، الطبعة الرابعة.
- محيي الدين الدرويش (1999)، "إعراب القرآن الكريم وبيانه" (المجلد الرابع). إصدار دار اليمامة في دمشق (سوريا) وبيروت (لبنان) ودار ابن كثير في دمشق (سوريا) وبيروت (لبنان) ودار الإرشاد للشؤون الجامعية في حمص (سوريا). الطبعة السابعة.
- مختار اليوسفي (ترجمة، 2001)، تأليف تشارلز ديكنز، "الآمال الكبرى". إصدار مكتبة الأسرة في القاهرة (مصر).
- مرير سلامة كار (1998، ترجمة نجيب الغزاوي)، "الترجمة في العصر العباسي: مدرسة حنين بن إسحق وأهميتها في الترجمة". منشورات وزارة الثقافة في دمشق (سوريا).
- مصطفى إبراهيم فهمي (ترجمة، 2006)، تأليف ستيفن هوكينج، "تاريخ موجز للزمان: من الانفجار الكبير حتى الثقوب السوداء". الهيئة المصرية العامة للكتاب في القاهرة (مصر). مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة.
- منير البعلبكي ورمزي منير البعلبكي (2008)، "المورد الحديث: قاموس إنكليزي - عربي". إصدار دار العلم للملايين في بيروت (لبنان).
- مهدي علي زبون (2016)، "نشأة الترجمة وأشهر روادها عند العرب". العدد 73، مجلة آداب المستنصرية، نشر الجامعة المستنصرية (العراق). ISSN: 02581086.
- نبيل أبو القاسم (2018)، "أعلام علماء مصر". مكتبة المشارق للنشر والتوزيع ي القاهرة (مصر). الرقم التسلسلي: 978-977-5155-35-0.
- يونس شاهين (ترجمة، 1966)، تأليف جوزيف كونراد، مراجعة علي أدهم، "لورد جيم". إصدار مؤسسة التضامن العربي، بإشراف الإدارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالي في القاهرة (مصر).

13.2 المصادر الأجنبية

- Al-Jubouri, A. and Knowles, F. (1988) 'A computer-assisted study of cohesion based on English and Arabic corpora: an interim report', in Proceedings of the 12th International ALLC Congress, Geneva, Geneva: ALLC.
- Baker, M. (1992). In other words: A coursebook on translation. Place of publication not identified: Routledge.
- Baker, M., & Malmkjær, K. (1998). Routledge encyclopedia of translation studies. London: Routledge.
- Baker, M., & Saldanha, G. (2009). Routledge encyclopedia of translation studies (2nd ed.). London: Routledge.
- Becher, V. (2011). Explicitation and implicitation in translation ; A corpus-based study of English-German and German-English translations of business texts. Hamburg: University of Hamburg.
- Bennett, K. (2010). Academic discourse in Portugal: A whole different ballgame? Journal of English for Academic Purposes, 9(1), 21-32. doi:10.1016/j.jeap.2009.11.002
- Bennett, Karen (2013) English as a Lingua Franca in Academia, The Interpreter and Translator Trainer, 7:2, 169-193, DOI: 10.1080/13556509.2013.10798850.
- Berezowski, Leszek (1997). Dialect in Translation. Wydawnictwo Uniwersytetu Wrocławskiego. ISBN 83-229-1685-X.
- Berlin, B. and Kay, P. (1968). Universality And Evolution Of Basic Color Terms. Working Paper Number 1. Washington, D.C.: Distributed by ERIC Clearinghouse.
- Binder, G., & Foster, N. (2006). Tall buildings of Europe, the Middle East and Africa. Mulgrave, Vic: Images Publ.
- Bloom, C. (2002). Bestsellers: Popular fiction since 1900. Basingstoke: Palgrave Macmillan.
- Botha, Y., (2000). Implications Of The Sapir-Whorf Hypothesis For Literary Translation. Potchefstroom. University for Christian Higher Education.

- Bullock, M. P., Jennings, M. W., Eiland, H., & Smith, G. (2004). Selected writings. Cambridge, MA: Belknap Press.
- Callow, K. (1974). Discourse considerations in Translating the word of God. Grand Rapids (Mich.): Zondervan.
- Canepari, M., (2011). An Introduction To Discourse Analysis And Translation Studies. 1st ed. Milano: Università Cattolica.
- Casselman, B. (2010). Where a Dobdob Meets a Dikdik: A Word Lover's Guide to the Weirdest, Wackiest, and Wonkiest Lexical Gems. Cincinnati: F+W Media.
- Chomsky, N. and Peck, J., (1988). The Chomsky Reader. London: Serpent's Tail.
- Clarysse, G. W.; Van der Veken, G. (1983). The eponymous priests of Ptolemaic Egypt (P. L. Bat. 24): Chronological Lists of the Priests of Alexandria and Ptolemais with a Study of the Demotic Transcriptions of Their Names. Assistance by S. P. Vleeming. Leiden: Brill. ISBN 90-04-06879-1.
- Culler, Jonathan (1976): Sassure. Wiliam Collins Sons & Co Ltd Glasgow, UK.
- Cutter, M. J. (2005). Lost and found in translation: Contemporary ethnic American writing and the politics of language diversity. Chapel Hill: University of North Carolina Press.
- D. B. Judd and G. Wyszecki (1975). Color in Business, Science and Industry. Wiley Series in Pure and Applied Optics (third ed.). New York: Wiley-Interscience. ISBN 0-471-45212-2.
- Deutscher, G. (2010). Through the language glass: Why the world looks different in other languages. New York City: Metropolitan Books.
- DuPont, Quinn. "The Cryptological Origins of Machine Translation, from al-Kindi to Weaver." Amodern, 8 (2018). http://amodern.net/article/cryptological-origins-machine-translation/
- Durban, C. (2010). Prosperous translator. Lulu Com.
- Eliot, S. and Rose, J., (2009). A Companion To The History Of The Book. Malden, Mass.: Blackwell Publishing.

- Farghal, M. and Samateh, A., (2017). Explicitation Vs. Implicitation : Discourse Markers In English-into-Arabic Translation. مجلة البلقاء للبحوث والدراسات, p.15.
- Ghazala, H. S. (2019). Poetic Vs. Poetical Translation of Poetry (English-Arabic). Arab World English Journal For Translation and Literary Studies, 3(1), 2-21. doi:10.24093/awejtls/vol3no1.1
- Gouadec, D. (2007). Translation as a profession. J. Benjamins Publishing Company.
- Greenblatt, S. (2015). Norton Shakespeare. Norton & Company, Incorporated, W.W.
- Hanna, S., El-Farahaty, H., & Khalifa, A. (2020). Routledge handbook of Arabic translation. London; New York: Routledge.
- Hariyanto, S., 2000. The Implication Of Culture On Translation. Theory And Practice. State Polytechnic of Malang.
- Harris, Roy. (1988). Language, Saussure and Wittgenstein. Routledge. p. ix.
- Hatim, B., & Munday, J. (2004). Translation: An advanced resource book. Abingdon, Oxon: Routledge.
- Hussein, B., 2012. The Sapir-Whorf Hypothesis Today. Theory and Practice in Language Studies, 2(3), p. 645.
- Hymes, D. and Fought, J., (2017). American Structuralism. The Hague: Mouton Publishers.
- Jenner, J. A., & Jenner, D. V. (2010). The entrepreneurial linguist: The business-school approach to freelance translation. EL Press.
- Johnstone, T. (1968). "Fischer Wolfdietrich: Farb- und Formbezeichnungen in der sprache der altarabischen Dichtung: Untersuchungen zur Worbedeutung und zur Wortbildung",. xxiv, 447 pp. Wiesbaden: Otto Harrassowitz, 1965. DM 76. Bulletin of the School of Oriental and African Studies, 31(1), 141-141. doi:10.1017/S0041977X00112844.
- Kay, P., & Kempton, W. (1984). What Is the Sapir-Whorf Hypothesis? American Anthropologist, 86(1), 65-79. doi:10.1525/aa.1984.86.1.02a00050

- King, S. (2000). On writing: A memoir of the craft. New York, NY: Scribner.
- Klaudy, K., Károly, K. and Fóris, A., (2005). New Trends In Translation Studies. Budapest: Akadémiai Kiadó.
- Klitgård, I. (2006). Literary translation: World literature or 'worlding' literature? Copenhagen: Museum Tusculanum Press, University of Copenhagen.
- Koutras, N., (2019). Building Equitable Access To Knowledge Through Open Access Repositories. 1st ed. Hershey, Pennsylvania: IGI Global.
- Laet, S., (1994). History Of Humanity: Volume IV, From the Seventh to the Sixteenth Century. London: Routledge.
- Lee, T. (2018). Applied translation studies. London: Palgrave.
- Lefevere, A. (1992). Translation, history, culture: A sourcebook. London: Routledge.
- Levý, J., Corness, P., & Jettmarova, Z. (2011). The art of translation. Amsterdam: John Benjamins Pub. Company.
- McWhorter, J. H. (2016). The language hoax: Why the world looks the same in any language. New York: Oxford University Press.
- Mdallel, S., (2003). Translating Children's Literature in the Arab World. Meta, 48(1-2), pp. 298-306.
- Mellinger, C. D., & Hanson, T. A. (2017). Quantitative research methods in translation and interpreting studies. Routledge.
- Mugglestone, Lynda (2005). Lost for Words: The Hidden History of the Oxford English Dictionary. Yale University Press. ISBN 978-0-300-10699-2.
- Munday, J. (2008). Introducing translation studies: Theories and applications. London: Routledge.
- Munday, J. (2009). The Routledge companion to translation studies. New York: Routledge.
- Murray, K. M. Elizabeth (2001). Caught in the Web of Words: James Murray and the Oxford English Dictionary. Yale University Press. ISBN 978-0-300-08919-6.

- Murtisari, E. (2016). Explicitation in Translation Studies: The journey of an elusive concept. The International Journal of Translation and Interpreting Research. doi:10.12807/ti.108202.2016.a05
- Newmark, P. (1991). About Translation. Clevedon, United Kingdom: Multilingual Matters.
- Nord, C. (1991). Text analysis in translation theory, methodology, and didactic application of a model for translation-oriented text analysis. Amsterdam: Rodopi.
- Nord, C., (2016). Function + Loyalty: Theology Meets Skopos. Open Theology, 2(1).
- Parker, R. (2015). How to interpret literature: Critical theory for literary and cultural studies. New York: Oxford University Press.
- Plecher, H., & 29, J. (2020, July 29). Arab world countries - urbanization 2019, by country. Retrieved August 16, 2020, from https://www.statista.com/statistics/806325/urbanization-in-the-arab-world-countries
- Pukari, Minna (2015). The Purpose of Dialect in Charles Dickens's Novel Great Expectations. Bachelor's seminar and thesis (682285A), University of Oulu.
- Pym, Anthony (2005). Explaining Explicitation. In Krisztina Károly & Ágota Fóris (eds.), New trends in translation studies. In honour of Kinga Klaudy, 29–34. Budapest: Akadémiai Kiadó.
- Rouchdy, A. (2009). Language Contact and Language Conflict in Arabic. New York, New York: Routledge.
- Robins, R. and Crystal, D., (2020). Language. [online] The Encyclopædia Britannica. Available at: <https://www.britannica.com/topic/language/Translation> [Accessed 26 February 2020].
- Rose, M. G. (1976). From literary analysis to literary translation : Some basic assumptions of literary translation. Équivalences, 7(1), 15-24. doi:10.3406/equiv.1976.975.
- Sofer, M. (2009). The translator's handbook. Schreiber Pub.

- Steiner, G. (1998). After Babel: Aspects of language and translation (3rd ed.). London: Oxford University Press.
- Sulaibi, Dia Abdullah (2014). Harry Botter: Translating Names from English into Arabic in Harry Potter and the Philosopher's Stone. 22-21 ,دراسات الترجمة. ISSN: +221-9498.
- Thomson, Greg (1982) 'An Introduction to Implicature for Translators', Notes on Translation, Special Edition: 1–82.
- Van Troyer, G., (1994). Linguistic Determinism and Mutability: The Sapir-Whorf "Hypothesis" and Intercultural Communication. Journal of Applied Learning & Teaching, 16(2), pp.163-178.
- Verspoor, M., & Sauter, K. (2000). English sentence analysis an introductory course. Amsterdam: J. Benjamins.
- Versteegh, C., (2014). The Arabic Language. Edinburgh: Edinburgh University Press.
- Vinay, J. P. and Darbelnet (1995). Comparative stylistics of french and english (A methodology for translation). Amsterdam: John Benjamins publishing company.
- Watt-Evans, L. (2008). The turtle moves!: Discworld's story (unauthorized). Dallas, TX: BenBella Books.
- Weissbort, D., Eysteinsson, Astradur (2006). Translation: Theory And Practice: A Historical Reader. 1st ed. Oxford: Oxford University Press.
- Wesch, M., (2018). The Art of Being Human: A Textbook For Cultural Anthropology. Manhattan, Kansas: New Praire Press, Kansas State University Libraries.
- Wilton, D. (2004). Word myths: Debunking linguistic urban legends. OXFORD: OXFORD University Press.

ادخل سوق العمل ونفذ المشاريع باحترافية
عبر أكبر منصة عمل حر بالعالم العربي

ابدأ الآن كمستقل

أحدث إصدارات أكاديمية حسوب

حسوب
HSOUB.COM